

مؤسسة دار الشعب

الطبقات الصوفية

لأبي عبد الرحمن السلمي

تحقيق الدكتور: أحمد الشرباصي



كتاب الشعب

الطبقات الصوفية

لأبي عبد الرحمن السُّلَمي

تحقيق :

الدكتور/ احمد الشرباصي

١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م

الطبعة الثانية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مقدمة طبعة كتاب الشعب

أحمد الله تبارك وتعالى، وأصلى وأسلم على أنبيائه ورسله، وعلى خاتمهم محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن دعا بدعوته بإحسان إلى يوم الدين، وأستفتح بالذي هو خير: «ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير».

في زحمة الحياة وصخب المادة والتفات الناس عن نداء الروح وهتاف المثل العليا، يرتفع صوت ليتحدث عن أسلوب في التربية والتهديب الروحي، قد أصلح فسادا، وقوم أعوجاجا، وخرج أبطالا... ذلك هو أسلوب التصوف الإسلامي الصحيح القويم، البعيد عن تحريف المبطلين وتشويه المغرضين. وهذا الصوت يعلم أنه يدافع عن قضية مظلومة، كثر أعداؤها وإن كثر في الوقت نفسه أولياؤها وأصداؤها. وهو يتقدم إلى أحبباء التصوف لعله يكون شاهد صدق للصوفية، يؤيد حقهم، ويزكي قولهم... وإلى أعدائه أو الظانين به ظن السوء لعله يصحح لهم فهما خاطئا، أو يقوم في حكمهم أعوجاجا سببه الغرض أو المرض.

نقدم في هذه الصفحات خلاصة أمينة وافية لأحد الأصول من كتب الصوفية ذات القيمة والمكانة والشهرة، وهو كتاب «طبقات الصوفية» لأبي عبد الرحمن السلمي، وهو يضم تراجم وجيزة لأعلام الصوفية في عصورهم الأولى، مع كلمات لكل علم من هؤلاء الأعلام تفصح عن آرائه ونزعات فكره. ونرجو أن يكون هذا الحديث الصوفي سبب صلاح وفاتحة خير، والله يقول: «فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب».

أحمد الشرباصي

أبو عبد الرحمن السلمى

سنقدم إليك خلاصة أمينة دقيقة لكتاب «طبقات الصوفية» لأبى عبد الرحمن السلمى، ومن حقت أن تعرف أولاً مَنْ السلمى؟ وأن تعرف الطريقة التى اتبعناها فى تقديم هذه الخلاصة إليك.

السلمى هو أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى السلمى الأزدي، وهو منسوب إلى قبيلة سليم ابن منصور. وقد ولد بخراسان فى جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، وقيل سنة ثلاثين وثلاثمائة. وكان والده ورعا زاهدا صوفيا جليل القدر مع فقره، وكانت والدته سيدة فاضلة صوفية. ولما أراد أبو عبد الرحمن السفر إلى الحج قالت له أمه: «توجهت إلى بيت الله، فلا يكتبن عليك حافظك شيئا تستحي منه غدا».

وقد نشأ أبو عبد الرحمن فى رعاية والديه، وحفظ القرآن الكريم، وروى الأشعار، وتعلم العربية، وعنى بالحديث والتصوف.

ومن شيوخه الدارقطنى والسراج والنصر اباذى والأبزارى والصبغى وأبو نعيم الأصبهاني والنيسابورى وأبو سعيد النخعى والطرائفى وأبو عمرو السلمى.

وكان له كثير من التلاميذ منهم البيهقى والتوزى والجوينى والقشيرى والخطيب البغدادي والجصينى والجوبارى والتفليسى والمامطيرى والواسطى.

وقد ظل السلمى يؤلف عهدا طويلا فى التفسير والحديث والتصوف والطبقات، وله الكتب التالية: حقائق التفسير، والأخوة والأخوات من الصوفية، وآداب التعازى، وآداب الصحبة وحسن العشرة، وآداب الصوفية، والأربعون فى الحديث، والاستشهادات، وأمثال القرآن، ومناهج العارفين، ومقدمة فى التصوف، والفرق بين الشريعة والحقيقة، ومحن الصوفية، ومقامات الأولياء، والفتوة، وعيوب النفس ومداواتها، وتاريخ أهل الصفة، وتاريخ الصوفية، وجوامع آداب الصوفية، ودرجات المعاملات، وغلطات الصوفية، ورسالة الملامتية، وزلل الفقر، والزهد، والسؤالات، وسلوك العارفين، والسماع، وسنن الصوفية.

وكان للسلمى أعداء وخصوم نقدوه فى شدة، وحملوا عليه فى قسوة، واتهموه أنه ليس صاحب باع فى باب الحديث، ولكن هناك من يصفه بأنه ثقة، وما من رجل له مكان ملحوظ إلا ويوجد من يقول له ومن يقول عليه.

وهذا أبو نعيم الأصبهاني يقول عنه:

«هو أحد من لقيناه ممن له العناية التامة بتوطئة مذهب المتصوفة، وتهذيبه على ما بينه الأوائل من السلف، مقتد بسمتهم، ملازم لطريقتهم، متبع لأنارهم، مفارق لما يؤثر عن المنحرفين المتهوسين من رجال هذه الطائفة، منكر عليهم».

وقد مات أبو عبد الرحمن السلمى فى شعبان سنة اثنتى عشرة وأربعمائة، ودفن فى «خانقاه» بناها فى نيسابور.

كتاب «طبقات الصوفية»

كتاب «طبقات الصوفية» من أهم الكتب التى ألفت فى التصوف والصوفية. والتاريخ يحدثنا بأن السلمى ليس أول من ألفت فى طبقات الصوفية، فقد سبقه غيره ممن انتفع السلمى بكتاباتهم، ولكن كتب الذين سبقوه قد ضاعت وبقي كتاب السلمى، فزادت أهميته من جهتين: من جهة قيمته الذاتية، ومن جهة أوليته التاريخية بعد ضياع الكتب التى سبقته فى موضوعه.

وهو كتاب يترجم لأئمة الصوفية تراجم مختصرة، ويورد لكل واحد منهم طائفة من أقواله تصور مذهبه ورأيه.

وقد ظل هذا الكتاب مخطوطاً إلى سنة ١٩٣٨ حيث حاول الأستاذ «بدرسن» الأستاذ بجامعة كوبنهاجن نشره، فنشر منه جزءاً صغيراً ثم توقف، وجاء بعد ذلك أخونا الأستاذ نور الدين شريبة من علماء الأزهر وحقق الكتاب، ونشرته جماعة الأزهر للتأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٣. وقد بذل الأستاذ شريبة فى عمله جهداً كبيراً نافعاً، إذ مهد طريق الانتفاع بالكتاب فى أكثر من جهة، وذلك جهد يستحق التقدير.

والكتاب له نسخ خطية كثيرة منها نسخة فى خزانة برلين، وثانية فى دار الكتب المصرية، وثالثة فى الخزانة التيمورية بالقاهرة، ورابعة فى خزانة المتحف البريطانى، وخامسة فى خزانة بايزيد باستانبول، وسادسة فى جامع السلیمانىة باستانبول، وسابعة فى خزانة كوبرلى، وغيرها.

وقد ذكر السلمى فى أول كتابه أنه سترجم لخمس طبقات من الصوفية، وكل طبقة تضم عشرين شيخاً، ويذكر لكل شيخ طائفة من أقواله، ولكنه لم يلتزم هذا المنهج، فهو فى الطبقة الأولى قد ترجم تحت عنوان واحد لأخوين هما محمد وأحمد ابنا الورد، وفى الطبقة الخامسة ترجم تحت عنوان واحد لأخوين أيضاً هما محمد وجعفر ابنا أحمد بن محمد المقرئ، وكذلك ترجم فى هذه الطبقة تحت عنوان واحد لثلاثة أشخاص

هم أبو الحسن الصيرفي وأبو بكر الشبهي وأبو بكر الفراء.

وقد سرت في إعداد خلاصة هذا الكتاب على الوضع الآتي:

١ - حذفت الأسانيد التي تذكر في أوائل الكلمات المنسوبة إلى كل شخص، واقتصرت على ذكر نص العبارة المنسوبة إلى الشخص المترجم.

يقول السلمى في ترجمة الفضيل بن عياض مثلاً: «أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الرازي، قال: سمعت محمد بن نصر بن منصور الصائغ، قال: سمعت مردويه الصائغ، قال: سمعت الفضيل بن عياض، يقول: «من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة».

فأحذف هذا السند وأكتفى بذكر العبارة: «من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة»، ثم أستمر في ذكر الكلمات المنسوبة إلى الفضيل متتابعة تحت عنوان: «ومن كلامه».

٢ - في كثير من التراجم يذكر السلمى عن أصحابها روايتهم للحديث، بأن يقول عن الواحد منهم: «وأسند الحديث» ثم يروي عقب ذلك الحديث وفي طليعته السند، فاقصرت أنا على ذكر الحديث بلا سند سوى اسم الصحابي الذي رواه.

مثال ذلك أن يقول السلمى في ترجمة ذى النون المصري: «وأسند الحديث: أخبرنا عبد الله بن الحسين بن إبراهيم الصوفى، أخبرنا محمد بن حمدون بن مالك البغدادي، أخبرنا الحسن بن أحمد بن المبارك، أخبرنا أحمد بن صليح الفيومي أخبرنا ذو النون المصري، عن الليث بن سعد، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر».

فأكتفى بقولي: «وأسند الحديث: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر».

وإذا كان الحديث ضعيفاً أشرت إلى ذلك في هامش الكتاب. وإذا جاءت في الترجمة عبارة: «كتب الحديث الكثير ورواه» ذكرتها خلال الترجمة، ولكنى أذكر الحديث الذي أسنده ونص عليه السلمى في آخر الترجمة، وقبل ذكر الكلمات المنسوبة إلى صاحب الترجمة.

٣ - يذكر السلمى الترجمة للشخص مختصرة وغير مرتبة في كثير من الأحيان، فرتبت أجزاء التراجم على قدر الطاقة.

٤ - هناك اختلافات بين الروايات المذكورة في نسخ الكتاب، وهذه الاختلافات مذكورة بأكملها في طبعة جماعة الأزهر يرجع إليها من شاء، وقد ذكرت أصح الروايات في نظري.

٥ - هناك كلمات قد تكررت نسبتها إلى أكثر من شخص واحد. وقد كررت ذكر هذه الكلمات في مواضعها، إذ لا ضير في ذلك... بل لعل في الإعادة إفادة.

هذا ومجموعة الكلمات المنسوبة إلى أصحابها في هذا الكتاب تعد في غالبها حكما بليغة عميقة الغور، قوية التأثير في التهذيب الروحي والأخلاقي، بحيث يوجد أمام القارئ مدد كبير منها، يمكنه أن يضع بين يديه كل يوم كلمة منها يرددها ويتدبرها ويحاول الاهتداء بها، فيكون من وراء ذلك خير روحى كبير. ومن هذه الكلمات كلمات رمزية جرت على طريقة الإشارة، أو كالمجازات والاستعارات عند الأدباء وفي بعض هذه الكلمات غموض بالنسبة للقارئ العادى، وقد يرجع هذا الغموض إلى اختصاص أصحابها الصوفية باصطلاحات ومذاقات، ولذلك لا تتحمل تبعة مالا يفهمه من هذه الكلمات، وهو قليل نادر بالنسبة إلى غيره.

ومهما يكن من أمر فالخلاصة التى بين يدي القارئ تجمع بين تاريخ الصوفية وحكم التصوف. وقد رأيت أن أقدم لها بمقدمات عن مذهب التصوف، واشتقاقه وصلته بالإسلام، وتأثيره فى الأفراد والجماعات، وبعض مبادئه وأصوله، لتكون هذه المقدمات توطئة مهيئة للاستئناس بهذه الفرر من الحكم الصوفية التى ترددت على لهوات هؤلاء الأعلام من رجال التصوف. ولكن صفحات الكتاب المقررة لم تتسع لهذه المقدمات فنقلت إلى سلسلة «دائرة معارف الشعب»، وقد ظهرت هذه المقدمات تحت عنوان «التصوف» فى الكتاب السابع عشر من «دائرة معارف الشعب» وهو الكتاب الحادى والتسعون من «كتاب الشعب» وقد ظهر قبل صدور هذا الجزء الذى بين يديك بأسبوع، ومن الخير أن تعود إليه لتطالع مادة التصوف فيه حتى تكون على بينة من موضوع التصوف وأنت تطالع خلاصة «طبقات الصوفية».

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

أحمد الشرباصى

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذى أظهر آثار قدرته وأنوار عزته، فى كل وقت وزمان، وحين وأوان، وعمر كل عصر من الأعصار بنى مبعوث يدل الخلق ويرشدهم إليه، إلى أن ختم الأنبياء والرسل بالنبي الأشرف والرسول الأعلى: محمد ﷺ، وعلى جميع أنبياء الله ورسله.

وأتبع الأنبياء — عليهم السلام — بالأولياء، يخلفونهم فى سننهم، ويحملون أمتهم على طريقتهم وسمتهم. فلم يخل وقتنا من الأوقات من داعٍ إليه بحق، أو دال عليه ببيان وبرهان. وجعلهم طبقات فى كل زمان، فالولى يخلف الولى، باتباع آثاره والافتداء بسلوكة، فيتأدب بهم المریدون، ويأتسى بهم الموحدون، قال الله تعالى: «ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرفة بغير علم ليدخل الله فى رحمته من يشاء» الآية.

وقال النبي ﷺ: «خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجىء أقوام، تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته». وقال ﷺ: «مثل أمتى كالمطر، لا يدرى أوله خير أم آخره». فعلم ﷺ أن آخر أمته لا يخلو من أولياء وبدلاء، يبينون للأمة ظواهر شرائعه، وبواطن حقائقه، ويحملونهم على آدابها ومواجهها، إما بقول أو بفعل.

فهم فى الأمم خلفاء الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم، وهم أرباب حقائق التوحيد، والمحدثون، وأصحاب الدراسات الصادقة والآداب الجميلة، والمتبعون لسنن الرسل — صلوات الله عليهم أجمعين — إلى أن تقوم الساعة.

لذلك روى عن النبي — ﷺ — أنه قال: «لا يزال فى أمتى أربعون، على خلق إبراهيم الخليل عليه السلام، إذا جاء الأمر قبضوا».

وقد ذكرت فى كتاب «الزهد» من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين، قرنا فقرنا، وطبقة فطبقة، إلى أن بلغت النبوة إلى أرباب الأحوال، المتكلمين على لسان التفريد، وحقائق التوحيد، واستعمال طرق التجريد. فأحببت أن أجمع فى سير متأخرى الأولياء كتابا أسميه «طبقات الصوفية»، أجعله على خمس طبقات، من أئمة القوم ومشايخهم وعلمائهم، فأذكر فى كل طبقة عشرين شيخا، من أئمتهم الذين كانوا فى زمان واحد، أو قريبا بعضهم من بعض.

وأذكر لكل واحد من كلامه وشمائله وسيرته، ما يدل على طريقتة وحاله وعلمه، بقدر وسعي وطاقتي .
وهذا بعد أن استخرت الله تعالى في ذلك، وفي جميع أمورى، وبرئت فيه من حولى وقوتى، وسألته أن
يعيننى عليه، وعلى كل خير، وأن يوفقنى له، ويجعلنى من أهله.
وصلى الله على محمد المصطفى، وعلى آله وأصحابه وأزواجه، وسلم كثيرا.

الطَبَقَةُ الْاَوَّلَى

الفضيل بن عياض

منهم الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، التميمى، ثم اليربوعى... خراسانى من ناحية «مرو»- مدينة فارس- من قرية يقال لها: «فندين».

ولد بسمرقند- ببلاد فارس- ونشأ بأبيورد من بلاد التركستان.

قال الفضيل: «ولدت بسمرقند، ونشأت بأبيورد، ورأيت بسمرقند عشرة آلاف جوزة بدرهم». وقال ابنه أبو عبيدة: «أبى: فضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، يكنى بأبى على، من بنى تميم، من بنى يربوع، من أنفسهم... ولد بسمرقند، ونشأ بأبيورد، والأصل من الكوفة».

ومات في المحرم سنة سبع وثمانين ومائة بمكة. وأسند الحديث:

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى للدينا: يا دنيا، مررى على أوليائى، ولا تحلولى لهم فتفتنيهم».

ومن كلام الفضيل:

* من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة.

* فى آخر الزمان أقوام، يكونون أخوان العلانية، أعداء السريرة.

* أحق الناس بالرضا عن الله أهل المعرفة بالله عز وجل.

* لا ينبغى لحامل القرآن أن يكون له إلى مخلوق حاجة... لا إلى الخلفاء فمن دونهم. ينبغى أن تكون حوائج الخلق كلهم إليه.

* لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة، وإنما أدرك بسخاء النفس، وسلامة الصدر، والنصح للأمة.

* لم يتزين الناس بشىء أفضل من الصدق وطلب الحلال.

* أصل الزهد الرضا عن الله تعالى.

* من عرف الناس استراح.

* إنى لا أعتقد إخاء الرجل فى الرضا، ولكنى أعتقد إخاءه فى الغضب، إذا أغضبته.

* تباعد من القراء فإنهم إن أحبوك مدحوك بما ليس فيك، وإن أبغضوك شهدوا عليك وقبل منهم.

* وسئل عن التواضع فقال: أن تخضع للحق وتنقاد له، وتقبل الحق من كل من تسمعه منه.

* أشتهى مرضاً بلا عواد.

* إن فيكم خصلتين هما من الجهل: الضحك من غير عجب، والتصبيح (أى النوم فى أول النهار) من غير سهر.

* من أظهر لأخيه الود والصفاء بلسانه، وأضر له العداوة والبغضاء، لعنه الله، فأصمَّ وأعمى بصيرة قلبه.

* وقال فى قول الله عز وجل: «إن فى هذا لبلاغاً لقوم عابدين»: الذين يحافظون على الصلوات الخمس.

* كان يقال: جعل الشر كله فى بيت، وجعل مفتاحه الرغبة فى الدنيا. وجعل الخير كله فى بيت، وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا.

* من كفَّ شره فما ضيع سره.

* ثلاث خصال تقسى القلب: كثرة الأكل، وكثرة النوم، وكثرة الكلام.

* خير العمل أخفاه، وأمنعه من الشيطان أبعداه من الرياء.

* إن من شكر النعمة أن تحدث بها.

* أبى الله إلا أن يجعل أرزاق المتقين من حيث لا يحتسبون.

* لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا حسبة له.

* طوبى لمن استوحش من الناس، وأنس بربه، وبكى على خطيئته.

ذو النون المصرى

ومنهم ذو النون أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصرى الأخمى، مولى لقريش، وكان أبوه إبراهيم نوبيا.

توفى سنة خمس وأربعين ومائتين. وقيل سنة ثمان وأربعين.

وأسند الحديث:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر».

ومن كلام ذى النون:

* إياك أن تكون بالمعرفة مدعياً، أو تكون بالزهد محترفاً، أو تكون بالعبارة متعلقاً.

* وسئل: ما أخفى الحجاب وأشدّه؟ فقال: رؤية النفس وتديبها.

* وسئل عن المحبة، فقال: أن تحب ما أحب الله، وتبغض ما أبغض الله، وتفعل الخير كله، وترفض كل ما

يشغل عن الله، وألاً تخاف فى الله لومة لائم... مع العطف للمؤمنين، والغلظة على الكافرين، واتباع رسول

الله - ﷺ - فى الدين.

✽ قال الله تعالى: من كان لى مطيعاً كنت له ولياً، فليثق بى وليحكم على... فوعزتى لو سألتنى زوال الدنيا لأزلتها له.

✽ وسأله عبد الله بن محمد بن ميمون عن الصوفى، فقال: من إذا نطق أبان نطقه عن الحقائق، وإن سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق.

✽ الأئس بالله صفاء القلب مع الله، والتفرد بالله الانقطاع من كل شىء سوى الله.

✽ من أراد التواضع فليوجه نفسه إلى عظمة الله، فإنها تذوب وتصفو، ومن نظر إلى سلطان الله ذهب سلطان نفسه، لأن النفوس كلها فقيرة عند هيئته.

✽ لم أر أجهل من طبيب يداوى سكران فى وقت سكره... لن يكون لسكره دواء حتى يفيق، فيداوى بالتوبة.

✽ لم أر شيئاً أبعث لطلب الإخلاص من الوحدة، لأنه إذا خلا لم ير غير الله تعالى، فإذا لم ير غيره لم يحركه إلا حكم الله. ومن أحب الخلوة فقد تعلق بعمود الإخلاص، واستمسك بركن كبير من أركان الصدق.

✽ من علامات المحب لله متابعة حبيب الله فى أخلاقه وأفعاله وأمره وسننه.

✽ إذا صح اليقين فى القلب صح الخوف فيه.

وأنشد:

أموت وما ماتت إليك صبايتى

ولا قضيت من صدق حبك أوطارى

مناى - المنى كل المنى - أنت لى منى

وأنت الغنى - كل الغنى - عند اقتارى

وأنت مدى سؤلى، وغاية رغبتى

وموضع آمالى، ومكنون اضمارى

تحمل قلبى فيك ما لا أبشه

وإن طال سقمى فيك، أو طال إضرارى

وبين ضلوعى منك مالك قد بدا
ولم يبد باديه لأهل ولا جار
وبى منك فى الأحشاء داء مخامر
فقد هدمنى الركن، وانبت أسرارى
ألست دليل الركب إن هم تحيروا
ومنقذ من أشفى على جرف هارى؟
أنرت الهدى للمهتدين، ولم يكن
من النور فى أيديهم عشر معشار
فنلنى بعفو منك أحيا بقربه
أغثنى بيسر منك يطرد إعسارى
* لئن مددت يدى إليك داعيا لطالما كفيتنى ساهيا، أأقطع منك رجائى بما عملت يداى؟

حسبى من سؤالى علمك بحالى.

* كل مدّعٍ محبوب بدعواه عن شهود الحق، لأن الحق شاهد. لأهل الحق... لأن الله هو الحق، وقوله الحق.
ولا يحتاج أن يدعى إذا كان الحق شاهدا له، فأما إذا كان غائبا فحينئذ يدعى، وإنما تقع الدعوى للمحبوبين.
* من استأنس بالخلق فقد استمكن من بساط الفراعنة، ومن غيب عن ملاحظة نفسه فقد استمكن من الإخلاص، ومن كان حظه فى الأشياء «هو» لا يبالى ما فاته مما هو دونه.

* الصديق سيف الله فى أرضه، ما وضع على شىء إلا قطعه.

* من تزين بعمله كانت حسناته سيئات.

* بأول قدم تطلبه تدركه وتجده.

* أدنى منازل الأنس أن يلقى فى النار فلا يغيب همه عن مأموله.

* الأنس بالله نور ساطع، والأنس بالخلق غم واقع.

* لله عباد تركوا الذنب استحياء من كرمه، بعد أن تركوه خوفا من عقوبته. ولو قال لك: اعمل ما شئت

فلمست آخذك بذنب، كان ينبغى أن يزيدك كرمه استحياء منه، وتركاً لمعصيته، إن كنت حراً كريماً، عبدا

شكورا... فكيف وقد حذرك؟!!

* الخوف رقيب العمل، والرجاء شفيع المحن.
 * اطلب الحاجة بلسان الفقر لا بلسان الحكم.
 * مفتاح العبادة الفكرة، وعلامة الهوى متابعة الشهوات، وعلامة التوكل انقطاع المطامع.
 * كان لى صديق فقير فمات، فرأيته فى النوم، فقلت له: ما فعل الله بك؟
 قال: قال لى: قد غفرت لك بترددك إلى هؤلاء السفلى أبناء الدنيا، فى رغيغ، قبل أن يعطوك.
 * كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا وتركا لها، واليوم يزداد الرجل بعلمه حباً للدنيا ولها طلبا. وكان الرجل يتفق ماله على علمه، واليوم يكسب الرجل بعلمه مالا. وكان يرى على صاحب العلم زيادة فى باطنه وظاهره، واليوم يرى على كثير من أهل العلم فساد الباطن والظاهر.
 * العارف كل يوم أخشع، لأنه كل ساعة أقرب.
 * يا معشر المريدين، من أراد منكم الطريق، فليلق العلماء بالجهل، والزهاد بالرغبة، وأهل المعرفة بالصمت.

* إن العارف لا يلزمه حالة واحدة، إنما يلزم ربه فى الحالات كلها.

إبراهيم بن أدهم

ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم، من أهل بلخ - مدينة بخراسان - كان من أبناء الملوك والمياسير، وخرج للصيد فهتف به هاتف أيقظه من غفلته، فترك طريقته فى التزين بالدنيا، ورجع إلى طريقة أهل الزهد والورع؛ وخرج إلى مكة، وصحب بها سفيان الثورى والفضيل بن عياض. ودخل الشام فكان يعمل فيه؛ ويأكل من عمل يده، ومات بالشام.
 وأسند الحديث:

عن ابن عباس أن النبى ﷺ كان يسجد على كور العمامة.

ولقد سئل عن بدء أمره فى التصوف كيف كان، فقال:

«كان أبى من ملوك خراسان، وكنت شابا، فركبت إلى الصيد، فخرجت يوما على دابة لى ومعى كلب، فأثرت أرنا أو ثعلبا، فبينما أنا أطلبه إذ هتف بى هاتف لا أراه: يا إبراهيم، ألهدنا خلقت؟ أم بهذا أمرت؟ ففزعت ووقفت، ثم عدت فركضت الثانية، ففعل بى مثل ذلك ثلاث مرات، ثم هتف بى هاتف من قربوس السرج (أى مقدمه): والله ما لهذا خلقت، ولا بهذا أمرت!».

قال: «فنزلت فصادفت راعيا يرعى الغنم لأبى، فأخذت جبته الصوف فلبستها، ودفعت إليه الفرس وما

كان معي، وتوجهت إلى مكة».

وقص أنه لقي الخضر، وتعلم منه اسم الله الأعظم. وأنه لقي أسلم بن يزيد الجهني، فقال له أسلم: من أنت يا غلام؟ فقال إبراهيم: شاب من خراسان فقال أسلم: ما حملك على الخروج من الدنيا؟ فقال: زهدا فيها ورجاء لثواب الله تعالى. فقال أسلم:

«إن العبد لا يتم رجاؤه لثواب الله تعالى حتى يحمل نفسه على الصبر. وإن أدنى منازل الصبر أن يروض العبد نفسه على احتمال مكاره الأنفس. وإذا كان محتملا للمكاره أورش الله قلبه نورا، وهو سراج يكون في قلبه يفرق به بين الحق والباطل، والناسخ والمتشابه».

ثم قال له أسلم: يا غلام، إياك - إذا صحبت الأخيار، أو حادثت الأبرار - أن تغضبهم عليك، فإن الله يغضب لغضبهم ويرضى لرضاهم، وذلك أن الحكماء هم العلماء، وهم الراضون عن الله عز وجل إذا سخط الناس، وهم جلساء الله غدا بعد النبيين والصديقين .

ثم قال له أسلم: إياك والبخل. أما البخل عند أهل الدنيا فهو أن يكون الرجل بخيلا بماله، وأما الذي عند أهل الآخرة فهو الذي يبخل بنفسه عن الله تعالى. ألا وإن العبد إذا جاد بنفسه لله، أورش قلبه الهدى والتقوى، وأعطى السكينة والوقار، والعلم الراجح والعقل الكامل... وهو مع ذلك تُفتح له أبواب السماء، فهو ينظر إلى أبوابها بقلبه كيف تُفتح، وإن كان في طريق الدنيا مطروحا.

ثم قال له أسلم: واعلم أن العبد إذا قلاه الأخيار، واجتنب صحبتة الورعون، فإن ذلك استعتاب من الله تعالى لكى يعتبه، فإن أعتب الله عز وجل أقبل بقلوبهم عليه، وإن تمرد على الله أورش قلبه الضلالة، مع حرمان من الرزق، وجفاء من الأهل، ومقت من الملائكة، وإعراض من الرسل بوجوههم، ثم لم يبال الله فى أى واد يهلكه!

ثم كان بينهما حديث آخر اشترك فيه غيرهما^(١).

ومن كلام إبراهيم بن أدهم:

* كتب إلى سفيان الثوري: من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، ومن أطلق بصره طال أسفه، ومن أطلق أمله ساء عمله، ومن أطلق لسانه قتل نفسه.

(١) أسقطنا من هذه العظة سطورا تتضمن أمورا لا يسهل تصديقها.

* وقال له قائل: أوصني. فقال: اتخذ الله صاحبا، وذر الناس جانبا.

* وقال لرجل في الطواف: اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات: أولاها أن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة، والثانية أن تغلق باب العز وتفتح باب الذل، والثالثة أن تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد، والرابعة أن تغلق باب النوم وتفتح باب السهر، والخامسة أن تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر، والسادسة أن تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت.

بشر الحافى

ومنهم أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله، الحافى. أصله من «مرو» من قرية «بگرد» أو «مابرسام».

سكن بغداد، ومات بها. وهو ابن عم على بن خشرم، وصحب الفضيل بن عياض، وكان عالما ورعا. قال يحيى بن أكثم: قال لى المأمون: «لم يبق فى هذه الكورة أحد يستحى منه غير هذا الشيخ: بشر بن الحارث».

مات بشر يوم الأربعاء لعشر خلون من المحرم، سنة سبع وعشرين ومائتين.
وأسند الحديث :

عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلوا الثوم نيئا، فلولا أن الملك يأتينى لأكلته».
ومن كلام بشر:

* يأتى على الناس زمان لا تقر فيه عين حكيم، ويأتى عليهم زمان تكون الدولة فيه للحمقى على الأكياس.

* النظر إلى الأحمق سخنة العين، والنظر إلى البخيل يقسى القلب.

* اعمل فى ترك التصنع، ولا تعمل فى التصنع.

* الصبر الجميل هو الذى لا شكوى فيه إلى الناس.

* لا تكون كاملا حتى يأمنك عدوك، وكيف يكون فىك خير وأنت لا يأمنك صديقك؟

* لا تجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبين الشهوات حائطا من حديد.

* الدعاء ترك الذنوب.

* ورأى شيخا من شيوخ الصوفية يرتعد من البرد فى يوم بارد فقال:

قطع الليالى مع الأيام فى خلق
والنوم تحت رواق الهم والقلق
أحرى وأجدر بى من أن يقال غدا:
إنى التمسست الغنى من كف مختلق
قالوا: رضيت بذا؟ قلت: القنوع غنى
ليس الغنى كثرة الأموال والورق
رضيت بالله فى عسرى وفى يسرى
فلست أسلك إلا واضح الطرق
* المتقلب فى جوعه كالمشحط^(١) فى دمه فى سبيل الله، وثوابه الجنة.
* هب أنك لا تخاف، ويحك! ألا تشتاق؟
* أربعة رفعهم الله بطيب المطعم. وهيب بن الورد، وإبراهيم بن أدهم، ويوسف بن أسباط، وسالم الخواص.
* شاطر سحى أحب إلى من قارىء لثيم.
* إنى لأشتهى الشواء منذ أربعين سنة، فما صفا لى درهمه.
* وقال له رجل: لا أدرى بأى شىء آكل خبزى؟ فقال له: اذكر العافية، واجعلها إدامك.
* إن لم تُطع فلا تعص.
* أنا أكره الموت، ولا يكره الموت إلا مريب.
* حبك لمعرفة الناس رأس محبة الدنيا.
* بحسبك أن أقواما موتى تحيا القلوب بذكرهم، وأن قوما أحياء تقسو القلوب برؤيتهم.
* الحلال لا يحتمل السرف.
* بى داء، ما لم أعالج نفسى لا أتفرغ لغيرى، فإذا عاجلت نفسى تفرغت لغيرى، ما أبصرنى بموضع الداء
وموضع الدواء، إن أعاننى منه بمعونة... ثم قال: «أنتم الداء، أرى وجوه قوم لا يخافون، متهاونين بأمور
الآخرة».

(١) تشحط فى دمه: أى تخبط فيه واضطرب وتمرغ.

* وكان يتكلم فى الرضا والتسليم فقال له رجل من الصوفية: «يا أبا نصر، انقبضت عن أخذ البر من يد الخلق لإقامة الجاه، فإن كنت متحققا بالزهد منصرفا عن الدنيا فخذ من أيديهم ليمتحنى جاهك عندهم، وأخرج ما يعطونك للفقراء، وكن بعقد التوكل تأخذ قوتك من الغيب».

فاشدد ذلك على أصحاب بشر، فقال بشر: اسمع أيها الرجل الجواب:
الفقراء ثلاثة: فقير لا يسأل، وإن أعطى لا يأخذ... فذاك من الروحانيين، إذا سأل الله أعطاه، وإن أقسم على الله أبر قسمه.

وفقير لا يسأل، وإن أعطى قبل... فذاك من أوسط القوم، عقده التوكل والسكون إلى الله تعالى، وهو ممن توضع له الموائد فى حظيرة القدس.

وفقير اعتقد الصبر ومدافعة الوقت، فإذا طرقت الحاجة خرج إلى عبيد الله، وقلبه إلى الله بالسؤال... فكفارة مسألته صدقه فى السؤال.

فقال الرجل: رضيت رضى الله عنك.

سرى السقطى

ومنهم أبو الحسن سرى بن المفلس السقطى يقال إنه خال الجنيد وأستاذه. صحب معروف الكرخى، وهو أول من تكلم ببغداد فى لسان التوحيد وحقائق الأحوال.
وهو إمام البغداديين وشيخهم فى وقته، وإليه ينتمى أكثر الطبقة الثانية من المشايخ المذكورين فى هذا الكتاب.

مات سرى السقطى سنة إحدى وخمسين ومائتين.

وأسند الحديث:

عن حازم بن حرمة الغفارى، «صاحب رسول الله ﷺ، يقول: «مررت يوما فرأى رسول الله، ﷺ، فقال: يا حازم! أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها من كنوز الجنة».

ومن كلامه:

* سمعه الجنيد يقول: «أعرف طريقا مختصرا قصدا إلى الجنة». فقال الجنيد: ما هو؟ فقال السقطى: «لا تسأل أحدا شيئا، ولا تأخذ من أحد شيئا، ولا يكن معك شيء تعطى منه أحدا».

* إذا فاتنى جزء من وردى؛ لا يمكننى أن أقضيه أبدا.

* من أراد أن يسلم دينه، ويستريح قلبه وبدنه، ويقل غمه، فليعتزل الناس، لأن هذا زمان عزلة ووحدة.

* كل الدنيا فضول، إلا خمس خصال: خبز يشبعه، وماء يرويه، وثوب يستره، وبيت يكنه، وعلم يستعمله.

* التوكل الانخلاع من الحول والقوة.

* أربع من أخلاق الأبدال: استقصاء الورع، وتصحيح الإرادة، وسلامة الصدر للمخلوق، والنصيحة لهم.

* اللهم ما عذبتني بشيء، فلا تعذبني بذل الحجاب.

* وسئل عن العقل فقال: ما قامت به الحجة على أمور ومنه.

* أربع خصال ترفع العبد: العلم، والأدب، والأمانة، والعفة.

* من لم يعرف قدر النعمة سلبها من حيث لا يعلم.

* من هانت عليه المصائب أحرز ثوابها.

* قليل في سنة، خير من كثير مع بدعة. كيف يقل عمل مع التقوى؟!

* الأمور ثلاثة: أمر بان لك رشده فاتبعه، وأمر بان لك غيه فاجتنبه، وأمر أشكل عليك فقف عنده وكله

إلى الله عز وجل... وليكن الله دليلك، واجعل ففرك إليه تستغن عما سواه.

* الأدب ترجمان العقل.

* ما أكثر من يصف الصفة، وأقل من يوافق فعله صفته.

* أقوى القوة غلبتك نفسك. ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز، ومن أطاع من فوقه

أطاعه من دونه.

* من خاف الله خافه كل شيء.

* لسانك ترجمان قلبك، ووجهك مرآة قلبك، يتبين على الوجه ما تضرر القلوب.

* القلوب ثلاثة: قلب مثل الجبل لا يزيله شيء، وقلب مثل النخلة أصلها ثابت والريح تميلها، وقلب

كالريشة تميل مع الريح يمينا وشمالا.

* لا تصرم أخاك على ارتياب، ولا تدعه دون الاستعتاب.

* إن اغتممت لما ينقص من مالك، فابك على ما ينقص من عمرك.

* من علامة المعرفة بالله القيام بحقوق الله، وإيثاره على النفس فيما أمكنت فيه القدرة.

* من قلة الصدق كثرة الخلقاء.

- * حُسن الخلق كف الأذى عن الناس، واحتمال الأذى عنهم بلا حقد ولا مكافأة.
- * من علامة الاستدراج العمى عن عيوب النفس.
- * خير الرزق ما سلم من خمسة: من الآثام فى الاكتساب، والمذلة والخضوع فى السؤال، والغش فى الصناعة، وأثمان آلة المعاصى، ومعاملة الظلمة.
- * أحسن الأشياء خمسة: البكاء على الذنوب، وإصلاح العيوب، وطاعة علام الغيوب، وجلاء الرين من القلوب، وألا تكون لكل ما تهوى بركوب.
- * أربعة أشياء لا يسكن فى القلب معها غيرها: الخوف من الله وحده، والرجاء لله وحده، والحب لله وحده، والأنس بالله وحده.
- * أجلد الناس من ملك غضبه.
- * من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله عز وجل.
- * لن يكمل رجل حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه.
- * وقال له رجل: كيف أنت؟ فقال:

من لم يبت والحب حشو فؤاده

لم يدر كيف تفتت الأكباد

* إذا ابتداء الإنسان بالنسك ثم كتب الحديث، فتر... وإذا ابتداء بكتب الحديث ثم تنسك، نفذ.

الحارث المحاسبى

ومنهم أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى، من علماء مشايخ القوم بعلوم الظاهر وعلوم المعاملات والإشارات، وله كتب مشهورة، منها كتاب «الرعاية لحقوق الله». وهو أستاذ أكثر البغداديين، وهو من أهل البصرة. مات ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومائتين.

وأسند الحديث:

عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «أثقل ما يوضع فى الميزان حُسن الخلق».

ومن كلام الحارث المحاسبى:

* المحاسبة والموازنة فى أربعة مواطن: فيما بين الإيمان والكفر، وفيما بين الصدق والكذب، وبين التوحيد والشرك، وبين الإخلاص والرياء.

* من اجتهد فى باطنه ورثه الله حسن معاملة ظاهره، ومن حسن معاملته فى ظاهره - مع جهد باطنه - ورثه

- الله تعالى الهداية إليه، لقوله عز وجل: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا».
- * العلم يورث المخافة، والزهد يورث الراحة، والمعرفة تورث الإنابة.
- * خيار هذه الأمة الذين لا تشغلهم آخرتهم عن دنياهم، ولا دنياهم عن آخرتهم.
- * الذى يبعث العبد على التوبة ترك الإصرار، والذى يبعثه على ترك الإصرار ملازمة الخوف.
- * لا ينبغي أن يطلب العبد الورع بتضييع الواجب.
- * أكثر شغل الحكيم فيما يوجهه عليه الوقت، والذى هو أولى به فيه.
- * صفة العبودية ألا ترى لنفسك ملكاً، وتعلم أنك لا تملك لنفسك ضرراً ولا نفعاً.
- * التسليم هو الثبوت عند نزول البلاء، من غير تغير منه فى الظاهر والباطن.
- * وسئل عن الرجاء فقال: الطمع فى فضل الله تعالى ورحمته، وصدق حُسن الظن عند نزول الموت.
- * الحزن على وجوه: حزن على فقد أمر يحب وجوده، وحزن مخافة أمر مستقبل، وحزن لما أحب من الظفر بأمر فيتأخر عن مراده، وحزن يتذكر من نفسه مخالقات الحق فيحزن له.
- * حُسن الخلق: احتمال الأذى، وقلة الغضب، وبسط الوجه، وطيب الكلام.
- * لكل شيء جوهر، وجوهر الإنسان العقل، وجوهر العقل الصبر.
- * العمل بحركات القلوب فى مطالعات الغيوب أشرف من العمل بحركات الجوارح.
- * من طبع على البدعة متى يشيع فيه الحق؟
- * إذا أنت لم تسمع نداء الله، فكيف تجيب داعى الله؟ ومن استغنى بشيء دون الله جهل قدر الله.
- * الظالم نادم وإن مدحه الناس، والمظلوم سالم وإن ذمه الناس، والقانع غنى وإن جاع، والحريص فقير وإن ملك.

- * من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص، زين الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنّة.
- * وأنشد قوال بين يديه هذه الأبيات:

أنا فى الغربية أبكى

ما بكت عين غريب

لم أكن يوم خروجى

من بلادى بمصيب

عجبا لى ولتركى

وطنا فيه حيبى

فقام الحارث يتواجد ويبكى، حتى رحمه كل من حضره.

* وسئل: من أقهر الناس لنفسه؟ فقال: الراضى بالمقدور.

* الخلق كلهم معذرون فى العقل، مأخوذون فى الحكم.

* من لم يشكر الله على النعمة فقد استدعى زوالها.

* أكمل العاقلين من أقرَّ بالعجز أنه لا يبلغ كنه معرفته.

شقيق البلخى

ومنهم أبو على شقيق بن إبراهيم الأزدى- من أهل بلخ- حُسن الجرى على سبيل التوكل، وحُسن الكلام فيه. وهو من مشاهير مشايخ خراسان، وأظنه أول من تكلم فى علوم الأحوال بكورخراسان. وكان أستاذ حاتم الأصم، وصحب إبراهيم بن أدهم، وأخذ عنه الطريقة. وأسند الحديث:

عن عائشة رضى الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إن الخير خير الآخرة».

والحديث التالى: عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أخذ من الدنيا من الحلال حاسبه الله، ومن أخذ من الدنيا من الحرام عذبه الله به.. أفٌ للدنيا وما فيها من البليات! حلالها حساب، وحرامها عذاب!».!

ومن كلام شقيق البلخى:

* العاقل لا يخرج من هذه الأحرف الثلاثة: الأول أن يكون خائفا لما سلف منه من الذنوب، والثانى لا يدرى ما ينزل به ساعة بعد ساعة، والثالث يخاف من إبهام العاقبة، لا يدرى ما يختصم له.

* احذر ألا تهلك بالدنيا، ولا تهتم، فإن رزقك لا يعطى لأحد سواك.

* استعد، إذا جاءك الموت لا تسأل الرجعة.

* التوكل أن يطمئن قلبك بموعد الله.

* تعرف تقوى الرجل فى ثلاثة أشياء: فى أخذه، ومنعه، وكلامه.

* وسئل: بأى شىء يُعرف الرجل وأنه أصاب القلَّة؟ فقال: بأن كل شىء يأخذ من الدنيا يأخذه فى حال

يخاف- إن لم يأخذه- أن يَأثم.

* وسئل: بأى شيء يعرف الفقير أنه أصاب من الله تعالى حفظ الفقر؟ فقال: بأن يخشى من الغنى، ويغتنم الفقر.

* عملت في القرآن عشرين سنة حتى ميزت الدنيا من الآخرة، فأصبته في حرفين، وهو قول الله تعالى: «وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها، وما عند الله خير وأبقى».

* الزاهد الذى يقيم زهده بفعله، والمتزهد الذى يقيم زهده بلسانه.

* من لم يعرف الله بالقدرة فإنه لا يعرفه، قيل: وكيف يعرفه بالقدرة؟ فقال: يعرف أن الله قادر إذا كان معه شيء أن يأخذه منه ويعطيه غيره، وإذا لم يكن معه شيء أن يعطيه.

* من أراد أن يعرف معرفته بالله فليتنظر إلى ما وعده الله ووعدته الناس، بأيهما قلبه أوثق.

* مَيِّز بين ما تعطى وتعطى: إن كان من يعطيك أحب إليك فإنك مُحِبٌّ للدنيا، وإن كان من تعطيه أحب إليك فإنك محب للآخرة.

* من خرج من النعمة ووقع في القلة - ولا تكون القلة عنده أعظم من النعمة - وقع في غمٍّ: غَمٌّ في الدنيا، وغمٌّ في الآخرة. ومن خرج من النعمة ووقع في القلة - وكانت القلة عنده أعظم من النعمة التي خرج منها - كان في فرحين: فرح في الدنيا، وفرح في الآخرة.

* اتق الأغنياء! فإنك متى عقدت قلبك معهم، وطمعت فيهم، فقد اتخذتهم أرباباً من دون الله عز وجل.

* وسئل: بأى شيء يعرف بأن العبد اختار الفقر على الغنى؟ فقال: يخاف أن يصير غنيا فيحفظ الفقر بالخوف، كما كان من قبل يخشى أن يصير فقيراً فيحفظ الغنى بالخوف.

* وسئل: بأى شيء يعرف بأن العبد واثق بربه؟ قال: يعرف بأنه إذا فاته شيء من الدنيا يحسبه غنيمته، وإذا أبطأ عليه شيء من الدنيا يكون أحب إليه من أن يأتيه.

* إن حفظ الفقر أن ترى الفقر منة من الله عليك، حيث لم يضمنك رزق غيرك، ولم ينقصك مما قسم لك.

* تفسير التوبة أن ترى جرأتك على الله، وترى حلم الله عنك.

* ليس شيء أحب إلى من الضيف، لأن رزقه ومثوته على الله، ولى أجره.

* طهر قلبك من حب عروض الدنيا، حتى يدخل فيه حب الآخرة، وثواب الله عز وجل.

* من لم يكن معه ثلاثة أشياء لا ينجو من النار: الأمن، والخوف، والاضطراب.

* الصبر والرضا شكلا، إذا تعمدت في العمل فإن أوله صبر، وآخره رضا.

* إذا أردت أن تكون في راحة، فكل ما أصبت، والبس ما وجدت، وارض بما قضى الله عليك.
* من دار حول العلو فإنما يدور حول النار، ومن دار حول الشبهات فإنه يدور بدرجاته في الجنة ليأكلها وينقصها في الدنيا.

* جعل الله أهل طاعته أحياء في مماتهم، وأهل المعاصي أمواتا في حياتهم.

أبو يزيد البسطامي

ومنهم أبو يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان (وكان سروشان مجوسيا فأسلم)... ولطيفور أخوان هما. آدم وعلی، والثلاثة كانوا زهادا وعبادا وأصحاب أحوال. وهو من أهل بسطام- بلد على الطريق إلى نيسابور- ومات سنة إحدى وستين ومائتين، وقيل: سنة أربع وثلاثين ومائتين.
وأسند الحديث:

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله، وأن تخدمهم على رزق الله، وأن تدمهم على ما لم يؤتك الله... إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كره كاره. إن الله بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط».

ومن كلام البسطامي :

* قعدت ليلة في محرابي، فمددت رجلي، فهتف بي هاتف: من يجالس الملوك ينبغي أن يجالسهم بحسن الأدب.

* وسئل عن درجة العارف. فقال: ليس هناك درجة، بل أعلى فائدة العارف وجود معروفه.

* العابد يعبد بالحال، والعارف الواصل يعبد في الحال.

* وسئل: بماذا يستعان على العبادة؟ فقال: بالله إن كنت تعرفه.

* أدنى ما يجب على العارف أن يهب له ما قد ملكه.

* من ادعى الجمع بابتلاء الحق، يحتاج أن يلزم نفسه علل العبودية.

* وأذن أبو يزيد مرة، ثم أراد أن يقيم فرأى في الصف رجلا عليه أثر السفر، فتقدم إليه وكلمه بشيء. فخرج الرجل من المسجد ورجع... فسأله عن سر ذلك، فقال الرجل: كنت في السفر فلم أجد الماء، فتيمنت ونسيت ودخلت المسجد، فقال لي أبو يزيد: لا يجوز التيمم في الحضر. فذكرت ذلك وخرجت.
* عملت في المجاهدة ثلاثين سنة، فما وجدت شيئا أشد على من العلم ومتابعته. ولولا اختلاف

العلماء لبقيت... واختلاف العلماء رحمة، إلا في تجريد التوحيد.

* لا يعرف نفسه من صحبته شهوته.

* الجنة لا خطر لها عند أهل المحبة، وأهل المحبة محجوبون بمحبتهم.

* من سمع الكلام ليتكلم مع الناس رزقه الله فهما يكلم به الناس، ومن سمعه ليعامل الله به في فعله رزقه

الله فهما يناجى به ربه عز وجل.

* اطلع الله على قلوب أوليائه، فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفاً، فشغلهم بالعبادة.

* وسئل: بماذا نالوا المعرفة؟ فقال: بتضييع ما لهم، والوقوف مع ما له.

* هذا فرحى بك وأنا أخافك، فكيف فرحى بك إذا أمنتك؟

* يارب، أفهمنى عنك، فإنى لا أفهم عنك إلا بك.

* عرفت الله بالله، وعرفت ما دون الله بنور الله عز وجل.

* وسئل: ما علامة العارف؟ فقال: ألا يفتر من ذكره، ولا يمل من حقه، ولا يستأنس بغيره.

* إن الله تعالى أمر العباد ونهاهم فأطاعوه، فخلع عليهم الخلع، فاشتغلوا بالخلع عنه... وإنى لا أريد من الله

إلا الله.

* غلظت فى ابتدائى فى أربعة أشياء: توهمت أنى أذكره، وأعرفه، وأحبه، وأطلبه. فلما انتهيت رأيت ذكره

سبق ذكرى، ومعرفته تقدمت معرفتى، ومحبه أقدم من محبتى، وطلبه لى أولاً حتى طلبته.

* اللهم إنك خلقت هذا الخلق بغير علمهم، وقلدتهم أمانة من غير إرادتهم... فإن لم تعنهم فمن يعينهم؟

* وقال لبعض تلاميذه: إذا صحبتك إنسان وأساء عشرتك، فادخل عليه بحسن أخلاقك يطب عيشك.

وإذا أنعم عليك، فابدأ بشكر الله عز وجل، فإنه الذى عطف عليك القلوب. وإذا ابتليت فأسرع الاستقالة،

فإنه القادر على كشفها دون سائر الخلق.

* إن الله يرزق العباد الحلاوة، فمن أجل فرحهم بها يمنعهم حقائق القرب.

* المعرفة فى ذات الحق جهل، والعلم فى حقيقة المعرفة حيرة، والإشارة من المشير شرك فى الإشارة...

وأبعد الخلق من الله أكثرهم إشارة إليه.

* وسئل: بأى شىء وجدت هذه المعرفة؟ فقال: ببطن جائع، وبدن عار.

* العارف همه ما يأمله، والزاهد همه ما يأكله.

- * طوبى لمن كان همهُّ هما واحداً، ولم يشغل قلبه بما رأت عيناه وسمعت أذناه.
- * من عرف الله فإنه يزهد فى كل شىء يشغله عنه.
- * وسئل عن السنَّة والفريضة فقال: السنَّة ترك الدنيا، والفريضة الصحبة مع المولى... لأن السنَّة كلها تدل على ترك الدنيا، والكتاب كله يدل على صحبة المولى، فمن تعلَّم السنَّة والفريضة فقد كمل.
- * النعمة أزلية يجب أن يكون لها شكر أزلى.

أبو سليمان الداراني

ومنهم أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني، وهو من أهل «داريا» - قرية من قرى الشام - وهو عنسى. ومات سنة خمس عشرة ومائتين.

وأسند الحديث:

- عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من تواضع لله رفعه».
- ومن كلام الداراني:
- * إذا غلب الرجاء على الخوف فسد الوقت.
- * ليت قلبى فى القلوب كثوبى فى الثياب. وكانت ثيابه وسطا.
- * من صارع الدنيا صرعه.
- * من أحسن فى نهاره كوفىء فى ليله، ومن أحسن فى ليله كوفىء فى نهاره، ومن صدق فى ترك شهوة ذهب الله بها من قلبه، والله أكرم من أن يعذب قلبا بشهوة تركت له.
- * خير السخاء ما وافق الحاجة.
- * إذا سكنت الدنيا فى قلب ترحلت منه الآخرة.
- * الوارد الصادق أن يصدق ما فى قلبه ما نطق به لسانه.
- * من صدق كوفىء، ومن أحسن عوفى.
- * ربما يقع فى قلبى النكتة من نكت القوم أياما فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنَّة.
- * كل عمل ليس له ثواب فى الدنيا ليس له ثواب فى الآخرة.
- * إذا جاع القلب وعطش صفا ورقاً، وإذا شبع وروى عمى.
- * وقال له أحمد بن الحواري: صليت صلاة فى خلوة فوجدت لها لذة. فقال الداراني: أى شىء لذك منها؟ قال: حيث لم يرني أحد. فقال: إنك لضعيف حيث خطر بقلبك ذكر الخلق.

* وقال له ابن الحواري: إذا خرجت الشهوات من القلب أى اسم يقع عليه؟ زاهد؟ ورع؟ ماذا؟ فقال: إذا سلا عن الشهوات فهو راض.

* اجعل ما طلبت من الدنيا فلم تظفر به بمنزلة ما لم يخطر ببالك ولم تطلبه.

* العيال يضعفون يقين صاحب اليقين، لأنه إذا كان وحده فجاج فرح، وإذا كان له عيال فجاجوا طلب لهم، وإذا جاء الطلب فقد ضعف اليقين.

* أبلغ الأشياء فيما بين الله وبين العبد المحاسبة.

* آخر أقدام الزاهدين أول أقدام المتوكلين.

* من لطائف المعارض قوله تعالى: «ألا الله الدين الخالص»، تهديد بلطف.

* لكل شئ مهر، ومهر الجنة ترك الدنيا بما فيها.

* لكل شئ حلية، وحلية الصدق الخشوع.

* إذا ترك الحكيم الدنيا، فقد استنار بنور الحكمة.

* لكل شئ معدن، ومعدن الصدق قلوب الزاهدين.

* لكل شئ علم، وعلم الخذلان ترك البكاء.

* من توسل إلى الله بتلف نفسه حفظ الله عليه نفسه، وحكمه في جنته.

* أفضل الأعمال خلاف هوى النفس.

* من أراد واعظا بينا، فلينظر إلى اختلاف الليل والنهار.

* علموا النفوس الرضا بمجرد المقذور، فنعم الوسيلة إلى درجات المعرفة.

* إذا سكن الخوف القلب أحرقت الشهوات، وطرده الغفلة من القلب.

* لكل شئ صدأ، وصدأ نور القلب شبع البطن.

* من أظهر الانقطاع إلى الله فقد وجب عليه خلع ما دونه من رقبته.

* من كان الصدق وسيلته، كان الرضا من الله جائزته.

* اكل شئ صدق، وصدق اليقين الخوف من الله تعالى.

* لو أن محزوننا بكى في أمة لرحم الله تلك الأمة:

معروف الكرخي

ومنهم أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي. ويقال: معروف بن الفيروزان. ويقال: معروف بن علي.

ويلقب بالزاهد، وهو من جلة المشايخ وقدمائهم، والمعروفين بالورع والفتوة. كان أستاذ سرى السقطى، وصحب داود الطائي.

وكان معروف أسلم على يد علي بن موسى الرضا، وكان بعد إسلامه يحجبه، فزدحم الشيعة يوماً على باب علي بن موسى، فكسروا أضلع معروف، فمات، ودفن ببغداد، وقبره ببغداد ظاهر، ويتبرك الناس بزيارته.

ومن كلام معروف:

* اللهم إن نواصينا بيدك، لم تملكننا منها شيئاً، فإذا فعلت ذلك بنا، فكن أنت ولينا، واهدنا إلى سواء السبيل. وعن جابر أن النبي ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء.

* ما أكثر الصالحين، وأقل الصادقين في الصالحين.

* إذا أراد الله بعبد خيراً فتح عليه باب العمل، وأغلق عنه باب الجدل. وإذا أراد الله بعبد شراً أغلق عنه باب العمل، وفتح عليه باب الجدل.

* وقال له إبراهيم البكاء: أوصني. فقال معروف: توكل على الله، حتى يكون هو معلمك ومؤنسك وموضع شكواك، فإن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك.

* وحدث أبو زكريا الحمال قال: بال معروف على الشط ثم تيمم. ف قيل له: يا أبا محفوظ، الماء منك قريب. فقال: لعلّي لا أبلغه!

* غضوا أبصاركم، ولو عن شاة أنثى.

* حقيقة الوفاء إفاقة السر عن رقدة الغفلات، وفراغ الهم عن فضول الآفات.

* السخاء إثارة ما يحتاج إليه عند الإعسار.

* وقال له رجل: ما شكرت معروفى؟ فقال: كان معروفك من غير محتسب، فوقع عند غير شاكر.

* علامة مقت الله العبد أن تراه مشتغلاً بما لا يعنيه من أمر نفسه.

* طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور، وارتجاء رحمة من لا

يطاع جهل وحمق.

* وسأله أبو سليمان الداراني عن الطائعين: بأى شيء قدروا على الطاعة؟ فقال: بإخراج الدنيا من

قلوبهم، ولو كان منها شيء في قلوبهم ما صحت لهم سجدة.

- * وسئل: بم تخرج الدنيا من القلب؟ فقال: بصفاء الود وحسن المعاملة.
- * وسئل عن المحبة فقال: المحبة ليست من تعليم الخلق، إنما هي من مواهب الحق وفضله.
- * للفتيان علامات ثلاث: وفاء بلا خوف، ومدح بلا جود، وعطاء بلا سؤال.
- * وكان يعاتب نفسه ويقول: يا مسكين! كم تبكى وتندب؟ أخلص تخلص!
- * وسئل: ما علامة الأولياء؟ فقال: ثلاثة: همومهم لله، وشغلهم فيه، وفرارهم إليه.
- * ليس للعارف نعمة، وهو في كل نعمة.
- * قلوب الطاهرين تشرح بالتقوى، وتزهر بالبر. وقلوب الفُجَّار تظلم بالفجور، وتعمى بسوء النية.
- * إذا أراد الله بعبده خيراً فتح عليه باب العمل، وأغلق عنه باب الفترة والكسل.

حاتم الأصم

- ومنهم أبو عبد الرحمن حاتم بن عنوان بن يوسف الأصم. وهو من قدماء مشايخ خراسان، من أهل بلخ. صحب شقيق بن إبراهيم، وكان أستاذاً أحمد بن خضرويه، وهو مولى للمثنى بن يحيى المحاربي، وله ابن يقال له «خشنام».
- مات حاتم في «واشجرد»- من قرى ما وراء النهر نحو ترمذ- عند رباط يقال له «رأس سرونند» على جبل فوق «واشجرد»، سنة سبع وثلاثين ومائتين.
- وأسند الحديث:
- عن أنس أن النبي ﷺ قال: «صلِّ صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار، وسلِّم إذا دخلت بيتك يكثر خير بيتك».

ومن كلام حاتم الأصم:

- * من دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت: موت أبيض، وموت أسود، وموت أحمر، وموت أخضر. فالموت الأبيض الجوع، والموت الأسود احتمال أذى الناس، والموت الأحمر مخالفة النفس، والموت الأخضر طرح الرقاع بعضها على بعض.
- * كان يقال: العجلة من الشيطان إلا في خمس: إطعام الطعام إذا حضر ضيف، وتجهيز الميت إذا مات، وتزويج البكر إذا أدركت، وقضاء الدين إذا وجب، والتوبة من الذنب إذا أذنب.
- * من أصبح وهو مستقيم في أربعة أشياء فهو يتقلب في رضا الله: أولها الثقة بالله، ثم التوكل، ثم الإخلاص؛ ثم المعرفة... والأشياء كلها تتم بالمعرفة.

- * الواثق من رزقه من لا يفرح بالغنى، ولا يهتم بالفقر، ولا يبالي أصبح في عسر أو يسر.
- * يعرف الإخلاص بالاستقامة، والاستقامة بالرجاء، والرجاء بالإرادة، والإرادة بالمعرفة.
- * لكل قول صدق، ولكل صدق فعل، ولكل فعل صبر، ولكل صبر حسبة، ولكل حسبة إرادة، ولكل إرادة أثر.
- * أصل الطاعة ثلاثة أشياء: الخوف والرجاء والحب. وأصل المعصية ثلاثة أشياء: الكبر والحرص والحسد.
- * المنافق ما أخذ من الدنيا يأخذ بالحرص، ويمنع بالشك، وينفق بالرياء. والمؤمن يأخذ بالخوف، ويمسك بالسنة، وينفق لله خالصا في الطاعة.
- * اطلب نفسك في أربعة أشياء: العمل الصالح بغير رياء، والأخذ بغير طمع، والعطاء بغير منة، والإمسك بغير بخل.
- * النصيحة للخلق إذا رأيت إنسانا في الحسنة أن تحثه عليها، وإذا رأيت في معصية أن ترحمه.
- * عجبت ممن يعمل بالطاعات، ويقول: عملت ذلك ابتغاء مرضاة الله، ثم تراه أبدا ساخطا على الله، رادا لحكمه. أتريد أن ترضيه ولست براض عنه؟ كيف يرضى عنك وأنت لم ترض عنه؟
- * إذا أمرت الناس بالخير فكن أولى به وأحق، واعمل بما تأمر، وكذا بما تنهى.
- * الجهاد ثلاثة: جهاد في سرِّك مع الشيطان حتى تكسره، وجهاد في العلانية في أداء الفرائض حتى تؤديها، وجهاد مع أعداء الله في غزو الإسلام.
- * الشهوة ثلاثة: شهوة في الأكل، وشهوة في الكلام، وشهوة في النظر... فاحفظ الأكل بالشفقة، واللسان بالصدق، والنظر بالعبرة.
- * من فُتح عليه شيء في الدنيا فلم يتحر الخلاص منه، ولم يعمل في إخراجه، فقد أظهر حب الدنيا.
- * ما من صباح إلا والشيطان يقول لى: ما تأكل؟ وما تلبس؟ وأين تسكن؟ فأقول: أكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبر.
- * وقال رجل لحاتم: ما تشتهي؟ قال: أشتهى عافية يومى إلى الليل. فقيل له: أليست الأيام كلها عافية؟ فقال: إن عافية يومى ألا أعصى الله فيه.
- * أربعة يندمون على أربعة: المقصر إذا فاته العمل، والمنقطع عن أصدقائه إذا نابته نائبة، والممكّن منه عدوه بسوء رأيه، والجريء على الذنوب.

* العباء علم من أعلام الزهد، فلا ينبغي لصاحب الزهد أن يلبس عباء بثلاثة دراهم ونصف، وفي قلبه شهوة بخمسة دراهم، أما يستحي من الله أن تجاوز شهوة قلبه عباءه؟!
* الزم خدمة مولاك تأتلك الدنيا راغمة، والجنة عاشقة.
* تعهد نفسك في ثلاثة مواضع: إذا عملت فاذا ذكر نظر الله إليك، وإذا تكلمت فاذا ذكر سمع الله إليك، وإذا سكنت فاذا ذكر علم الله فيك.

* القلوب خمسة: قلب ميت، وقلب مريض، وقلب غافل، وقلب متنبه، وقلب صحيح سالم.
* وقال رجل لحاتم: عظني. فقال: إن كنت تريد أن تعصى مولاك فاعصه في موضع لا يراك.
* من ادعى ثلاثا بغير ثلاث فهو كذاب: من ادعى حب الله من غير ورع عن محارمه فهو كذاب، ومن ادعى حب الجنة من غير إنفاق ماله فهو كذاب، ومن ادعى حب النبي ﷺ من غير محبة الفقر فهو كذاب.

أحمد بن أبي الحواري

ومنهم أبو الحسن أحمد بن ميمون أبي الحواري، من أهل دمشق. صحب أبا سليمان الداراني، وغيره من المشايخ، مثل: سفيان بن عيينة، ومروان بن معاوية الفزاري، ومضاء بن عيسى، وبشر بن السري، وأبي عبد الله النباجي.

وله أخ يقال له: محمد، يجرى مجراه في الزهد والورع، وابنه: عبد الله من الزهاد، وأبوه كان من العارفين الورعين أيضاً... فبيتهم بيت الورع والزهد.
مات أحمد سنة ثلاثين ومائتين.

وأسند الحديث:

عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها... فأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاء شيء من الرزق أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته».
ومن كلامه:

* من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحب لها، أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه.
* أفضل البكاء بكاء العبد على ما فاته من أوقاته على غير الموافقة، أو بكاء على ما سبق له من المخالفة.
* من عمل بلا اتباع السنة فباطل عمله.
* من عرف الدنيا زهد فيها، ومن عرف الآخرة رغب فيها، ومن عرف الله أثر رضاه.

* علامة حب الله طاعة الله - وقيل حب ذكر الله - فإذا أحب الله العبد أحبه، ولا يستطيع العبد أن يحب الله حتى يكون الابتداء من الله بالحب له، وذلك حين عرف منه الاجتهاد في مرضاته.

* من لم يعرف نفسه فهو من دينه في غرور.

* ما ابتلى الله عبدا بشيء أشد من الغفلة والقسوة.

* في الرباط والغزو نعم المستراح، إذا ملَّ العبد من العبادة استراح إلى غير معضية.

* إن الله إذا أحب قوما أفادهم في اليقظة والنام؛ لأنهم طلبوا رضاه في اليقظة والنام.

* كلما ارتفعت منزلة القلب كانت العقوبة إليه أسرع.

* إنما كره الأنبياء الموت لانقطاع الذكر عنهم.

* إذا مرض قلبك بحب الدنيا وكثرة الذنوب فداوه بالزهد فيها وترك الذنوب.

* إذا حدثتك نفسك بترك الدنيا عند إدبارها فهو خدعة، وإذا حدثتك نفسك بتركها عند إقبالها فذاك!

* إذا رأيت من قلبك قسوة فجالس الذاكرين، واصحب الزاهدين، وأقلل مطعمك، واجتنب مرادك،

وروض نفسك على المكاره.

* الدنيا مزبلة ومجمع الكلاب. وأقل من الكلاب من عكف عليها، فإن الكلب يأخذ منها حاجته

وينصرف، والمحب لها لا يزالها بحال.

* من أحب أن يعرف بشيء من الخير أو يذكر به فقد أشرك في عبادته، لأن من عبد على المحبة لا يحب أن

يرى خدمته سوى محبوبه.

* إنى لأقرأ القرآن، فأنظر في آية فيحار عقلي فيها، وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم، ويسعمهم

أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الرحمن؟! أما لو فهموا ما يتلون، وعرفوا حقه، وتلذذوا به،

واستحلوا المناجاة به، لذهب عنهم النوم فرحا بما رزقوا ووفقوا.

أحمد بن خضرويه

ومنهم أبو حامد أحمد بن خضرويه البلخي، وهو من كبار مشايخ خراسان. صحب أبا تراب النخشبى،

وحاتما الأصم، ورحل إلى أبي يزيد البسطامى. وهو من مذكورى مشايخ خراسان بالفتوة، ودخل نيسابور فى

زيارة أبى حفص النيسابورى الذى قيل له: من أجل من رأيت من هذه الطبقة؟ فقال: «ما رأيت أحدا أكبر

همة، ولا أصدق حالا، من أحمد بن خضرويه».

توفى سنة أربعين ومائتين.

ومن كلامه:

* ولئى الله لا يُسم نفسه بسيماه، ولا يكون له اسم يتسمى به.

* القلوب جواله: إما أن تجول حول العرش، وإما أن تجول حول الحش^(١).

* فى الحرية تمام العبودية، وفى تحقيق العبودية تمام الحرية.

* لا تتم معايشة متضادين فى دين أو فى دنيا.

* واستقرض أحمد بن خضرويه من رجل مائة ألف درهم. فقال له الرجل: ألتستم أنتم الزهاد فى الدنيا؟

ما تصنع بهذه الدراهم؟ قال: أشتري بها لقمة، فأضعها فى فم مؤمن، ولا أجتريء أن أسأل ثوابه من الله

تعالى. قال: لم؟ قال: لأن الدنيا كلها لا تزن عند الله جناح بعوضة، وما مائة ألف درهم فى الدنيا من جناح

بعوضة؟ لو أخذتها فطلبت بها شيئاً، ما الذى تعطى بها؟ والدنيا كلها لها هذا القدر؟!

* الصبر زاد المضطرين، والرضا درجة العارفين.

* من صبر على صبره فهو الصابر، لا من صبر وشكا.

* كنت فى طريق مكة، فوقعت رجلى فى شكال^(٢)، فكنت أمشى فرسخين وهو متعلق بها، فرأى بعض

الناس فنزعه عنى، ثم دفعنى، فقدمت بسطام، فابتدأنى أبو يزيد، فقال: الحال التى وردت عليك فى طريق

مكة، كيف كان حكمك مع الله فيها؟ قلت: أردت ألا يكون لى فى اختياره اختيار. فقال لى: يا فضولى، قد

اخترت كل شىء حيث كانت لك إرادة.

* من خدم الفقراء أكرم بثلاثة أشياء: التواضع، وحسن الأدب، وسخاوة النفس.

* الطريق واضح، والحق لائح، والداعى قد أسمع، فما التحير بعد هذا إلا من العمى.

* وقرىء بين يديه قول الله عز وجل: «ففرؤا إلى الله» فقال: أعلمهم بهذا أنه خير مفر.

* حقيقة المعرفة: المحبة له بالقلب، والذكر له باللسان، وقطع الهمة عن كل شىء سواه.

* القلوب أوعية، فإذا امتلأت من الحق أظهرت زيادة أنوارها على الجوارح، وإذا امتلأت من الباطل

أظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح.

* وقال له رجل: أوصنى. فقال: أمت نفسك حتى تحيها.

* أقرب الخلق إلى الله أوسعهم خلقاً.

* بلغنى أنه استأذن بعض الأغنياء على بعض الزهاد، فرآه- فى رمضان- يأكل خبزاً يابساً بملح، فرجع إلى

منزله وبعث إليه بألف دينار، فرده وقال: إن هذا جزاء من أفسى سره إلى مثلك.

(١) الحش: موضع قضاء الحاجة كالمرحاض.

(٢) الشكال: شىء كالقيد يوضع فى رجل الفرس.

* لا نوم أثقل من الغفلة، ولا رق أملك من الشهوة، ولولا ثقل الغفلة ما ظفرت بك الشهوة.

* ليس من طالبه الحق بآلائه كمن طالبه الحق بنعمائه.

* وسئل: أى الأعمال أفضل؟ فقال: رعاية السر عن الالتفات إلى شىء سوى الله تعالى.

يحيى بن معاذ الرازى

ومنهم يحيى بن معاذ جعفر الرازى، الواعظ. تكلم فى علم الرجاء، وأحسن الكلام فيه وكانوا ثلاثة أخوة: يحيى وإسماعيل وإبراهيم، أكبرهم سنًا إسماعيل، ويحيى أوسطهم، وأصغرهم إبراهيم، وكلهم كانوا زهادا.

وإبراهيم خرج مع يحيى إلى خراسان، وتوفى فيها بين نيسابور وبلخ. وقيل إنه مات فى بعض بلاد جوزجان - بخراسان - وخرج يحيى إلى بلخ، وأقام بها مدة، ثم رجع إلى نيسابور، ومات بها سنة ثمان وخمسين ومائتين.

وروى الحديث:

عن ابن عباس قال: «التقوى كرم الخلق وطيب المطعم».

وعن جابر قال: «كان رسول الله ﷺ دائم التفكير، طويل الأحران، قليل الضحك، إلا أن يتسم».

ومن كلام يحيى بن معاذ:

* من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الأقدار وكُل إلى المخلوقين.

* العبادة حرفة، حوانيتها الخلوة، ورأس مالها الاجتهاد بالسنة، وريحها الجنة.

* الصبر على الخلوة من علامات الإخلاص.

* الدنيا دار أشغال، والآخرة دار أهوال، ولا يزال العبد بين الأهوال والأشغال، حتى يستقر به القرار، إما

إلى الجنة وإما إلى النار.

* جميع الدنيا من أولها إلى آخرها لا يساوى غم ساعة، فكيف تغم عمرك فيها، مع قليل يصيبك منها؟

* ثلاث خصال من صفة الأولياء. الثقة بالله فى كل شىء، والغنى به عن كل شىء، والرجوع إليه فى كل

شىء.

* أولياؤه أسراء نعمه، وأصفياءه رهائن كرمه، وأحبأؤه عبيد منته، فهم عبيد محبة لا يعشقون، ورهائن كرمه

لا يفكون، وأسراء نعم لا يطلقون.

* كيف يكون زاهدا من لا ورع له؟ تورع عما ليس لك، ثم ازهد فيما لك.

- ❖ سقوط العبد من درجة ادعائها.
- ❖ جوع التوايين تجربة، وجوع الزاهدين سياسة، وجوع الصديقين تكرمة.
- ❖ طلب العاقل للدنيا أحسن من ترك الجاهل لها.
- ❖ لا يزال العبد مقرونا بالتواني، ما دام مقيما على وعد الأمانى.
- ❖ على قدر حبك لله تعالى يحبك الخلق، وبقدر خوفك من الله تعالى يهابك الخلق، وعلى قدر شغلك بالله يشتغل فى أمرك الخلق.
- ❖ ليس من تاه فيه كمن تاه بعجائب ما ورد عليه منه.
- ❖ الفوت أشد من الموت، لأن الفوت انقطاع عن الحق، والموت انقطاع عن الخلق.
- ❖ الوحدة منية الصديقين، والأنس بالناس وحشتهم.
- ❖ الزاهد صافى الظاهر، مختلط الباطن، والعارف صافى الباطن، مختلط الظاهر.
- ❖ أهل المعرفة وحش الله فى الأرض، لا يأتسون إلى أحد، والزاهدون غرباء فى الدنيا، والعارفون غرباء فى الآخرة.
- ❖ ابن آدم! مالك تأسف على مفقود لا يرده عليك الفوت؟ ومالك تفرح بموجود لا يتركه فى يدك الموت؟
- ❖ وقيل له: أخبرنا عن الله، ما هو؟ قال: إله واحد. قيل: كيف هو؟ قال: ملك قادر. قيل: أين هو؟ قال: بالمرصاد. قيل: ليس عن هذا أسألك. قال يحيى: فذاك صفة المخلوق، فأما صفة الخالق فما أخبرتك به.
- ❖ من سرَّ بخدمة الله سرَّت الأشياء كلها بخدمته، ومن قرَّت عينه بالله قرَّت عيون كل شىء بالنظر إليه.
- ❖ الزهد ثلاثة: القلة، والخلوة، والجوع.
- ❖ عند نزول البلاء تظهر حقائق الصبر، وعند مكاشفة المقدور تظهر حقائق الرضا.
- ❖ محبوب اليوم يعقب المكروه غدا، ومكروه اليوم يعقب المحبوب غدا.
- ❖ اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس: العلماء الغافلين، والقراء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين.
- ❖ من لم يعتبر بالمعينة لم يتعظ بالموعظة، ومن اعتبر بالمعينة استغنى عن الموعظة.
- ❖ العبرة بالأوتار، والمعتبر بالثقال.
- ❖ أبناء الدنيا تخدمهم الإماء والعبيد، وأبناء الآخرة يخدمهم الأبرار والأحرار.
- ❖ لا تريح على نفسك شىء أجل من أن تشغلها فى كل وقت بما هو أولى بها.

أبو حفص النيسابوري

ومنهم أبو حفص عمرو بن سلمة- وقيل ابن سلم- والأول أصح ، وهو من أهل قرية يقال لها «كورداباذ» على باب مدينة نيسابور إذا خرجت إلى بخارى.

صحب عبيد الله بن مهدي الأبيوردي، وعليها النصراباذي، ورافق أحمد بن خضرويه البلخي، وكان أحد الأئمة والسادة، انتمى إليه شاه بن شجاع الكرمانى، وأبو عثمان سعيد بن إسماعيل.

توفى أبو حفص سنة سبعين ومائتين. وقيل سنة سبع وستين ومائتين.

وقال مخممش الجلاب: «صحبت أبا حفص اثنتين وعشرين سنة ما رأيت ذكر الله تعالى على حد الغفلة والانبساط، وما يذكره إلا على سبيل الحضور والتعظيم والحرمة، فكان إذا ذكر الله تغيرت عليه حاله، حتى كان يرى ذلك جميع من حضره».

وكان أبو حفص إذا غضب تكلم في حُسن الخلق حتى يسكن غضبه، ثم يرجع إلى حديثه.

ومن كلامه:

* المعاصي بريد الكفر، كما أن الحمى بريد الموت.

* وقال مرة- وقد ذكر الله تعالى، وتغير عليه حاله- فلما رجع قال: ما أبعد ذكرنا من ذكر المحققين! فما أظن أن محققاً يذكر الله من غير غفلة، ثم يبقى بعد ذلك حياً، إلا الأنبياء، فإنهم أيدوا بقوة النبوة، وخواص الأولياء بقوة ولايتهم.

* من إهانة الدنيا أنى لا أبخل بها على أحد، ولا أبخل بها على نفسى، لاحتقارها واحتقار نفسى عندي.

* وقال محمد بن بحر الشجيني أخو زكريا: «كنت أخاف الفقر مع ما كنت أملك من المال. فقال لى يوماً أبو حفص: إن قضى الله عليك الفقر لا يقدر أحد أن يغنيك. فذهب خوف الفقر من قلبى رأساً».

* الفقير الصادق الذى يكون فى كل وقت بحكمه، فإذا ورد عليه وارد يشغله عن حكم وقته، يستوحش منه وينفيه.

* ما أعز الفقر إلى الله، وأذل الفقر إلى الأشكال، وما أحسن الاستغناء بالله، وأقبح الاستغناء بالثام.

* واجتمع مشايخ بغداد عند أبى حفص، وسألوه عن الفتوة، فقال: تكلموا أنتم فإن لكم العبارة واللسان. فقال الجنيد: الفتوة إسقاط الرؤية وترك النسبة. فقال أبو حفص: ما أحسن ما قلت، ولكن الفتوة عندي أداء الإنصاف، وترك مطالبة الإنصاف، فقال الجنيد: قوموا يا أصحابنا، فقد زاد أبو حفص على آدم وذريته.

* ولما أراد أبو حفص الخروج من بغداد شيعه من فيها من المشايخ والفتيان، فلما أرادوا أن يرجعوا قال له

بعضهم: دلنا على الفتوة، ما هي؟ فقال: «الفتوة تؤخذ استعمالاً ومعاملة، لا نطقاً» فتعجبوا من كلامه.
* وسئل: هل للفتى من علامة؟ قال: نعم، من يرى الفتيان، ولا يستحى منهم فى شمائله وأعماله، فهو فتى.

* ما دخل قلبى حق ولا باطل منذ عرفت الله.
* تركت العمل فرجعت إليه، ثم تركنى العمل فلم أرجع إليه.
* الكرم طرح الدنيا لمن يحتاج إليها، والإقبال على الله لاحتياجك إليه.
* وقال له رجل: إن فلانا من أصحابك، أبدا يدور حول السماع، فإذا سمع هاج وبكى ومزق ثيابه. فقال أبو حفص: أى شئ يعمل الغريق؟ يتعلق بكل شئ يظن نجاته فيه.
* حرست قلبى عشرين سنة، وحرصنى قلبى عشرين سنة، ثم وردت حالة صرنا فيها محروسين جميعاً.
* من تجرع كأس الشوق يهيم هياماً، لا يفيق إلا عند المشاهدة واللقاء.
* إذا رأيت المحب ساكناً هادئاً فاعلم أنه وردت عليه غفلة، فإن الحب لا يترك صاحبه يهدأ، بل يزعجه فى الدنو والبعد، واللقاء والحجاب.

* التصوف كله آداب، لكل وقت أدب، ولكل مقام أدب. فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال، ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب، ومردود من حيث يرجو القبول.
* الحال لا يفارق العلم، ولا يقارن القول.

* من يعطى ويأخذ فهو رجل، ومن يعطى ولا يأخذ فهو نصف رجل، ومن لا يعطى ولا يأخذ فهو همج لا خير فيه. وسئل أبو عثمان الخيرى النيسابورى راوى هذا الكلام عن أبى حفص عن معناه فقال: «من يأخذ من الله ويعطى لله فهو رجل، لأنه لا يرى فيه نفسه بحال، ومن يعطى ولا يأخذ فهو نصف رجل، لأنه يرى نفسه فى ذلك، فيرى أن له - بالأخذ - فضيلة، ومن لا يأخذ ولا يعطى فهو همج، لأنه يظن أنه الآخذ والمعطى، دون الله تعالى».

* ما استحق اسم السخاء من ذكر العطاء أو لمحه بقلبه.
* وسئل عن قول الله عز وجل: «وعاشروهن بالمعروف» فقال: المعاشرة بالمعروف حسن الخلق مع العيال فيما ساءك، ومن كرهت صحبتها.

- * وسئل عن البخل فقال: ترك الإيثار عند الحاجة إليه.
- * وسئل: من الولي؟ فقال: من أيد بالكرامات، وغيب عنها.
- * ما ظهرت حالة عالية إلا من ملازمة أصل صحيح.
- * وسئل عن أحكام الفقر وآدابها على الفقراء فقال: حفظ حرمت المشايخ، وحسن العشرة مع الإخوان، والنصيحة للأصاغر، وترك الخصومات في الأرزاق، وملازمة الإيثار، ومجانبة الادخار، وترك صحبة من ليس من طبقتهم، والمعاونة في أمور الدين والدنيا.
- * وسئل: من العاقل؟ فقال: المطالب نفسه بالإخلاص.
- * وسئل عن العبودية، فقال: ترك ما لك، والتزام ما أمرت به.
- * من رأى فضل الله عليه في كل حال أرجو ألا يهلك.
- * لا تكن عبادتك لربك سبباً لأن تكون معبوداً.
- * إني لا أدعى حُسن الخلق، لأني أحس من نفسي سرعة الغضب وإن لم أظهره، ولا أدعى السخاء، لأني لست آمن من نفسي أن تلاحظ فعله، أو تلتفت إليه، أو تذكر عطاءه وقتنا ما.
- * حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن، لأن النبي ﷺ قال: «لو خشع قلبه لخشعت جوارحه»^(١).
- * وسئل: ما البدعة؟ فقال: التعدي في الأحكام، والتهاون في السنن، واتباع الآراء والأهواء، وترك الاقتداء والاتباع.
- * وسئل: من الرجال؟ فقال: القائمون مع الله تعالى بوفاء العهود. قال الله تعالى: «رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه».

* الإيثار أن تقدم حظوظ الإخوان على حظك، في أمر آخرتك ودنياك.

حمدون القصار

ومنهم أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصار النيسابوري، شيخ أهل الملامة بنيسابور، ومنه انتشر مذهب الملامة.

صحب سلم بن الحسن الباروسي، وأبا تراب النخشي، وعلياً النصراباذي. وكان عالماً فقيهاً، ويذهب

(١) هذا حديث ضعيف.

مذهب الثورى، وطريقته طريقة اختص هو بها، ولم يأخذ عنه طريقته أحد من أصحابه، كأخذ عبد الله بن محمد بن منازل صاحبه عنه.

توفى حمدون سنة إحدى وسبعين ومائتين بنيسابور، ودفن فى مقبرة الحيرة.
وأسند الحديث:

عن أبى برزة الأسلمى قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وأين وضعه، وعن علمه ما عمل فيه». ومن كلامه:

* سئل: متى يجوز للرجل أن يتكلم على الناس؟ فقال: إذا تعين عليه أداء فرض من فرائض الله تعالى فى علمه، أو خاف هلاك إنسان فى بدعة، يرجو أن ينجيه الله تعالى منها بعلمه.

* وقيل له: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟ فقال: لأنهم تكلموا لعز الإسلام، ونجاة النفوس، ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفس، وطلب الدنيا، وقبول الخلق.

* أصل رفع الألفة من بين الإخوان حب الدنيا.

* وتكلموا بين يديه يوماً فى حفظ الأمانات فقال: قد تحملت من الأمانة ما لو اشتغلت به لشغلك عن كل أمانة بعدها.

* وقال رجل من أصحابه: كيف أعمل؟ لا بد لى من معاملة هؤلاء الجند، فماذا ترى لى؟ فقال: إن كنت تعلم يقينا أنك خير منهم، فلا تعاملهم.

* وسأله يوماً أبو القاسم المنادى عن مسألة، فقال له حمدون: أرى فى سؤالك قوة وعزة نفس، أتظن أنك بلغت بهذا السؤال الحال الذى تخبر عنه؟ أين طريقة الضعف والفقر، والتضرع والالتجاء؟ عندى أن من ظن نفسه خيراً من نفس فرعون فقد أظهر الكبير.

* مذ علمت أن للسلطان فراسة فى الأشرار ما خرج خوف السلطان من قلبى.

* إذا رأيت سكران فتمايل لثلاثن علىه، فتبتلى بمثل ذلك.

* وقال له ابن منازل: أوصنى. فقال حمدون: إن استطعت ألا تغضب لشيء من الدنيا فافعل.

* من ضيع عهد الله عنده فهو لآداب شريعته أضيع، لأن الله تعالى يقول: «وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً».

* استعانة المخلوق بالمخلوق كاستعانة المسجون بالمسجون.
* وقال له رجل: أوصني بوصية. فقال: إن استطعت أن تصبح مفوضاً - لا مدبراً - فافعل.
* قعود المؤمن عن الكسب إلخاف في المسألة.
* من أصبح وليس له هم إلا طلب قوت من حلال، وهم ما جرى في سابق العلم له أو عليه، فإنه يتفرغ إلى كل شيء.

* من تحقق في حال لا يخبر عنه.
* أوصيكم بشيئين: صحبة العلماء، والاحتمال عن الجهال.
* من شغله طلب الدنيا عن الآخرة ذلٌّ: إما في الدنيا، وإما في الآخرة.
* من نظر في سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال.
* كفايتك تساق إليك باليسر من غير تعب، وإنما التعب في طلب الفضول.
* وسئل عن الزهد فقال: الزهد عندي ألا تكون بما في يدك أسكن قلباً منك بضمان سيدك.
* من غفلة العبد أن يتفرغ من أمر ربه إلى سياسة نفسه.
* لا يجزع من المصيبة إلا من يتهم ربه.
* الكياسة تورث العجب.

* لا أحد أدون ممن يتزين لدار فانية، ويتجمل لمن لا يملك ضره ونفعه.
* تهاون بالدنيا، حتى لا يعظم في عينيك أهلها ومن يملكها.
* جمال الفقير في تواضعه، فإذا تكبر بفقره فقد أربى على الأغنياء في التكبر.
* لا تفش على أحد ما تحب أن يكون مستورا منك.
* من رأيت فيه خصلة من الخير فلا تفارقه، فإنه يصيبك من بركاته.
* وسئل عن طريق الملامة، فقال: خوف القدرية ورجاء المرجئة.
* من استطاع منكم ألا يعمى عن نقصان نفسه فليفعل.

منصور بن عمار

ومنهم أبو السرى منصور بن عمار، من أهل «مرو»، وأصله منها، من قرية يقال لها «دندانقان»، ويقال إنه من أهل «أبيورد»، ويقال إنه من أهل «بوشنج». أقام بالبصرة، وكان من أحسن الناس كلاماً في الموعظة، وكان من حكماء المشايخ.

وأُسند الحديث:

عن جابر رضى الله عنه أن فتى من الأنصار يقال له « ثعلبة بن عبد الرحمن » كان يحف برسول الله ﷺ ويخدمه، ثم إنه مر بباب رجل من الأنصار فاطلع فيه، فوجد امرأة الأنصارى تغتسل، فكرر النظر، فخاف أن ينزل الوحي على رسول الله ﷺ بما صنع، فخرج هاربا من المدينة استحياء من رسول الله ﷺ، حتى أتى جبالا بين مكة والمدينة فوجهها، فسأل عنه رسول الله ﷺ أربعين يوما، وهى الأيام التى قالوا: «ودعه ربه وقلاه».

فنزل جبريل عليه السلام فقال: إن ربك يقرئك السلام، ويخبرك أن الهارب من أمتك بين هذه الجبال يعوذ بى من نارى... فبعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب وسلمان الفارسى وقال: انطلقا فائتاني بثعلبة بن عبد الرحمن.

فخرجا فى أنقاب المدينة، فلقيهما راع من رعاة المدينة يقال له ذفافة، فقال له عمر: يا ذفافة، هل لك علم بشاب بين هذه الجبال؟ فقال ذفافة: لعلك تريد الهارب من جهنم؟ فقال عمر: ما علمك أنه هارب من جهنم؟ قال: إنه إذا كان نصف الليل خرج علينا من هذا الشعب، واضعا يده على أم رأسه، يبكى وينادى: يا ليتك قبضت روحى فى الأرواح، وجسدى فى الأجساد، ولا تجردنى لفصل القضاء.

فقال عمر: إياه نريد. فانطلق بهما ذفافة، حتى إذا كانا فى بعض الليل خرج عليهم وهو ينادى: يا ليتك قبضت روحى فى الأرواح، وجسدى فى الأجساد...

فعدا عليه عمر فأخذه، فلما سمع أحسه قال: الأمان الأمان! متى الخلاص من النار؟ قال له: أنا عمر بن الخطاب، قال له ثعلبة: أعلم رسول الله ﷺ بذنبى؟ قال: لا علم لى، إلا أنه ذكرك بالأمس فينا، وأرسلنى إليك. فقال: يا عمر، لا تدخلنى عليه إلا وهو يصلى، أو بلال يقول: قد قامت الصلاة. قال: أفعل.

فلما أتى به عمر المدينة وافى به المسجد ورسول الله ﷺ يصلى، فلما سمع قراءة رسول الله ﷺ خر مغشيا عليه، فدخل عمر وسلمان فى الصلاة وهو صريع، فلما سلم رسول الله، قال: يا عمر ويا سلمان، ما فعل ثعلبة بن عبد الرحمن؟ قالوا: هو ذا يا رسول الله. فأتاه رسول الله ﷺ فحركه ونبهه، ثم قال: ما الذى غيبك عنى؟ قال: ذنبى. قال: أفلا أعلمك آية تمحو الذنوب والخطايا. قال: بلى يا رسول الله. قال: قل «ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار». قال: إن ذنبى أعظم من ذلك. قال رسول الله ﷺ: بل كلام الله تعالى أعظم.

وأمره بالانصراف إلى منزله فانصرف، ومرض ثلاثة أيام، وأتى سلمان رسول الله ﷺ فقال: إن ثعلبة

مرض لما به. فقال رسول الله ﷺ: قوموا بنا إليه. فدخل رسول الله فأخذ برأسه فوضعه في حجره، فأزال رأسه عن حجر رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: لم أزلت رأسك عن حجرى؟ قال: لأنه ملآن من الذنوب. فقال له رسول الله: ما تجد؟ قال: أجد مثل ديبب النمل بين جلدى وعظمى. قال: فما تشتهى؟ قال: مغفرة ربي. قال: فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله فقال: يا أخى، إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول: لو لقيني عبدى بقراب الأرض خطيئة للقيته بقرابها مغفرة.

فأعلمه رسول الله بذلك، فصاح صبيحة فمات، فقام رسول الله فغسله وكفنه وصلى عليه، ثم احتمل إلى قبره، فأقبل رسول الله ﷺ يمشى على أطراف أنامله. قالوا: يا رسول الله، رأيناك تمشى على أطراف أناملك. قال: لم أستطع أن أضع رجلى على الأرض من كثرة من شيعه من الملائكة!

ومن كلام منصور بن عمار:

- * سرورك بالمعصية إذا ظفرت بها شر من مباشرتك المعصية.
- * من جزع من مصائب الدنيا تحولت مصيبته فى دينه.
- * من اشتغل بذكر الناس انقطع عن ذكر الله تعالى.
- * وقال لرجل عصى بعد توبته: ما أراك رجعت عن طريق الآخرة إلا من الوحشة، لقله سالكيها.
- * وقال لرجل: اترك نهمة الدنيا تسترح من الغم، واحفظ لسانك تسترح من المعذرة.
- * قلوب العباد كلها روحانية، فإذا دخلها الشك والخبث امتنع منها روحها.
- * إن الحكمة تنطق فى قلوب العارفين بلسان التصديق، وفى قلوب الزاهدين بلسان التفضيل، وفى قلوب العباد بلسان التوفيق. وفى قلوب المرئدين بلسان التفكير، وفى قلوب العلماء بلسان التذكر.
- * الناس رجلان: مفتقر إلى الله، فهو فى أعلى الدرجات على لسان الشريعة، والآخر لا يرى الافتقار، لما علم من فراغ الله من الخلق والرزق، والأجل والسعادة، فهو فى افتقاره إليه واستغنائه به.
- * سبحان من جعل قلوب العارفين أوعية الذكر، وقلوب أهل الدنيا أوعية الطمع، وقلوب الزاهدين أوعية التوكل، وقلوب الفقراء أوعية القناعة، وقلوب المتوكلين أوعية الرضا.
- * الناس رجلان: عارف بنفسه، فشغله فى المجاهدة والرياضة، وعارف بربه، فشغله بخدمته وعبادته ومرضاته.

(١) قراب الأرض: ما يقارب ملائمتها.

* أحسن لباس العبد التواضع والانكسار، وأحسن لباس العارفين التقوى، قال الله تعالى: «ولباس التقوى ذلك خير».

* سلامة النفس في مخالفتها، وبلاؤها في متابعتها.

أحمد بن عاصم الأنطاكي

ومنهم أبو عبد الله أحمد بن عاصم الأنطاكي. وقيل كنيته: أبو علي. من أقران بشر بن الحارث، والسري، والحارث المحاسبي، ويقال إنه رأى الفضيل بن عياض.

تُروى عن كلام أحمد بن عاصم:

* قرّة العين وسعة الصدر وروح القلب وطيب النفس من أمور أربعة: الاستبانة للحجة، والأنس بالأحبة، والثقة بالعدة، والمعاينة للغاية.

* أنفع العقل ما عرفك نعم الله تعالى عليك، وأعانك على شكرها، وقام بخلاف الهوى.

* وسئل عن الإخلاص، فقال: إذا عملت عملاً صالحاً فلم تحب أن تذكر به، وتعظم من أحل عملك، ولم تطلب ثواب عملك من أحد سواه، فذلك إخلاص عملك.

* أنفع التواضع ما نفى عنك الكبر، وأمات منك الغضب.

* أنفع الإخلاص ما نفى عنك الرياء والتزين والتصنع.

* أنفع الفقر ما كنت به متجعلاً وبه راضياً.

* أنفع الأعمال ما سلمت من آفاتهما، وكانت مقبولة منك.

* من علامة قلة معرفة العبد بنفسه قلة الحياء وقلة الخوف.

* أضر المعاصي عملك الطاعات بالجهل، هو أضر عليك من المعاصي بالجهل.

* العدل عدلان: عدل ظاهر فيما بينك وبين الناس، وعدل باطن فيما بينك وبين الله تعالى. وطريق العدل

طريق الاستقامة، وطريق الفضل طريق الفضيلة.

* اليقين نور يجعله الله في قلب العبد، حتى يشاهد به أمور آخرته، ويحرق بقوته كل حجاب بينه وبين ما في الآخرة، حتى يطالع تلك الأمور كالمشاهد لها.

* إذا طلبت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك.

* اعمل على أن ليس في الأرض أحد غيرك، ولا في السماء أحد غيره.

* العاقل من عقل عن الله عز وجل مواعظه، وعرف ما يضره مما ينفعه.

* أمام كل عمل علم، وأمام كل علم عناية.

* هذه غنيمة باردة: أصلح ما بقى، يغفر لك ما مضى.

* قال الله تعالى: «إنما أموالكم وأولادكم فتنة» ونحن نستزيد من الفتنة.

عبد الله بن خبيق الأنطاكي

ومنهم أبو محمد عبد الله بن خبيق بن سابق الأنطاكي. وأصله من الكوفة، ولكنه من الناقلين إلى أنطاكية. صحب يوسف بن أسباط، وهو من زهاد الصوفية، والأكلين من الحلال، والورعين في جميع أحواله: وطريقته في التصوف طريقة النوري، فإنه صحب أصحابه. وأسند الحديث:

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق: «إن خلقي أحسدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً..» وذكر الحديث.

ومن كلامه:

* قال لفتح بن شخرف: يا خراساني، إنما هي أربع لا غير: عينك، ولسانك، وقلبك، وهواك. فانظر عينك لا تنظر بها إلى ما لا يحل لك، وانظر لسانك لا تقل به شيئاً يعلم الله خلافه من قلبك، وانظر قلبك لا يكن فيه غل ولا حقد على أحد من المسلمين، وانظر هواك لا تهو شيئاً من الشر... فإذا لم يكن فيك هذه الأربع فقد شقيت.

* إذا دنا الرجل القاريء من معصية يقول القرآن في جوفه: ما لهذا حملتني.

* خلق الله القلوب مساكن الذكر، فصارت مساكن للشهوات ولا يحجوا الشهوات من القلوب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق.

* لكل تاجر رأس مال، ورأس مال صاحب الحديث الصدق.

* لا يستغنى حال من الأحوال عن الصدق، والصدق مستغن عن الأحوال كلها.. ولو صدق العبد فيما بينه وبين الله حقيقة الصدق لاطلع على خزائن من خزائن الغيب، وكان أميناً في السموات والأرض.

* من أراد أن يعيش غنياً في حياته فلا يسكن الطمع قلبه .

* إن استطعت ألا يسبقك أحد إلى مولاك فافعل، ولا تؤثر على مولاك شيئاً.

* لا تغتم إلا من شيء يضرك غداً، ولا تفرح إلا بشيء يسرك غداً.

* ما بقى على وجه الأرض أحد إلا مستوحش منه.. أولهم أنا.

* علامة الألفة قلة الخلاف وبذل المعروف.

- * أنفع الخوف ما حجزك عن المعاصي، وأطال منك الحزن على ما فاتك.
- * وحشة العباد عن الحق أوحشت منهم القلوب ولو أنسوا بربهم، ولزموا الحق، لاستأنس بهم كل أحد.
- * أنفع الرجاء ما سهل عليك العمل لإدراك ما ترجو.
- * وسئل: بما ألزم الحق في أحوالي؟ فقال: بإنصاف الناس من نفسك، وقبول الحق ممن هو دونك.
- * إخلاص العمل أشد من العمل، والعمل يعجز عنه الرجال.
- * طول الاستماع إلى الباطل يطفىء حلاوة الطاعة من القلب.

أبو تراب النخشي

- ومنهم أبو تراب عسكر بن محمد بن حصين صحب أبا حاتم العطار البصرى، وحائما الأصبم البلخى.
- وهو من جلة مشايخ خراسان، والمذكورين بالعلم، والفتوة، والتوكل، والزهد، والورع.
- قال ابن الفرجى: «رأيت حول أبى تراب من أصحابه عشرين ومائة صاحب ركوة، قعودا حول الأساطين، ما مات منهم على الفقر إلا أبو عبيد البصرى وابن الجلاء».
- وقال ابن الجلاء: «لقيت ستمائة شيخ، ما لقيت فيهم مثل أربعة: أولهم: أبو تراب النخشي».
- توفى في البادية - قيل نهشته السباع - سنة خمس وأربعين ومائتين. وأسند الحديث:
- عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب، فإن ربهم يطعمهم ويسقيهم».

ومن كلام أبى تراب النخشي:

- * يا أيها الناس: أنتم تحبون ثلاثة، وليست هي لكم: تحبون النفس وهي لله، وتحبون الروح والروح لله، وتحبون المال والمال للورثة. وتطلبون اثنين ولا تجدونهما: الفرج والراحة، وهما في الجنة.
- * وقال له على بن الحسين، وقد أخذ أبو تراب طريق البادية: لا بد من قوت. فقال: لا بد ممن لا بد منه!
- * أشرف القلوب قلب حى بنور الفهم عن الله تعالى.
- * سبب الوصول إلى الله سبع عشرة درجة، أدناها الإجابة، وأعلىها التوكل على الله بحقيقته.
- * ليس من العبادات شيء أنفع من إصلاح خواطر القلوب.
- * الفقير قوته ما وجد، ولباسه ما ستر، ومسكنه حيث نزل.
- * إذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل مباشرة العمل.
- * من شغل مشغولا بالله عن الله أدركه المقت من ساعته.

- ✽ التوكل طمأنينة القلب إلى الله عز وجل.
- ✽ وقال له رجل: ألك حاجة؟ فقال له: يوم يكون لى إليك وإلى أمثالك حاجة لا يكون لى إلى الله حاجة.
- ✽ حقيقة الغنى أن تستغنى عمن هو مثلك، وحقيقة الفقر أن تفتقر إلى من هو مثلك.
- ✽ الذى منع الصادقين الشكوى إلى غير الله الخوف من الله عز وجل.
- ✽ الكيس من عمال الله من حفظ حده مع الله تعالى، وترك العلم يجرى مجاربه.
- ✽ إن الله عز وجل ينطق العلماء فى كل زمان بما يشاكل أعمال أهل ذلك الزمان.
- ✽ احفظ همك فإنه مقدمة الأشياء، فمن صح له همه صح له ما بعد ذلك من أفعاله وأحواله.
- ✽ القناعة أخذ القوت من الله عز وجل.
- ✽ من استفتح أبواب المعاش بغير مفاتيح الأقدار وكُلَّ إلى حوله وقوته. فسئل: ما مفاتيح الأقدار؟ فقال: الرضا بما يرد عليه فى كل وقت من أسباب الغيب.

الطبقة الثانية

أبو القاسم الجنيد

منهم أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز، وكان أبوه يبيع الزجاج، فلذلك كان يقال له: القواريري. أصله من «نهاوند» - من بلاد الجبل - ومولده ومنشؤه بالعراق. وكان فقيهاً، تفقه على أبي ثور، وكان يفتى في حلقاته. وصحب السرى السقطي، والحارث المحاسبي، ومحمداً بن علي القصاب البغدادي، وغيرهم. وهو من أئمة القوم وساداتهم، مقبول على جميع الألسنة.

توفي سنة سبع وتسعين ومائتين، يوم نيروز الخليفة، يوم السبت. وقيل: توفي في آخر ساعة من يوم الجمعة، ودفن يوم السبت.

وأسند الحديث:

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «احذروا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى. وقرأ: (إن في ذلك لآيات للمتوسمين). قال: للمتفرسين».

ومن كلام الجنيد:

* القرب بالوجد جمع، والغيبة بالبشرية تفرقة.

* باب كل علم نفيس جليل بذل المجهود. وليس من طلب الله يبذل المجهود. كمن طلبه من طريق الجود.

* إن الله تعالى يخلص إلى القلوب من بره حسب ما خلصت القلوب به إليه من ذكره، فانظر ماذا خالط قلبك.

* يا ذاكر الذاكرين بما ذكره، ويا بادي العارفين بما عرفوه، ويا موفق العابدين لصالح ما عملوه.. من ذا الذي يشفع عندك إلا بإذنك؟ ومن ذا الذي يذكرك إلا بفضلك؟

* وسئل: من العارف؟ فقال: من نطق عن سرِّك وأنت ساكت.

* ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع، وترك الدنيا، وقطع المألوفات والمستحسنتات، لأن التصوف هو صفة المعاملة مع الله تعالى، وأصله التعزف عن الدنيا.. كما قال حارث: عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري.

* إنما هذا الاسم - يعني التصوف - نعت أقيم العبد فيه. فقال له أبو بكر الملاحقي: ياسيدي، نعت للعبد، أم نعت للحق؟ فقال: نعت للحق حقيقة، ونعت للعبد رسماً.

- * إنك لن تكون له على الحقيقة عبداً، وشيء مما دونه لك مسترق، وإنك لن تصل إلى صريح الحرية، وعليك من حقيقة عبوديته بقية.. فإذا كنت له وحده عبداً، كنت مما دونه حراً.
- * وذكر رجل عنده المعرفة فقال: «أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات، من باب البر والتقوى، إلى الله تعالى». فقال الجنيد: «إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهذه عندي عزيمة، والذي يسرق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا. وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله، وإليه رجعوا فيها.. ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة، إلا أن يحال بى دونها، وإنه لأؤكد فى معرفتى، وأقوى فى حالى».
- * وسئل الجنيد: من العارف؟ فقال: من لم بأسره لحظة ولا لفظه.
- * الغفلة عن الله تعالى أشد من دخول النار.
- * إن أمكنك ألا تكون آلة بيتك إلا خزفاً فافعل. وكذلك كانت آلة بيته.
- * الطرق كلها مسدودة على الخلق.. إلا من اقتضى أثر الرسول ﷺ، واتبع سنته، ولزم طريقته، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه.
- * حاجة العارفين إلى كلاءته ورعايته. قال تعالى: «قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن؟».
- * نصح قضاء كل حاجة من الدنيا تركها.
- * إذا لقيت الفقير فلا تبدأه بالعلم، وابدأه بالرفق، فإن العلم يوحشه، والرفق يؤنسه.
- * وقال للشبلى: يا أبكر، إذا وجدت من يوافقك على كلمة مما تقول، فتمسك به.
- * لا تقوم بما عليك حتى تترك مالك، ولا يقوى على ذلك إلا نبي أو صديق.
- * الأئس بالمواعيد، والتعويل عليها، خلل فى الشجاعة.
- * الوقت إذا فات لا يستدرك، وليس شيء أعز من الوقت.
- * فتح كل باب شريف بذل المجهود.
- * لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة، كان ما فاتة أكثر مما ناله.
- * أكثر الناس علما بالآفات، أكثرهم آفات.
- * وسأله رجل: من أصحاب؟ فقال: من تقدر أن تطلعه على ما يعلمه الله منك.
- * وقيل له مرة أخرى: من أصحاب؟ فقال: من يقدر أن ينسى ما له، ويقضى ما عليه.
- * الحياء من الله عز وجل أزال عن قلوب أوليائه سرور المنة.

* مقام الغريب ببغداد - بعد خمسة أيام - فضول.

* من نظر إلى ولي من أولياء الله تعالى، فقبله وأكرمه، أكرمه الله على رءوس الأشهاد.

* الرضا ثانى درجات المعرفة، فمن رضى صحت معرفته بالله، بدوام رضاه عنه.

* وقال جعفر الخلدي: رأيت الجنيد فى المنام، فقلت له: أليس كلام الأنبياء إشارات عن مشاهدات؟ فتبسم

وقال: كلام الأنبياء نبأ عن حضور، وكلام الصديقين إشارات عن مشاهدات.

* وكتب إلى بعض إخوانه يقول: من أشار إلى الله، وسكن إلى غيره، ابتلاه الله تعالى، وحجب ذكره عن قلبه،

وأجراه على لسانه.. فإن انتبه وانقطع ممن سكن إليه، كشف الله ما به من المحن والبلوى.. وإن دام على سكونه،

نزع الله تعالى من قلوب الخلق الرحمة عليه، وألبس لباس الطمع، فتزداد مطالبه منهم - مع فقدان الرحمة من

قلوبهم - فتصير حياته عجزاً، وموته كمداً، ومعاده أسفاً.. ونحن نعوذ بالله من السكون إلى غير الله.

* قد مشى رجال باليقين على الماء، ومن مات على العطش أفضل منهم يقيناً.

* من عرف الله لا يسر إلا به.

* وقال أبو عمرو الزجاجي: سألت الجنيد عن المحبة، فقال: تريد الإشارة؟ قلت: لا. قال: تريد الدعوى؟

قلت: لا. قال: فأى شئ تريد؟ قلت: عين المحبة. فقال: أن تحب ما يحب الله تعالى فى عباده، وتكره ما يكره

الله تعالى فى عباده.

* وقال رجل للجنيد: على ماذا يتأسف المحب من أوقاته؟ قال: على زمان بسط أورث قبضاً، أو زمان أنس

أورث وحشة. ثم أنشأ يقول:

قد كان لى مشرب يصفو برؤيتكم

فكدرته يد الأيام حين صفا

أبو الحسين النورى

ومنهم أبو الحسين النورى، واسمه أحمد بن محمد - وقيل: محمد بن محمد، وأحمد أصح - بغدادى

المولد والمنشأ، خراسانى الأصل، يعرف بابن البغوى. يقول ابن الأعرابى: «كان أبو الحسين النورى خراسانى

الأصل. من قرية بين هراة ومرو الروذ، يقال لها (بغشور)». لذلك كان يعرف بابن البغوى.

وكان من أجل مشايخ القوم وعلمائهم، لم يكن فى وقته أحسن طريقة منه، ولا أطف كلاماً.

صحب سرىا السقطى، ومحمد بن على القصاب، ورأى أحمد بن أبى الحوارى. توفى سنة خمس وتسعين

ومائتين.

وأُسند الحديث:

عن أنس رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من قضى لأخيه المسلم حاجة كان له من الأجر كمن خدم الله عمره»^(١).

ومن كلام النورى:

* الجمع بالحق تفرقة عن غيره، والتفرقة عن غيره جمع به.

* التصوف ترك كل حظ النفس.

* من وصل إلى وده أنس بقربه، ومن توسل بالوداد فقد اصطفاه من بين العباد.

* وأنشد الفرغانى لأبى الحسين النورى:

كم حسرة لى قد غصت مرارتها

جعلت قلبى لها وقفا لبلواكا

وحق ما منك ييلينى ويتلفنى

لأبكينك، أو أحظى بلقياكا

* وسئل عن الحبيب والخليل، فقال: ليس من طولب بالتسليم، كمن بادر بالتسليم.

* وسئل عن التصوف، فقال: ليس التصوف رسوما ولا علوما، ولكنها أخلاق.

* أهل الديانة موقوفون، وأهل التوحيد يسرون، وأهل الرضا يسترُوحون، وأهل الانقطاع يتحIRON. ثم قال: إن الحق إذا ظهر تلاشى كل ما حجب وستر.

* ولحقت أبا الحسين علة، ولحقت الجنيد علة فالجنيد أخبر عن وجدته، وأبو الحسين النورى كتم. فقيل له: لم

لم تخبر كما أخبر صاحبك؟ فقال: ما كنا لنبتلى ببلوى، فنوقع عليها اسم الشكوى. ثم أنشأ يقول:

إن كنت للسقم أهلا فأنت للشكر أهلا

عذب ، فلم يبق قلب يقول للسقم: مهلا!

فأعيد ذلك على الجنيد فقال: ما كنا شاكين، ولكن أردنا أن نكشف عن عين القدرة فينا. ثم بدأ يقول:

أجل ما منك يبدو لأنه عنك جلا

وأنت يا أنس قلبى

أفئتنى عن جميعى فكيف أرعى المحلا؟

(١) هذا الحديث ضعيف.

فبلغ ذلك الشبلى فبدأ يقول:

محتنى فيك أنى لا أبالى بمحتنى
يا شفائى من السقا م، وإن كنت علئى
تبت دهرا فمذ عرف تك ضيعت توبتى
قربكم مثل بعدكم فمتى وقت راحتى

* مقامات أهل النظر فى النظر شتى، فمتهم من كان نظره نظر التسلى، ومنهم من كان نظره نظر استفادة، ومنهم من كان نظره نظر عيان المكاشفة، ومنهم من كان نظره نظر المنافسة فى المشاهدة، ومنهم من كان نظره نظر المشاكلة والمائلة، ومنهم من كان نظره نظر طيب وملاحظة، ومنهم من كان نظره نظر إشراف ومطالعة. وكل واحد منهم أهل النظر.

* أعز الأشياء فى زماننا شيثان: عالم يعمل بعلمه، وعارف ينطق عن حقيقته.

* من عقل الأشياء بالله، فرجوعه فى كل شئ إلى الله.

* وسئل عن الفقير الصادق، فقال: الذى لا يتهم الله تعالى فى الأسباب، ويسكن إليه فى كل حال.

* وأنشد:

وكم رمت أمرا خرت لى فى انصرافه
فلا زلت بى منى أبر وأرحما
عزمت على ألا أحس بخاطر
على القلب إلا كنت أنت المقدم
وألا ترانى عندما قد كرهته
لأنك فى قلبى ... كبيرا معظما

* وأحضر مجلسا للسلطان، فقال له: من أين تأكلون؟ فقال: لسنا نعرف الأسباب التى تستجلب بها

الأرزاق، نحن قوم مدبرون!

أبو عثمان الحيرى النيسابورى

ومنهم أبو عثمان، سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيرى النيسابورى، وأصله من الرى.

صحب قديما يحيى بن معاذ الرازى، وشاه بن شجاع الكرمانى، ثم رحل إلى نيسابور، إلى أبى حفص، وصحبه وأخذ عنه طريقته.

وهو فى وقته من أوحد المشايخ فى سيرته، ومنه انتشرت طريقة التصوف فى نيسابور. سمعت عبدا لله بن

محمد بن عبدالرحمن الرازى يقول: «لقيت الجنيد ورويدا ويوسف بن الحسين ومحمد بن الفضل وأبا علي الجوزجاني، وغيرهم من المشايخ، فلم أرَ أحداً أعرف بالطريق إلى الله عز وجل من أبي عثمان». مات أبو عثمان بنيسابور، سنة ثمان وتسعين ومائتين.. ذكر ذلك محمد بن أحمد بن حمدان وقال: «صليت عليه».

وأسند الحديث:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات وعليه صوم شهر رمضان أطعم عنه وليه كل يوم مسكينا». وكتب أبو عثمان هذا الحديث في كتابه بخط يده.

ومن كلام أبي عثمان:

* أصل العداوة من ثلاثة أشياء: من الطمع في المال، والطمع في إكرام الناس، والطمع في قبول الناس.

* لا يكمل الرجل حتى يستوى قلبه في أربعة أشياء: في المنع، والعطاء، والعز، والذل.

* صلاح القلب في أربع خصال: في التواضع لله، والفقر إلى الله، والخوف من الله، والرجاء في الله.

* الموفق من لا يخاف غير الله، ولا يرجو غيره، فيؤثر رضاه على هوى نفسه.

* العجب يتولد من رؤية النفس وذكرها، ورؤية الخلق وذكرهم.

* قال له قائل: كنت أجد في قلبي حلاوة عند إقبال الليل، وأنا لا أجدها الساعة! فقال: لعلك سررت

بشيء من الدنيا فذهب بحلاوة ذلك من قلبك. وربما يعرفك الله بضعفك، ويريك قدرك، فيسلبك حلاوة

مناجاة الليل، حتى تتضرع إليه، فيرده عليك لثلاثاً تأمن مكره.

* الخوف من الله يوصلك إلى الله، والكبر والعجب في نفسك يقطعك عن الله، واحتقار الناس في نفسك

مرض عظيم لا يداوى.

* الناس على أخلاقهم، ما لم يخالف هواهم، فإذا خولف هواهم بان ذوو الأخلاق الكريمة من ذوى

الأخلاق اللثيمة.

* من جل مقداره في نفسه جل أقدار الناس عنده، ومن صغر مقداره في نفسه صغر أقدار الناس عنده.

* تعزوا بعز الله كى لاتذلوا.

* سرورك بالدنيا أذهب سرورك بالله من قلبك، وخوفك من غيره أذهب خوفك منه عن قلبك، ورجاؤك

من دونه أذهب رجاءك إياه من قلبك.

* العاقل من تأهب للمخاوف قبل وقوعها.

* قطيعة الفاجر غنم.
 * حق لمن أعزه الله بالمعرفة ألا يذله بالمعصية.
 * كان يقال: الأدب سند الفقراء وزين الأغنياء.
 * أوجب الله على نفسه العفو عن المقصرين من عباده، لذلك قال: «كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم».
 * الزهد في الحرام فريضة، وفي المباح فضيلة، وفي الحلال قرينة.
 * التفويض رد ما جهلت علمه إلى عالمه، والتفويض مقدمة الرضا، والرضا باب الله الأعظم.
 * الصبر على الطاعة حتى لاتفوتك الطاعة، والصبر عن المعصية حتى تنجو من الإصرار على المعصية.
 * الفراسة ظن وافق الصواب، والظن يخطئ ويصيب. فإذا تحقق في الفراسة تحقق في حكمها، لأنه إذ ذاك يحكم بنور الله تعالى لابنفسه.

* أصل التعلق بالخيرات قصر الأمل.
 * أنت في سجن ما تبعت مرادك وشهواتك. فإذا فوضت وسلمت استرحت.
 * الذكر الكثير أن تذكره في ذكرك له.. إنك لم تصل إلى ذكره إلا به وبفضله.
 * وسئل: كيف يستجيز العاقل أن يزيل اللائمة عمن يظلمه؟ فقال: ليعلم أن الله سلطه عليه.
 * اصحب الأغنياء بالتعزز، والفقراء بالتذلل، فإن التعزز على الأغنياء تواضع، والتذلل للفقراء شرف.
 * وسأله محفوظ بن محمود النيسابوري عن قول النبي ﷺ: «أعوذ بك منك». فقال: استعمل الصدق في اللفظتين المتقدمتين يبلغ فهمك إلى هذه الكلمة، وهو قوله: أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك.

* وسئل: ما علامة السعادة والشقاوة؟ فقال: علامة السعادة أن تطيع الله، وتخاف أن تكون مردودا. وعلامة الشقاوة أن تعصى الله، وترجو أن تكون مقبولا.
 * من صحب نفسه صحبه العجب، ومن صحب أولياء الله وفق للوصول إلى الطريق إلى الله.

أبو عبد الله بن الجلاء

ومنهم أبو عبد الله بن الجلاء، واسمه أحمد بن يحيى — ويقال محمد بن يحيى، وأحمد أصح — كان أصله من بغداد، أقام بالرملة ودمشق، وكان من جلة مشايخ الشام.
 صحب أباه يحيى الجلاء، وأبا تراب النخشي، وذا النون المصري، وأبا عبيد البسري. وكان أستاذا محمد بن داود الدقي.

وكان عالما ورعا. ويقول إسماعيل بن نجيد: «كان يقال: إن في الدنيا ثلاثة من أئمة الصوفية لارابع لهم: الجنيد ببغداد، وأبو عثمان بنيسابور، وأبو عبدالله بن الجلاء بالشام».

ومن كلامه:

* الحق استصحب أقواما للكلام، وأقواما للخلة. فمن استصحبه الحق لمعنى، ابتلاه بأنواع المحن... فليحذر أحدكم طلب رتبة الأكابر.

* من بلغ بنفسه إلى رتبة سقط عنها، ومن بلغ به ثبت عليها.

* 'وسأله رجل: على أى شرط أصحب الخلق؟ فقال: إن لم تبرهم فلا تؤذهم، وإن لم تسرهم فلا تسؤهم.

* لاتضيعن حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه من المودة والصدقة، فإن الله تعالى فرض لكل مؤمن حقوقا لا يضيعها إلا من لم يراعِ حقوق الله عليه.

* وسئل: كيف تكون ليالى الأحباب؟ فأنشأ يقول:

من لم يبت والحب حشو فؤاده

لم يدر كيف تفتت الأكباد

* يحتاج أن يكون للعبد شئ يعرف به كل شئ.

* من استوى عنده المدح والذم فهو زاهد، ومن حافظ على الفرائض فى أول مواعيتها فهو عابد، ومن رأى الأفعال كلها من الله عز وجل فهو موحد.

* وقال له رجل: ما تقول فى الرجل يدخل البادية بلا زاد؟ فقال: هذا من فعل رجال الله عز وجل. قال: فإن مات؟ قال: الدية على القاتل!

* اهتمامك بالرزق يزيلك عن الحق، ويفترك إلى الخلق.

* كل حق يشاركه باطل فقد خرج من قسمة الحق إلى قسمة الباطل، فإن الحق غيور.

* من غيرة الحق أن لم يجعل لأحد عليه طريقا، ولم يؤيس أحدا من الوصول إليه. وترك الخلق فى مفاوز التحير يركضون، وفى بحار الظن يغرقون. فمن ظن أنه واصل فاصله، ومن ظن أنه فاصل مناه.. فلاوصول إليه، ولامهرب عنه، ولابد منه.

* الدنيا أوسع رقعة وأكثر زحمة من أن يجفوك واحد فلايرغب فيك آخر. وأنشد:

تلقى بكل بلاد إن حللت بها

أهلا بأهل وجيرانا بجيران

* وسئل عن الحق فقال: إذا كان الحق واحدا يجب أن يكون طالبه وحدانى الذات.

* سمت همم العارفين إلى مولاهم، فلم تعكف على شئ سواه. وسمت همم المريدين إلى طلب الطريق إليه، فأفنوا نفوسهم في الطلب.
* من علت همته على الأكوان، وصل إلى مكنونها. ومن وقف بهمته على شئ سوى الحق، فاته الحق..
لأنه أعز من أن يرضى معه بشريك.

رويم بن أحمد البغدادي

ومنهم أبو محمد رويم بن أحمد بن يزيد - ويقال رويم بن محمد بن أحمد - والأول أصح.
وهو من أهل بغداد، ومن جلة مشايخهم.. وجده رويم بن يزيد. حدث عن الليث بن سعد وغيره.
وقيل: كنيته أبو بكر.
وكان فقيها على مذهب داود الأصبهاني، وكان مقرنا، فقرأ على إدريس بن عبدالكريم الحداد.
مات سنة ثلاث وثلاثمائة.
وأسند الحديث:

عن أنس بن مالك: أن رجلا لعن برغوثا عند النبي ﷺ، فقال النبي: «لاتلعه فإنه أيقظ نبيا من الأنبياء
للصلاة»(١).

ومن كلامه:

* سئل عن أدب المسافر، فقال: لا يجاوز همَّ قدمه، وحيثما وقف قلبه يكون منزله.
* لا يزال الصوفية بخير ما تنافروا، فإن اصطلمحوا هلكوا.
* من حكم الحكيم أن يوسع على إخوانه في الأحكام، ويضيق على نفسه فيها... فإن التوسعة عليهم اتباع العلم، والتضييق على نفسه من حكم الورع.
* إن الله تعالى غيب أشياء في أشياء: غيب مكره في حلمه، وغيب خداعه في لطفه، وغيب عقابه في كرامته.
* وقيل له: هل ينفع الولد صلاح الوالدين؟ فقال: من لم يكن بنفسه لا يكون بغيره، بل من لم يكن بربه لا يكون بنفسه، وأنشد:

إذا العود لم يثمر - وإن كان شعبة

من المثمرات - اعتده الناس في الخطب

(١) من رواية هذا الحديث سويد بن إبراهيم الجحدري. وقد ضعفه بعضهم. وقال ابن حبان عنه: «يروى الموضوعات عن الإنبات. وهو صاحب حديث البرغوث».

* وسئل عن حقيقة الفقر، فقال: أخذ الشيء من جهته، واختيار القليل على الكثير عند الحاجة.
* قعودك مع كل طبقة من الناس أسلم من قعودك مع الصوفية، فإن كل الخلق قعدوا على الرسوم، وهذه الطائفة قعدت على الحقائق. وطالب الخلق كلهم أنفسهم بطواهر الشرع، وطالبوا هم أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق... فمن قعد معهم، وخالفهم في شيء مما يتحققون فيه، نزع الله نور الإيمان من قلبه.
* لما عظمت فيهم البلية استحكمت عليهم الفتنة، واستصغروا عند ذلك كل مقام، وعزب عنهم التدبير والنظام.

* الإخلاص ارتفاع رؤيتك من الفعل.

* وسئل عن الفتوة فقال: أن تعذر إخوانك في زلاتهم، ولاتعاملهم بما تحتاج أن تعتذر منه.
* وقال محمد بن خفيف له: أوصني، فقال: أقل ما في هذا الأمر بذل الروح، فإن أمكنك الدخول مع هذا فيه، وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية.

* الصبر ترك الشكوى.

* الرضا استلذاذ البلوى.

* اليقين هو المشاهدة.

* يعاتب الخلق بالإرفاق، ويعاتب المحب بالغلظة. وأنشد لغيره:

لو كنت عاتبة لسكن عبرتي

أملى رضاك، وزرت غير مراقب

لكن مللت، فلم تكن لي حيلة

صد الملول خلاف صد العاتب

* التوكل إسقاط رؤية الوسائط، والتعلق بأعلى العلائق.

* وسئل عن المحبة، فقال: الموافقة في جميع الأحوال. وأنشد:

ولو قلت لي: مُتْ، مُتُّ سمعا وطاعة

وقلت لداعي الموت: أهلا ومرحبا

* الأنس أن تستوحش مما سوى محبوبك.

* وقيل له: كيف حالك؟ فقال: كيف يكون حال من دينه هواه، وهمته شقاه... ليس بصالح تقى، ولا عارف نقى.

* من أحب لعوض بغض العوض إليه محبوبه.

* وسئل عن الشوق فقال: أن تشوقه آثار المحبوب، وتفنيه مشاهدته.

يوسف بن الحسين الرازي

ومنهم أبو يعقوب يوسف بن الحسين الرازي، شيخ الري والجمال في وقته. كان أوحده طريقتة

في إسقاط الجاه، وترك التصنع، واستعمال الإخلاص.

صحب ذا النون المصري وأبا تراب النخشي، ورافق أبا سعيد الخراز في بعض أسفاره، وكان عالماً ديناً.

قال عبد الله بن عطاء: «مات يوسف سنة أربع وثلاثمائة».

وروى الحديث:

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من عشق فعف وكنتم ثم مات فهو شهيد» (١).

كما روى الحديث التالي:

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

ومن كلام يوسف بن الحسين:

* علم القوم بأن الله يراهم، فاستحيوا من نظره أن يراعوا شيئاً سواه.

* من ذكر الله بحقيقة ذكره نسي ذكر غيره، ومن نسي ذكر كل شيء في ذكره حفظ عليه كل شيء، إذ كان الله

له عوضاً من كل شيء.

* وقال له رجل: دلني على طريق المعرفة. فقال له: أر الله الصديق منك في جميع أحوالك، بعد أن تكون

موافقاً للحق، ولا ترق إلى حيث لم يرق بك فتزل قدمك، فإنك إذا رقيت سقطت، وإذا رقي بك لم تسقط.

وإياك أن تترك اليقين لما ترجوه ظناً.

* إذا رأيت الله قد أقامك لطلب شيء - وهو يمنحك ذلك - فاعلم أنك معذب.

* وسئل: بماذا يقطع الطريق إلى الله؟ قال: به وبخطاب كراماته ولطائف جذبه إلى ساحات توحيده ومروج

كراماته.

* يتولد الإعجاب بالعمل من نسيان رؤية المنة فيما يجرى الله لك من الطاعات.

(١) هذا الحديث فيه مقال، فقد ضعفه بعضهم، وأطال ابن القيم الحديث عنه في الجزء الثالث من كتابه «زاد المعاد»، وأنكره إنكاراً شديداً، وحكم

عليه بأنه موضوع. وكان بما قاله: «فإن هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ ولا يجوز أن يكون من كلامه».

* خفة المعدة من الشهوات والفضول، قوة على العبادة .

* وسئل عن الفقير الصادق، فقال: من أثر وقته، فإن كان فيه تطلع إلى وقت ثان لم يستحق اسم الفقر.

* من تفتت عذاره، وانقطع حزامه، وساح في مفاوز المخاطرات... تجرى عليه أحكام السعيات. وهو يقول في تيهه:

كيف السبيل إلى مرضاة من غضبا

من غير جرم، ولم أعرف له سببا؟

* أرغب الناس في الدنيا أكثرهم ذما لها عند أبنائها، لأن المذمة لها حرفة عندهم.

* أصل العقل الصمت، وباطن العقل كتمان السر، وظاهر العقل الاقتداء بالسنّة.

* أذل الناس: الفقير الطموح، والمحِبُّ لمحبوبه.

* الخير كله في بيت، ومفتاحه التواضع. والشر كله في بيت، ومفتاحه التكبر... ومما يدل على ذلك أن آدم

عليه السلام تواضع في ذنبه فنال العفو والكرامة، وأن إبليس تكبر فلم ينفعه شيء.

* بالأدب تفهم العلم، وبالعلم يصح لك العمل، وبالعمل تنال الحكمة، وبالحكمة تفهم الزهد وتوفق له،

وبالزهد تترك الدنيا، وتترك الدنيا ترغب في الآخرة، وبالرغبة في الآخرة تنال رضى الله.

* إذا أردت أن تعرف العاقل من الأحمق فحدثه بالمحال، فإن قبل فاعلم أنه أحمق.

* إن عين الهوى عوراء.

* عارضنى بعض الناس فى كلام، وقال لى: لا تستدرك مرادك من علمك إلا أن تتوب. فقلت مسجياً: لو أن

التوبة طرقت بابى ما أذنت لها، على أنى ألجؤ بها من ربي. ولو أن الصدق والإخلاص كانا لى عبدين،

لبعثهما زهداً منى فيهما... لأنى إن كنت عند الله فى علم الغيب سعيداً مقبولاً، لم أتخلف باقتراف الذنوب

والمآثم، وإن كنت عنده شقياً مخذولاً لم تسعدنى توبتى وإخلاصى وصدقى، وإن الله خلقنى إنساناً بلا عمل،

ولا شفيح كان لى إليه، وهدانى لدينه الذى ارتضاه لنفسه، فقال: «ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه

وهو فى الآخرة من الخاسرين».

فاعتمادى على فضله وكرمه أولى بى - إن كنت حراً عاقلاً - من اعتمادى على أفعالى المدخولة،

وصفائى المعلولة... لأن مقابلة فضله وكرمه بأفعالنا من قلة المعرفة بالكريم المتفضل.

* لولا أنى مستعبد بترك الذنوب لأحببت أن ألقاه بذنوب العباد أجمع، فإن هو عذبنى كان أعذر له فى

عذابي - مع أنه لو عذب الخلق جميعا كان عدلا منه - وإن عفا عني كان أظهر لكرمه عندهم في عفوهم، مع أنه لو لم يعف عن أحد من خلقه لكان ذلك منه فضلا وكرما، وكانت له الحجة البالغة... وذلك أن الملك ملكه، والسلطان سلطانه، والخلق مترددون بين عدله وفضله... بل الكل كرم وأفضال، فقد أحسن مع الكل حيث قال: «أدخلوا آل فرعون أشد العذاب». فمن عفا عنه فبفضله، ومن عذبه فبعدله، وهو إلى الفضل أقرب «لا يسأل عما يفعل وهم يسألون».

* في الدنيا طغيانان: طغيان العلم وطغيان المال.

فالذي ينجيك من طغيان العلم العبادة، والذي ينجيك من طغيان المال الزهد فيه.

* وسئل عن قول النبي ﷺ: «أرحنا بها يا بلال»، فقال: معناه أرحنا بها من أشغال الدنيا وحديثها، لأنه كان ﷺ قره عينه في الصلاة.

شاه الكرماني

ومنهم أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرماني، كان من أولاد الملوك. يقال أن أصله من «مرو» صحب أبا تراب النخشي، وأبا عبد الله الذراع البصري، وأبا عبيد البصري.

وكان من أجلة الفتيان، وعلماء هذه الطبقة، وله رسالات مشهورة، والمثلثة التي سماها «مرآة الحكماء».

ورد نيسابور في زيارة أبي حفص، ومعه أبو عثمان الحيري. ومات قبل الثلاثمائة.

ومن كلامه:

* شغل العارف بثلاثة أشياء: بالنظر إلى معبوده مستأنسا به، والملاحظة لمنته وفوائده شاكرا له، والتذكر لذنبه معترفا به ومنيبا تائبا إليه.

* من صحبك ووافقك على ما يحب، وخالفك فيما تكره، فإنما يصحب هواه، ومن صاحب هواه فهو طالب راحة الدنيا.

* اعملوا الطاعات أنزه ما يكون، وانظروا إليها أقدر ما يكون.

* لأهل الفضل فضل مالم يروه، فإن رأوه فلا فضل لهم. ولأهل الولاية ولاية مالم يروها، فإذا رأوها فلا ولاية لهم.

* الفتوة من طباع الأحرار، واللؤم من شيم الأندال. وما تعبد متعبد بأكثر من التحجب إلى أولياء الله بما يحبون.

* محبة أولياء الله تعالى دليل على محبة الله عزوجل.

* الإعراض عن الحق هو السخط.

- * علامة الركون إلى الباطل التقرب من المبطلين.
- * من عرف ربه طمع في عفوهِ، ورجا فضله.
- * علامة الحكمة معرفة أقدار الناس.
- * علامة التقوى الورع، وعلامة الورع الوقوف عند الشبهات، وعلامة الخوف الحزن، وعلامة الرجاء حسن الطاعة، وعلامة الزهد قصر الأمل.
- * ما أعجب عبد بنفسه حتى يكون محجوبا عن ربه.
- * من عرف ربه نسي كل مادونه، ومن جهل ربه تعلق بكل شئ دونه، ومن اعتز بالعلم فاز، ومن اعتز بالجهل خاب وخسر.

* الجاهل في ظلمة جهله، فكيف يكون إذا كان العالم في ظلمة علمه، وظلمة العلم أشدا

سمنون بن حمزة الحبّ

ومنهم أبو الحسن سمنون بن حمزة - ويقال سمنون بن عبد الله - الخواص، ويقال كنيته أبو القاسم، سمي نفسه سمنون الكذاب، لكتمه عسر البول بلا تضرر^(١).
صحب سريا السقطي، ومحمد بن علي القصاب، وأبا أحمد القلانسي.
وسوس، وكان يتكلم في المحبة بأحسن كلام، وهو من كبار مشايخ العراق، مات بعد الجنيد^(٢)
ومن كلامه:

* قال أبو الحسن بن زرعان: كنت عند سمنون فشهو شهقة ثم قال: لو صاح إنسان لشدة وجده بحبه للمأ ما بين الخافقين صياحا.
* إذا بسط الجليل غدا بساط المجد دخل ذنوب الأولين والآخريين في حاشية من حواشيه، وإذا أبدى عينا من عيون الجود ألحق المسىء بالمحسن.
* كنت ببيت المقدس، وكان برد شديد، وعلى جبة وكساء، وأنا أجد البرد والثلج يسقط... فإذا شاب مار في الصحن، عليه خرقتان، فقلت: يا حبيبي، لو استترت ببعض هذه الأروقة فيكنك من البرد؟ فقال لي: يا أخي سمنون:

(١) قيل إن سمنون أنشد:

فليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فامتحنى

إن كان يرجو سواك قلبي لانت سؤلى ولا التمنى

فأصابه احتباس البول، فكان يدور على الصبيان في المكاتب ويقول: «ادعوا لعمكم الكذاب».

(٢) توفى الجنيد - كما سبق في ترجمته - سنة سبع وتسعين ومائتين.

ويحسن ظني أننى فى فئائه

وهل أحد فى كنهه يجد القرا؟

* لا يعبر عن الشئ إلا بما هو أرق منه، ولا شئ أرق من المحبة، فبم يعبر عنها؟!

وأنشد:

أنت الحبيب الذى لا شك فى خلدى

منه ، فإن فقدتك النفس لم تعش

يامعطشى بوصول أنت واهبه

هل فىك لى راحة، إن صحت: واعطشى؟!

وأنشد:

أمسى بخدى للدموع رسوم

أسفا عليك، وفى الفؤاد كلوم

والصبر يحسن فى المصائب كلها

إلا عليك فإنه مذموم

* قال أبو الطيب العكى: ذكر لى أن سمنون كان جالسا على شاطئ الدجلة، وبيده قضيب يضرب به فخذه،

حتى بان عظم فخذه وساقه، وتبدد لحمه، وهو يقول:

كان لى قلب أعيش به

ضاع منى فى قلبه

ربّ فاردده علىّ فقد

ضاق صدرى فى تطلبه

وأغث ما دام بى رمق

يا غياث المستغيث به!

وأنشد:

يعاتبنى فىنبسط انقباضى

وتسكن روعتى عند العتاب

جرى فى الهوى مذ كنت طفلا
فمالى قد كبرت عن التصابى

وأشدد:

أحن بأطراف النهار صبابة
وفى الليل يدعونى الهوى فأجيب
وأيامنا تفتنى، وشوقى زائد
كأن زمان الشوق ليس يغيب

وأشدد:

وكان فؤادى خاليا قبل حبكم
وكان بذكر الخلق يلهو ويمزح
فلما دعا قلبى هواك أجابه
فلست أراه عن فنائك يرح
رميت بين منك، إن كنت كاذبا
إذا كنت فى الدنيا بغيرك أفرح
وإن كان شئ فى البلاد بأسرها
إذا غبت عن عينى بعينى يملح
فإن شئت واصلنى، وإن شئت لاتصل
فلست أرى قلبى لغيرك يصلح

* وسئل عن الفقير الصادق. فقال: الذى يأنس بالعدم كما يأنس الجاهل بالغنى، ويستوحش من الغنى كما
يستوحش الجاهل من الفقر.

وأشدد:

بكيه ودمع العين للنفس راحة
ولكن دمع الشوق ينكى به القلب
وذكرى لما ألقاه ليس بنافعى
ولكنه شئ يهيج به الكرب

فلو قيل لى: ماأنت ؟ قلت: معذب

بنار مواجيد يضررمها العتب

بليت بمن لا أستطيع عتابه

ويعتبنى حتى يقال لى الذنب

عمرو بن عثمان المكى

ومنهم أبو عبد الله عمرو بن عثمان بن كرب بن غصص المكى.

كان ينتسب إلى الجنيد فى الصحبة، ولقى أبا عبد الله النباجى، وصحب أبا سعيد الخراز، وغيره من المشايخ القدماء .

وهو عالم بعلم الأصول، وله كلام حسن. روى الحديث. وروى عن محمد بن إسماعيل، ويونس بن عبد الأعلى، وسليمان بن سيف الخرانى، وغيرهم.

مات ببغداد سنة إحدى وتسعين ومائتين، ويقال سنة سبع وتسعين، والأول أصح.

وروى الحديث.

عن عبد الله بن مسعود قال: كنا نقول قبل أن يفرض علينا التشهد: السلام على الله؛ السلام على فلان.

ومن كلامه:

* التوبة فرض على جميع المذنبين والعاصين، صغر الذنب أو كبر، وليس لأحد عذر فى ترك التوبة بعد ارتكاب المعصية، لأن المعاصى كلها قد توعد الله عليها أهلها، ولا يسقط عنهم الوعيد إلا بالتوبة، وهذا مما يبين أن التوبة فرض.

* اعلم أن كل ما توهمه قلبك، أو سنع فى مجارى فكرك، أو خطر لك فى معارضات قلبك - من حسن أو بهاء، أو أنس أو ضياء، أو جمال أو قبح، أو نور أو شبح، أو شخص أو خيال - فالله تعالى بعيد من ذلك كله، بل هو أعظم وأجل وأكبر. ألا تسمع إلى قوله تعالى: «ليس كمثله شئ» وإلى قوله: «لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد».

* البروءة التغافل عن زلل الإخوان.

* لا يقع على كيفية الوجد عبارة، لأنه سر الله تعالى عند المؤمنين الموقنين.

* لقد علم الله نبيه ﷺ ما فيه الشفاء وجوامع النصر وفواتح العبادة، فقال: «وإما ينزغك من الشيطان نزغ

فاستعد بالله إنه هو السميع العليم».

✽ المعرفة دوام محبة الله تعالى، ودوام مخافته، ودوام الإقبال عليه، ودوام انتصاب القلب بذكره... وهى علم القلوب بفسخ العزوم، وخلع الإرادات، وإحياء الفهوم.

✽ المعرفة صحة التوكل على الله تعالى.

✽ لقد وبخ الله تعالى التاركين للصبر على دينهم، بما أخبرنا عن الكفار أنهم قالوا: «امشوا واصبروا على آلهتكم» فهذا توبيخ لمن ترك الصبر من المؤمنين على دينه.

✽ اعلم أن العلم فائد، والخوف سائق، والنفس حرون بين ذلك، جموح خداعة رواغة... فاحذرهما وراعها بسياسة العلم، وسقها بتهديد الخوف، يتم لك ماتريد.

✽ اعلم أن الرعاية مصحوبة لك فى كل الأحوال، من العبادة إلى أن تلقى ربك، كذلك التقوى.

✽ الصدق فى الورع مفترض، كافتراض الصبر فى الورع، ومعنى الصدق الاعتدال والعدل.

✽ اعلم أن رأس الزهد وأصله فى القلوب، هو احتقار الدنيا واستصغارها، والنظر إليها بعين القلة... وهذا هو الأصل الذى يكون منه حقيقة الزهد.

✽ إذا كان أنين العبد إلى ربه عز وجل فليس بشكوى ولا جزع.

✽ اعلم أن المحبة داخله فى الرضا، ولا محبة إلا بالرضا، ولا رضا إلا بمحبة... لأنك لا تحب إلا ما رضيت وارتضيت، ولا رضا إلا ما أحببت.

✽ الرجاء داخل فى تحقيق الرضا.

✽ وأغماء من عهد لم نقم له بوفاء، ومن خلوة لم نصحبها بحياء، ومن مسألة: ما الجواب فيها غدا؟ ومن أيام تفنى ويبقى ما كان فيها أبدا.

✽ ما صحبت أحداً كان أنفع لى صحبتته ورؤيته من أبى عبد الله النباجى.

سهل بن عبد الله التستري

ومنهم أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن ربيع التستري، أحد أئمة القوم وعلمائهم والمتكلمين فى علوم الرياضات والإخلاص وعيوب الأفعال.

صحب خاله محمد بن سوار، وشاهد ذا النون المصرى سنة خروجه إلى الحج بمكة.

توفى سنة ثلاث وثمانين - وقيل سنة ثلاث وتسعين - ومائتين، وأظن أن ثلاثاً وثمانين أصح، والله أعلم.

وأسند الحديث:

عن أنس قال: «كان رسول الله ﷺ يغزو ومعه عدة من نساء الأنصار يسقين الماء ويداوين الجرحى» وذكر الحديث.

ومن كلامه:

- * الناس نيام، فإذا انتبهوا ندموا، وإذا ندموا لم تنفعهم ندامتهم.
- * ما طلعت شمس ولا غربت على أحد على وجه الأرض إلا وهم جهال بالله... إلا من يؤثر الله على نفسه وزوجه، وديناه وآخرته.
- * أدنى الأدب أن تقف عند الجهل، وآخر الأدب أن تقف عند الشبهة.
- * شكر العلم العمل، وشكر العمل زيادة العلم.
- * ما من قلب ولا نفس إلا والله مطلع عليها في ساعات الليل والنهار، فأيا قلب أو نفس رأى فيه حاجة إلى سواه سلط عليه إبليس.
- * الذى يلزم الصوفى ثلاثة أشياء: حفظ سره، وأداء فرضه، وصيانة فقره.
- * الله قبله النية، والنية قبله القلب، والقلب قبله البدن، والبدن قبله الجوارح، والجوارح قبله الدنيا.
- * ليس فى الضرورة تدبير، فإذا صار إلى التدبير خرج من الضرورة.
- * من لم تكن ضرورته لربه، فهو مدع لنفسه.
- * من أراد أن يسلم من الغيبة فليسد على نفسه باب الظنون... فمن سلم من الظن سلم من التجسس، ومن سلم من التجسس سلم من الغيبة، ومن سلم من الغيبة سلم من الزور، ومن سلم من الزور سلم من البهتان.
- * لا يستحق إنسان الرياسة حتى يجتمع فيه أربع خصال: يصرف جهله عن الناس، ويحمل جهلهم، ويترك مافى أيديهم، ويئذل مافى يده لهم.
- * من أخلاق الصديقين ألا يحلفوا بالله — لا صادقين ولا كاذبين ولا يُغتابون ولا يغتاب عندهم، ولا يشبعون بطونهم... وإذا وعدوا لم يخلفوا، ولا يتكلمون إلا والاستثناء فى كلامهم، ولا يمزحون أصلا.
- * ذروا التدبير والاختيار، فإنهما يكدران على الناس عيشهم.
- * اعلموا أن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة إلا بذبح نفسه بالجوع والصبر والجهد، لفساد ما عليه أهل الزمان.
- * أعمال البر يعملها البر والفاجر، ولا يجتنب المعاصى إلا صديق.
- * من ظن حُرْم اليقين، ومن تكلم فيما لا يعنيه حرم الصدق، ومن شغل جوارحه بغير ما أمره الله به حُرْم الورع.

- * الفتن ثلاث: فتنة العامة من إضاعة العلم، وفتنة الخاصة من الرخص والتأويلات، وفتنة أهل المعرفة من أن يلزمهم حق في وقت فيؤخروه إلى وقت ثان.
- * أصولنا سبعة أشياء: التمسك بكتاب الله تعالى، والاقْتداء بسنة رسوله ﷺ، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق.
- * من أحب أن يطلع الخلق على ما بينه وبين الله فهو غافل.
- * لقد أيس العلماء والحكماء من هذه الثلاث خلال: ملازمة التوبة، ومتابعة السنة، وترك أذى الخلق.
- * البلوى من الله على وجهين: بلوى رحمة وبلوى عقوبة. فبلوى الرحمة يبعث صاحبه على إظهار فقره إلى الله، وترك التدبير، وبلوى العقوبة يبعث صاحبه على اختياره وتدبيره.
- * من خلا قلبه من ذكر الآخرة تعرض لوساوس الشيطان.
- * لا معين إلا الله، ولا دليل إلا رسول الله، ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر.
- * الآيات لله، والمعجزات للأنبياء، والكرامات للأولياء، والمغوثات للمريدين، والتمكين لأهل الخصوص.
- * العيش على أربعة أوجه: عيش الملائكة فى الطاعة، وعيش الأنبياء فى العلم وانتظار الوحي، وعيش الصديقين فى الاقتداء، وعيش سائر الناس — عالما كان أو جاهلا، زاهدا كان أو عابدا — فى الأكل والشرب.
- * الضرورة للأنبياء، والقوام للصديقين، والقوت للمؤمنين، والمعلوم للبهائم .
- * الأعمال بالتوفيق، والتوفيق من الله، ومفتاحها الدعاء والتضرع.

محمد بن الفضل البلخي

- ومنهم أبو عبد الله محمد بن الفضل بن العباس بن حفص البلخي، ساكن سمرقند. وأصله من بلخ، ولكنه أُخرج منها بسبب المذهب، فدخل سمرقند ونزلها.
- صحاب أحمد بن خضرويه، وغيره من المشايخ، وهو من أجلة مشايخ خراسان، ولم يكن أبو عثمان يميل إلى أحد من المشايخ ميله إليه.
- مات بسمرقند سنة تسع عشرة وثلاثمائة.
- وفيه قال أبو عثمان: «لو وجدت من نفسى قوة لرحلت إلى أخى محمد بن الفضل، فأستروح سرى برؤيته».

وأسند الحديث:

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه

البشر، وإنما كان الذى أوتيت وحيا أوحى الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة». ومن كلامه:

* أعرف الناس بالله أشدهم مجاهدة فى أوامره، وأتبعهم لسنة نبيه ﷺ.

* الرحمن هو الذى يحسن إلى البر والفاجر.

* ذهاب الإسلام من أربعة: أولها لا يعملون بما يعلمون، والثانى يعملون بما لا يعلمون، والثالث لا يتعلمون مالا يعلمون، والرابع يمنعون الناس من التعلم.

* الدنيا بطنك، فبقدر زهدك فى بطنك زهدك فى الدنيا.

* العجب ممن يقطع الأودية والقفار والمساوز، حتى يصل إلى بيته وحرمه، لأن فيه آثار أنبيائه، كيف لا يقطع نفسه وهواه، حتى يصل إلى قلبه، فإن فيه آثار مولاه.

* العلم حرز، والجهل غرر، والصديق مؤنة، والعدو هم، والصلة بقاء، والقطيعة مصيبة، والصبر قوة، والجرأة عجز، والكذب ضعف، والصدق قوة، والمعرفة صداقة، والعقل تجربة.

* أنزل نفسك منزلة من لا حاجة له فيها، ولا بد له منها، فإن من ملك نفسه عز، ومن ملكته نفسه ذل.

* ست خصال يعرف بها الجاهل: الغضب فى غير شئ، والكلام فى غير نفع، والعطية فى غير موضعها، وإفشاء السر، والثقة بكل أحد، وألا يعرف صديقه من عدوه.

* خطأ العالم أضر من عمد الجاهل.

* من ذاق حلاوة العلم لا يصبر عنه.

* من ذاق حلاوة المعاملة أنس بها.

* من عرف الله اكتفى به بعد قوله تعالى: «أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد».

* العلوم ثلاثة: علم بالله، وعلم من الله، وعلم مع الله. فالعلم بالله معرفة صفاته ونعوته. والعلم من الله علم الظاهر والباطن، والحلال والحرام، والأمر والنهى فى الأحكام. والعلم مع الله علم الخوف والرجاء، والمحبة والشوق.

* البكاء بكاءان: بكاء الزاهدين بعيونهم، وبكاء العارفين بقلوبهم.

* العارف يدافع عيشه يوما بيوم، ويأخذ من عيشه يوما ليوم.

* وسئل: ما ثمرة الشكر، فقال: الحب لله والخوف منه.

* ذكر اللسان كفارات ودرجات، وذكر القلب زلف وقربات.

- * إذا رأيت المرید يستزید من الدنيا فذاك من علامة إداره.
- * الموافقة أصل المحبة، وأصل الوصال ترك القرار، وأصل الفقر معرفة التقصير، وأصل الثبات على الحق دوام الفقر إلى الله تعالى.
- * من استوى عنده ما دون الله نال المعرفة بالله.
- * وسئل: ما الفتوة؟ فقال: حفظ السر مع الله على الموافقة، وحفظ الظاهر مع الخلق بحسن العشرة واستعمال الخلق.
- * وسئل عن الزهد، فقال: النظر إلى الدنيا بعين النقص، والإعراض عنها تعززا وتظرفا، فمن استحسن من الدنيا شيئا فقد نبه على قدرها.

محمد بن على الترمذی

ومنهم أبو عبد الله محمد بن على بن الحسن الترمذی. لقی أبا تراب النخشبی، وصحب یحیی الجلاء، وأحمد بن خضرویه، وهو من كبار مشایخ خراسان، وله التصانیف المشهورة. كتب الحديث الكثير ورواه. أسند الحديث:

عن ابن عباس قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: «رب أرني أنظر إليك» فقال: قال ياموسى إنه لا يرانى حتى إلامات، ولا يابس إلا تدهده^(١)، ولا رطب إلا تفرق، وإنما يرانى أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم، ولا تبلى أجسادهم. ومن كلامه:

- * ليس الفوز هناك بكثرة الأعمال، إنما الفوز هناك بإخلاص الأعمال وتحسينها .
- * من شرائط الخدام التواضع والاستسلام.
- * الناس فى استماع الحكمة رجالان: عاقل وعامل... فالعاقل يتعجب، وهو لما يسمعه يشتهى. والعامل يتقلب، كأن قلبه منه حية تلتوى.
- * ليس فى الدنيا حمل أثقل من البر؛ لأن من برَّك فقد أوثقتك، ومن جفاك فقد أطلقك.
- * دعا الموحدين إلى هذه الصلوات رحمة منه عليهم، فهيا لهم فيها ألوان الضيافات، لينال العبد من كل قول وفعل شيئا من عطاياه... فالأفعال كالأطعمة، والأقوال كالأشربة، وهى عرس الموحدين.
- * العاقل من اتقى ربه، وحاسب نفسه.

(١) تدهده الحجر: تدرج.

- * من جهل أوصاف العبودية فهو بنعوت الريانية أجهل.
- * صلاح خمسة أصناف فى خمسة مواطن :
- صلاح الصبيان فى الكتّاب، وصلاح القطاع فى السجن، وصلاح النساء فى البيوت، وصلاح الفتيان فى العلم، وصلاح الكهول فى المساجد.
- * ضمن الله تعالى للعباد الرزق، وفرض عليهم التوكل.
- * حقيقة محبة الله دوام الأتس بذكره.
- * المؤمن بشره فى وجهه وحزنه فى قلبه، والمنافق حزنه فى وجهه وبشره فى قلبه.
- * الدنيا عروس الملوك، ومرآة الزهاد... أما الملوك فتجملوا بها، وأما الزهاد فنظروا إلى آفتها فتركوها .
- * وسئل عن الخلق، فقال: ضعف ظاهر، ودعوى عريضة.
- * اجعل مراقبتك لمن لا يغيب عن نظره إليك. واجعل شركك لمن لا تنقطع نعمه عنك، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه.
- * ملاك القلوب بكمال الخشية، وملاك النفوس بكمال التقوى.
- * المكلم والمحدث إذا تحققا فى درجتهم لم يخافا من حديث النفس، وكما أن النبوة محفوظة بالنسخ لإلقاء الشيطان، كذلك محل المكالمة والمحادثة مصونة من إلقاء النفس وفتنتها، محروسة بالحق والسكينة، لأن السكينة حجاب المكلم والمحدث مع نفسه.
- * وسئل: هل يخاف المحدثون سوء العاقبة؟ فقال: خوف هول وقلق، يكون كالمخاطر ثم يمضى... فإن الله تعالى لا يحب أن يكدر عليهم منته.

أبو بكر الوراق

ومنهم أبو بكر محمد بن عمر الحكيم الوراق، أصله من ترمذ، وأقام ببلخ. لقى أحمد بن خضرويه وصحبه، وصحب محمد بن سعد بن إبراهيم الزاهد، ومحمد بن عمر بن خشنام البلخى.

له الكتب المشهورة فى أنواع الرياضات والمعاملات والآداب. وأسند الحديث:

عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أعظم الأمانة عند الله، الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه، ثم ينشر سرّها».

ومن كلامه:

* الناس ثلاثة: العلماء والأمرء والقراء، فإذا فسد الأمرء فسد المعاش، وإذا فسد العلماء فسدت الطاعات، وإذا فسد القراء فسدت الأخلاق.

* شكر النعمة مشاهدة المنة وحفظ الحرمة.

* للقلب ستة أشياء: حياة وموت، وصحة وسقم، ويقظة ونوم... فحياته الهدى، وموته الضلالة، وصحته الطهارة والصفاء، وسقمه الكدورة والعلاقة، ويقظته الذكر، ونومه الغفلة.

ولكل واحد من ذلك علامة، فعلاقة الحياة الرغبة والرغبة والعمل بهما، والموت بخلاف ذلك. وعلامة الصحة القوة واللذة، والسقم بخلاف ذلك. وعلامة اليقظة السمع والبصر، والنوم بخلاف ذلك.

* الاشتغال بالخلق والتزين لهم حجاب عن المنة، ومن لم يعرف المنة لم يعرف الخذلان.

* صاحب العقلاء بالافتداء، والزهاد بحسن المداراة، والحمقى بجميل الصبر.

* وقال له محمد بن حامد: علمنى شيئاً يقربنى إلى الله تعالى، ويقربنى من الناس، فقال: أما الذى يقربك إلى الله فمسألته، وأما الذى يقربك إلى الناس فترك مسألتهم.

* من اكتفى بالكلام من العلم دون الزهد والفقہ تزندق، ومن اكتفى بالزهد دون الفقہ والكلام تبذع، ومن اكتفى بالفقہ دون الزهد والكلام تفسق، ومن تفنن فى هذه الأمور كلها تخلص.

* وقال له رجل: إنى أخاف من فلان. فقال: لاتخف منه، فإن قلب من تخافه بيد من ترجوه.

* وكتب إلى صديق له، فكان فيما كتب: راحة الدنيا تؤدي إلى عناء عقابها، وتعب الدنيا بالحق يؤدي إلى راحة ثوابها، وتارك الشهوات هو المصيب للشهوات، والمصيب للشهوات هو التارك للشهوات، والسلام.

* الأدب للعارف كالتوبة للمستأنف.

* خضوع الفاسقين أفضل من صولة المطيعين.

* لو قيل للطمع: من أبوك؟ لقال: الشك فى المقدور. ولو قيل: ما حرفتك؟ لقال: اكتساب الذل. ولو قيل: ما غايتك؟ لقال: الحرمان.

* الناس كلهم فى أحوال الدنيا أربعة: مرحوم، ومخدوع، ومعاقب، ومكره.

* من صحَّت معرفته بالله ظهرت عليه الهيبة والخشية.

* عوام الخلق هم الذين سلمت صدورهم، وحسنت أعمالهم، وطهرت ألسنتهم، فإذا خلوا من هذا فهم الغوغاء لا العوام.

* إذا فسدت العامة غلبت الفساق على أهل الصلاح، وولاة الجور على ولاة العدل، والكفار على المسلمين.

* الخاصة هم الذين فقهت قلوبهم، وحسنت أخلاقهم، وكانوا أئمة، يدعون الناس إلى الخير والعمل به، وسالموا السلطان على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعلماء على صدق الخبر، والعامّة على ظاهر الأمور، فإذا خلوا من ذلك فهم المفترون، وإذا فسدت الخاصة غلبت الكذبة على الصادقين، والكهنة على الموقنين، والموسوسون على المخلصين.

* أصل غلبة الهوى مقارفة الشهوات، فإذا غلب الهوى أظلم القلب، وإذا أظلم القلب ضاق الصدر، وإذا ضاق الصدر ساء الخلق، وإذا ساء الخلق أبغضه الخلق، وإذا أبغضه الخلق أبغضهم، وإذا أبغضهم جفاهم، وإذا جفاهم صار شيطاناً.

* الحكماء خلف الأنبياء، وليس بعد النبوة إلا الحكمة، وهي إحكام الأمور، وأول علامات الحكمة طول الصمت، والكلام على قدر الحاجة.

* احذر صحبة السلطان إبقاء على نفسك، والملوك إبقاء على عيشك، والأغنياء إبقاء على ملكك، والسوقة إبقاء على خلقك، والنساء والصبيان إبقاء على قلبك، والفساق والمبتدعين إبقاء على دينك، والفقراء إبقاء على مالك، والعلماء إبقاء على إيمانك وإسلامك، والإخوان في مخالفتهم إبقاء على فضلك ومروءتك.

* للمؤمن أربع علامات: كلامه ذكر، وصمته تفكير، ونظره عبرة، وعمله بر.

* الخلاف يهيج العداوة، والعداوة تستنزل البلاء.

* العبد لا يستحق اليقين حتى يقطع كل سبب بينه وبين العرش إلى الثرى، حتى يكون الله مراده لا غير، ويؤثر الله على كل ما سواه.

* من عشق نفسه عشقه الكبر والحسد، والذلّ والمهانة.

* لا تصحب من يمدحك بخلاف ما أنت عليه أو بغير ما فيك، فإنه إذا غضب عليك ذمّك بما ليس فيك.

* ازهد في حب الرياسة، والعلو في الناس، إن أحببت أن تذوق شيئاً من سبل الزاهدين.

* اليقين نور يستضيء به العبد في أحواله، فيبلغه إلى درجات المتقين.

أبو سعيد الخراز

ومنهم أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز، وهو من أهل بغداد.

صحب ذا النون المصري، وأبا عبد الله النجاشي، وأبا عبيد البصري، وصحب أيضاً سرياً السقطي، وبشر بن

الحارث، وغيرهم.

وهو من أئمة القوم وجلة مشايخهم، قيل إنه أول من تكلم فى علم الفناء والبقاء. ومات سنة تسع وسبعين ومائتين .

وأسند الحديث:

عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «سوء الخلق شؤم، وشراركم أسوأكم أخلاقاً».

ومن كلامه:

* إن الله تعالى عجل لأرواح أوليائه التلذذ بذكره، والوصول إلى قربه، وعجل لأبدانهم النعمة بما نالوه من مصالحهم، وأجزل نصيبهم من كل كائن... فعيش أبدانهم عيش الجنانيين، وعيش أرواحهم عيش الربانيين. لهم لسانان: لسان فى الباطن، يعرفهم صنع الصانع فى المصنوع، ولسان فى الظاهر يعلمهم علم المخلوقين، فلسان الظاهر يكلم أجسامهم، ولسان الباطن يناجى أرواحهم.

* وسئل عن الأنس، ما هو؟ فقال: استبشارالقلوب بقرب الله تعالى، وسرورها به، وهدوؤها فى سكونها إليه، وأمنها معه من حيث الروعات، وإعفاؤه لها من كل ما دونه أن يشير إليه، حتى يكون هو المشير، لأنها ناعمة به ولا تحمل جفاء غيره.

* وكان نائما فانتبه وقال: اكتبوا ما وقع لى فى هذا النوم. إن الله تعالى جعل العلم دليلا عليه ليعرف، وجعل الحكمة رحمة منه عليهم ليؤلف، فالعلم دليل إلى الله، والمعرفة دالة على الله، فبالعلم تنال المعلومات، وبالمعرفة تنال المعروفات، والعلم بالتعلم، والمعرفة بالتعرف، فالمعرفة تقع بتعريف الحق، والعلم يدرك بتعريف الخلق، ثم تجرى الفوائد بعد ذلك .

* مثل النفس مثل ماء واقف طاهر صاف، فإن حركته ظهر ما تحته من الحماة، وكذلك النفس تظهر عند المحن والفاقة والمخالفة، ومن لم يعرف ما فى نفسه كيف يعرف ربه؟

* وقال فى معنى قول النبى ﷺ: «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها». واعجبا بمن لم ير محسنا غير الله كيف لا يميل بكليته إليه!

* كل باطن يخالف ظاهراً فهو باطل.

* إذا كانت العين واحدة فمن أى حال تلونت عليك فأجر فيها، فإن التغيير من جهتك، لأن عين الحق لا تتقلب.

* للعارفين خزائن أودعوها علوما غريبة وأنباء عجيبة، يتكلمون فيها بلسان الأبدية، ويخبرون عنها بعبارة الأزلية.

* لولا أن الله عز وجل أدخل موسى عليه السلام فى كتفه لأصابه مثل ما أصاب الجبل .

* المحب يتعلل إلى محبوبه بكل شئ، ولا يتسلى عنه بشئ، ويتبع آثاره، ولا يدع استخباره .

وأنشد:

أسألكم عنها فهل من مخبر
فمالي بنعم مذ نأت دارها علم
فلو كنت أدري أين خيم أهلها
وأى بلاد الله إذ ظعنوا أموا
إذن لسلكنا مسلك الريح خلفها
ولو أصبحت نعم ومن دونها النجم!

على بن سهل الأصبهاني

ومنهم أبو الحسن على بن سهل بن الأزهر الأصبهاني. وهو من قدماء مشايخ أصفهان.
كان يكتب الجنيد ويراسله، وهو من أقرانه. قصده عمرو بن عثمان المكي في دين كان عليه بمكة، فكتب
بديونه سفائح^(١) إلى مكة، ولم يعلمه بذلك، وهو ثلاثون ألف درهم.
صحب محمد بن يوسف بن معدان، ولقى أبا تراب النخشي.
ومن كلامه:

* المبادرة إلى الطاعات من علامات التوفيق، والتقاعد عن المخالفات من حسن الرعاية، ومراعاة الأسرار من
علامات التيقظ، وإظهار الدعاوى من رعونات البشرية، ومن لم يصحح مبادئ إرادته لا يسلم في منتهى
عواقبه.

* الغافلون يعيشون في حلم الله، والذاكرون يعيشون في رحمة الله، والعارفون يعيشون في لطف الله،
والصادقون يعيشون في قرب الله، والمحبون يعيشون في الأُنس بالله والشوق إليه.

* الحضور أفضل من اليقين لأن الحضور وطناً، واليقين خطرات.

* حرام على من عرف الله أن يسكن إلى شيء غيره.

* من وقت آدم إلى قيام الساعة الناس يقولون: القلب القلب! وأنا أحب أن أرى رجلاً يصف لي أي شيء
القلب، أو كيف القلب، فلا أرى.

* الأُنس بالله أن تستوحش من الخلق، إلا من أهل ولاية الله، فإن الأُنس بأهل ولاية الله هو الأُنس بالله.

* لا يغرنك من الأحمق كثرة الالتفات وسرعة الجواب.

(١) السفائح: جمع سفينة، وهي أن تعطى مالا لرجل له مال في بلد تريد أن تسافر إليه، فتأخذ منه خطاباً لمن عنده المال في ذلك البلد أن يعطيك
مثل مالك الذي دفعته إليه قبل سفرك. والكلمة فارسية الأصل.

* العقل مع الروح يدعو إلى الآخرة، ومخالفة الهوى والشهوات، فلذلك سمي روحاً.
 * المستهتر السالى بالله عن كل شئ.
 * من فقه قلبه أورثه ذلك الإعراض عن الدنيا وأبنائها، فإن من جهل القلب متابعة سرور لا يدوم. وأنشد:
 ليتنى مت فاسترحت فإنى
 كلما قلت قد قربت بعدت
 * الفقيه من لا يدخل تحت المنسوبات إليه.
 * أعاذنا الله وإياكم من غرور حسن الأعمال، مع فساد بواطن الأسرار.
 * التصوف: التبرى عن دنونه، والتخلى عن سواه.
 * العقل والهوى متنازعان، فمعين العقل التوفيق، وقرين الهوى الخذلان، والنفس واقفة بينهما، فأيهما ظفر
 كان فى حيزه.
 * التمسست الغنى فوجدته فى العلم، والتمست الفخر فوجدته فى الفقر، والتمست العافية فوجدتها فى
 الزهد، والتمست قلة الحساب فوجدتها فى الصمت، والتمست الراحة فوجدتها فى اليأس.
 * رأيت الناس قد أسرهم تعظيم نفوسهم، وتحسين ألفاظهم، فلا يتفرغون منهما إلى من عظيمهم بتخصيص
 الخلقة، وأنطق ألسنتهم بتوحيده.
 * وسئل عن حقيقة التوحيد، فقال: قريب من الظنون، بعيد من الحقائق، وأنشد لبعضهم:
 فقلت لأصحابى هى الشمس، ضوءها

قريب، ولكن فى تناولها بعداً!

أبو العباس بن مسروق الطوسى

ومنهم أبو العباس أحمد بن مسروق الطوسى، من أهل طوس، سكن بغداد ومات بها.
 صحب الحارث بن أسد المحاسبى، والسرى بن المغلس السقطى، ومحمد بن منصور الطوسى، ومحمد
 ابن الحسين البرجلانى.
 وهو من قدماء مشايخ القوم وجلتهم.
 توفى ببغداد سنة تسع وتسعين ومائتين.
 وأسند الحديث:

عن روفع بن ثابت عن النبى ﷺ قال: «من صلى علىّ وقال: اللهم أنزله المقام المحمود المقرب عندك يوم

القيامة، كان في شفاعتي».

ومن كلامه:

* سئل: ما التوكل؟ فقال: اعتماد القلب على الله.

* وسئل عن التوكل، فقال: اشتغالك عما لك بما عليك، وخروجك مما عليك لمن ذلك له وإليه.

* وسئل عن التصوف، فقال: خلو الأسرار مما عنه بد، وتعلقها بما ليس منه بد.

* وسئل عن سماع الرباعيات، فقال: إن قلوبنا قلوب لم تألف الطاعة طبعاً، وإنما ألفتها تكلفاً، فأخشى إن أبحنا لها رخصة أن تتخطى إلى رخص، ولا أرى سماع الرباعيات إلا لمستقيم الظاهر والباطن، قوى الحال، تام العلم.

* وسأله جعفر الخلدی مسألة في العقل، فقال له: يا أبا محمد! من لم يحترز بعقله، من عقله، لعقله، هلك بعقله!

* وسئل: من الزاهد؟ فقال: الذي لا يملك مع الله سبياً.

* كثرة النظر في الباطل تذهب بمعرفة الحق من القلب.

* علم الحال أقرب إلى اليقين من علم القيام، وعلم القيام أعلى وأشرف.

* من كان مؤدبه ربه لا يغلبه أحد.

* من راقب الله تعالى في خطرات قلبه، عصمه الله في حركات جوارحه.

* إن الله تعالى وسم الدنيا بالوحشة، لئلا يكون أنس المطيعين إلا بالله عز وجل.

* مررت مع الجنيد في بعض دروب بغداد، فإذا مغن يغنى ويقول:

منازل كنت تهواها وتألّفها

أيام أنت على الأيام منصور

فبكى الجنيد بكاء شديداً، ثم قال لي: يا أبا العباس، ما أطيب منازل الألفة والأنس، وأوحش مقامات المخالفات، لا أزال أحن إلى بدء إرادتي، وحدة سعيي، وركوبي الأهوال، طمعا في الوصول، وهأنذا في أيام الفترة أتلهف على أوقاتي الماضية.

* أنت في هدم عمرك منذ خرجت من بطن أمك.

* المؤمن يقوى بذكر الله، والمنافق يقوى بالأكل.

* من تحقق بالتقوى هان عليه الإعراض عن الدنيا.

* تعظيم حرمت المؤمن من تعظيم حرمت الله تعالى، وبه يصل العبد إلى مجمل حقيقة التقوى.

* التقوى ألا تمد عينيك إلى زهرة الدنيا، ولا تتفكر بقلبك فيها.

* أكثر ما يخاف منه العارف فوت الحق.

* شجرة المعرفة تسقى بماء الفكرة، وشجرة الغفلة تسقى بماء الجهل، وشجرة التوبة تسقى بماء الندامة، وشجرة المحبة تسقى بماء الاتفاق والمراقبة والإيثار.

* من يكن سروره بغير الحق فسروره يورث الهموم، ومن لم يكن أنسه فى خدمة ربه فهو من أنسه فى وحشة.

* متى ما طمعت فى المعرفة، ولم تحكم قبلها مدارج الإرادة، فأنت فى جهل، ومتى ما طلبت الإرادة قبل تصحيح مقام التوبة، فأنت فى غفلة مما تطلبه.

* وأنشد:

وإنى لأهواه مسيئنا ومحسنا

وأقضى على قلبى له بالذى يقضى

فحتى متى روح الرضى لا ينالنى

وحتى متى أيام سخطك لا تمضى؟

أبو عبد الله المغربى

ومنهم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المغربى. كان أستاذ إبراهيم الخواص، وإبراهيم بن شيبان. صحب على بن رزين. وعاش - كما قيل - مائة وعشرين سنة، ومات على جبل طور سيناء سنة تسع وسبعين ومائتين، وقيل: تسع وتسعين، وهذا أصح إن شاء الله، وقبره على جبل طور سيناء مع قبر أستاذه على بن رزين.

وأسند الحديث:

عن أنس: «أن رجلا زار أخا له فى قرية، فأرصد الله على مدرجته ملكا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخا لى فى هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربها^(١)؟ قال: لا، غير أنى أحببته فى الله. قال: فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه».

(١) تربها: أى تحفظها وتراعها، وتربها كما يربى الرجل ولده.

ومن كلامه:

* الأبدال في الشام، والنجباء في اليمن، والأخيار بالعراق.

* الفقير: المجرّد من الدنيا — وإن لم يعمل شيئاً من أعمال الفضائل — ذرة منه أفضل من هؤلاء المتعبدین المجتهدين، ومعهم الدنيا.

* ما رأيت أنصف من الدنيا، إن خدمتها خدمتك، وإن تركتها تركتك.

* أفضل الأعمال عمارة الأوقات بالموافقات.

* أعظم الناس ذلاً فقير داهن غنيا وتواضع له، وأعظم الناس عزا غني تذلّ لفقير وحفظ حرمة.

وأشدد:

يامن يعد الوصال ذنباً

كيف اعتذاري ولى ذنوب؟

إن كان ذنبي إليك حبي

فإننى منه لا أتوب!

* أهل الخصوص مع الله تعالى على ثلاث منازل: قوم يظن بهم عن البلاء، لئلا يستغرق الجزع صبرهم، فيكروهون حكمه، أو يكون في صدورهم حرج من قضائه. وقوم يظن بهم عن مساكنة أهل المعاصي، لئلا تغتم قلوبهم، فمن أجل ذلك سلمت صدورهم للعالم. وقوم صب عليهم البلاء صبا، وصبرهم وارتضاهم، فما ازدادوا بذلك إلا حبا له، ورضا لحكمه.

وله عباد منحهم نعماً تتجدد عليهم، وأسبغ عليهم باطن العلم وظاهره، وأخمل ذكرهم.

* من ادعى العبودية، وله مراد باق فيه، فهو كاذب في دعواه، وإنما تصح العبودية لمن أفنى مراداته، وقام بمراد سيده، يكون اسمه ماسمى به، ونعته ما حلّى به، إذا سمى باسم أجاب عن العبودية، فلا اسم له ولا وسم لا يجيب إلا لمن يدعوه بعبودية سيده.

ثم بكى وأنشأ يقول:

لا تدعنى إلا « بياعبدها »

فإنه أصدق أسمائى

* الفقراء الراضون هم أمناء الله في أرضه، وحقته على عباده، بهم يندفع البلاء عن الخلق.

* الفقير الذى لا يرجع إلى مستند في الكون، غير الالتجاء إلى من إليه فقره، ليغنيه بالاستغناء به، كما عززه بالافتقار إليه.

* ما فطنت إلا هذه الطائفة، واحترقت بما فطنت.

أبو علي الجوزجاني

ومنهم أبو علي الحسن بن علي الجوزجاني، من كبار مشايخ خراسان. له التصانيف المشهورة، تكلم في علوم الآفات والرياضات والمجاهدات، وربما تكلم أيضا في شئ من علوم المعارف والحكم. صحب محمد بن علي الترمذى، ومحمد بن الفضل، وهو قريب السن منهم. ومن كلامه:

* ثلاثة أشياء من عقد التوحيد: الخوف والرجاء والمحبة، فزيادة الخوف من كثرة الذنوب لرؤية الوعيد، وزيادة الرجاء من اكتساب الخير لرؤية الوعد، وزيادة المحبة من كثرة الذكر لرؤية المنة، فالخائف لا يستريح من الهرب، والراجى لا يستريح من الطلب، والمحب لا يستريح من ذكر المحبوب. فالخوف نار منورة، والرجاء نور منور، والمحبة نور الأنوار.

* وقال فى البخل: هو ثلاثة أحرف: الباء وهو البلاء، والحاء وهو الخسران، واللام وهو اللوم، فالبخيل بلاء فى نفسه، وخاسر فى سعيه، وملوم فى بخله.

* السابقون هم المقربون بالعطيات والمرتفعون فى المقامات، وهم العلماء بالله من بين البرية، عرفوا الله حق معرفته، وعبدوه بإخلاص العبادة، وأووا إليه بالشوق والمحبة، وهم الذين قال الله عز وجل فيهم: «وإنهم عندنا لمن المصطفىين الأخيار».

* من علامات السعادة على العبد تيسير الطاعة عليه، وموافقته للسنة فى أعماله، وصحبته لأهل الصلاح، وحسن خلقه مع الإخوان، وبذل معروفه للخلق، واهتمامه للمسلمين، ومراعاته لأوقاته.

* الشقى من أظهر ما كتم الله عليه من معاصيه.

* وسأله بعض أصحابه: كيف الطريق إلى الله؟ فقال: الطرق إليه كثيرة، وأصح الطرق وأعمرها وأبعدها عن الشبه اتباع السنة قولا وفعلا، وعزما وعقدا ونية، لأن الله تعالى يقول: «وإن تطيعوه تهتدوا». فسأله: كيف الطريق إلى اتباع السنة؟ فقال: مجانبة البدع، واتباع ما اجتمع عليه الصدر الأول من علماء الإسلام، والتباعد عن مجالس الكلام وأهله، ولزوم طريق الاقتداء والاتباع، بذلك أمر النبي ﷺ بقوله عز وجل: «ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا» الآية.

* وسئل عن أبى يزيد البسطامى وهذه الألفاظ التى تحكى عنه، فقال: رحم الله أبى يزيد! إنه حاله وما نطق به،

ولعله تكلم بها على حد الغلبة أو حال سكر، كلامه له ولن تكلم عليه، وليس لمن يحكى عنه فالزم أنت يا أخى أولاً مجاهدة أبى يزيد، وتقطعه ومعاملاته، ولا نرتق إلى المقام الذى بلغ به بعد تلك المجاهدات، فإن بلغ بك إلى شئ من ذلك، فاحك إذ ذاك كلامه، فليس بعاقل من ضيع الأدنى من المقامات، وادعى الأعلى منها

* الخلق كلهم فى ميادين الغفلة يركضون، وعلى الظنون يعتمدون، وعندهم أنهم فى الحقيقة يتقلبون، وعن المكاشفة ينطقون.

محمد وأحمد ابنا أبى الورد

ومنهم محمد وأحمد ابنا أبى الورد، وهما من كبار مشايخ العراق وجلتهم، وكانا من جلساء الجنيد وأقرانه: صحبا سرىا السقطى، وأبا الفتح الحمال، وحاترا المحاسبى، وبشرا الحافى، وطريقتهما فى الورد قريبة من طريقة بشر.

وأسند محمد الحديث:

عن على بن أبى طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا على، كلُ الثوم نيا، فلولا أن الملك يأتينى لأكلته». ومن كلامهما:

* محمد: فى ارتفاع الغفلة ارتفاع العبودية. ثم الغفلة غفلتان: غفلة رحمة، وغفلة نقمة، فأما التى هى رحمة فلو كشف الغطاء، وشهد القوم العظمة، ما انقطعوا عن العبودية ومراعاة السر، وأما التى هى نقمة فهى الغفلة التى تشغل العبد عن طاعة الله بمعصيته.

* أحمد: بسط بساط المجد للأولياء ليأنسوا به، وليرفع عنهم حشمة بديهة المشاهدة، وبساط الهيبة بسط للأعداء، ليستوحشوا من قبائح أفعالهم، فلا يشاهدون ما يسترّو حون منه إليه فى المشهد الأعلى.

* أحمد: وصل القوم بخمس: بلزوم الباب، وترك الخلاف، والنفاذ فى الخدمة، والصبر على المصائب، وصيانة الكرامات.

* وسئل محمد: من الولي؟ فقال: من يوالى أولياء الله، ويعادى أعداءه.

* محمد: من كانت نفسه لا تحب الدنيا فأهل الأرض يحبونه، ومن كان قلبه لا يحب الدنيا فأهل السماء يحبونه.

* أحمد: إذا زاد الله فى الولي ثلاثة أشياء زاد منه ثلاثة أشياء: إذا زاد جاهه زاد تواضعه، وإذا زاد ماله زاد سخاؤه، وإذا زاد عمره زاد اجتهاده.

* سئل محمد عن قوله تعالى: «أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا» فقال: من ظن في إساءته أنه محسن.
 * أحمد: العالم كله في حاشية من حواشى الملك، والملك في ناحية.
 * محمد: طرح الدنيا إلى من أقبل عليها، والإعراض عنها وعمن أقبل عليها من عمل الأكياس.
 * محمد: من آداب الفقير في فقره ترك الملامة، والتعبير لمن ابتلى بطلب الدنيا، والرحمة والشفقة عليه والدعاء له، ليريحه الله من تعبها.

* محمد: سمعت بشر بن الحارث يقول: رحلت إلى عيسى بن يونس على قدمي ماشيا، فأكرمني وأدناني، وقال لى: ما الذى أقدمك؟ قلت: أحببت لقاءك والنظر إليك. فبكى وقال: يا أخى! ومن أنا؟ وأى شئ أحسن أنا؟! ثم قال: معك شئ تسأل؟ فقلت حدثنى حديث عبد الله بن عراق بن مالك، وحديث الحسن عن عائشة أم المؤمنين. فقال عيسى: نعم حدثنا عبد الله بن عراق بن مالك عن أبيه، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس على المسلم فى عبده ولا فى فرسه صدقة».

ثم قال عيسى: وحدثنا عمرو بن عبيد المحدث المذموم^(١) عن الحسن عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله، هل على النساء جهاد؟ قال: «نعم جهاد بلا قتال: الحج والعمرة».

أبو عبد الله السجزي

ومنهم أبو عبد الله السجزي. صحب أبا حفص وهو من كبار مشايخ خراسان وفتيانهم، قطع البادية مرارا على التوكل.
 ومن كلامه:

* من لم يقدر علمه لم يقدر فعله، ومن لم يقدر فعله لم يقدر بدنه، ومن لم يقدر بدنه لم يقدر قلبه، ومن لم يقدر قلبه لم يقدر نيته، والأمور كلها مبنية على النية.
 * العبرة أن تجعل كل حاضر غائبا، والفكرة أن تجعل كل غائب حاضرا.
 * ودخل عليه رجل فقال له: معى دينار أريد أن أدفعه إليك، فما ترى؟ قال: إن دفعته إلىَّ فهو خير لك، وإن لم تدفعه إلىَّ فهو خير لى، وأنت أبصر.
 * علامة الأولياء ثلاثة: تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وإنصاف عن قوة.
 * كل واعظ لا يقوم الغنى من مجلسه فقيرا، والفقير من مجلسه غنيا، فليس هو بواعظ.
 * بثس العبد عبد عصى الله بقلبه وجوارحه، واعتذر إليه بلسانه من غير رجوع عما سلف.

(١) كان مذموما لأنهم رموه بالكذب، وتركوا حديثه، مع أنه كان زاهدا.

✽ أنفع شئ للمريدين صحبة الصالحين، والافتداء بهم فى أفعالهم وأخلاقهم وشمائلهم، وزيارة قبور الأولياء، والقيام بخدمة الأصحاب والرفقاء.

✽ لا تُعير أحدا بذنب، حتى تتيقن أن ذنوبك مغفورة.

✽ وقيل له: لم لا تلبس المرقعة؟ فقال: من النفاق أن تلبس لباس الفتيان. ولا تدخل فى حمل أثقال الفتوة، إنما يلبس لباس الفتيان من يصبر على حمل أثقال الفتوة. ف قيل له: ما الفتوة؟ قال: رؤية أعذار الخلق وتقصيرك، وقمامهم ونقصانك، والشفقة على الخلق كلهم: برهم وفاجرهم. وكمال الفتوة هو ألا يشغلك الخلق عن الله عزوجل.

الطبقة الثالثة

أبو محمد الجريري

ومنهم أبو محمد الجريري. يقال إن اسمه أحمد بن محمد بن الحسين، وكنية والده أبو الحسين، كذلك سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول: سمعت أبا بكر محمد بن داود الدقي يذكر ذلك. وسمعت عبد الله ابن أحمد البغدادي يقول: سمعت أبا الحسن السيرواني يقول: اسم الجريري الحسن بن محمد.

ويقال إن اسمه عبد الله بن يحيى، ولا يصح هذا.

وكان من كبار أصحاب الجنيد، وصحب أيضاً سهل بن عبد الله التستري. وهو من علماء مشايخ القوم، أقعد بعد الجنيد في مجلسه، لتمام حاله وصحة علمه.

مات سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. سمعت أبا الحسن بن مقسم يذكر ذلك ببغداد.

وأسند الحديث:

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات، أولاهن - أو أخراهن - بالتراب».

قال أحمد بن محمد بن شاكر: كان معنا في المسجد إبراهيم بن أورمة الأصبهاني؛ فقال لنصر بن علي: يا أبا عمرو! لا يحدث به، فإنه ليس له أصل، فلا أدري أحدث أم لا.

ومن كلامه:

* التسرع إلى استدراك علم الانقطاع وسيلة، والوقوف عند حد الانحسار نجاة، واللياذ بالمهرب من علم الدنو وصلة، واستفتاح فقد ترك الجراب ذخيرة، والاعتصام من قبول دواعي استماع الخطاب تلتطف، وخوف فوت علم ما انطوى من فصاحة الفهم في حين الإقبال مساءة، والإصغاء إلى تلقى ما يفضل من معدنه بعد، والاستسلام عند التلاقي جرأة، والانبساط في محل الأئس غيرة.

* رأيت في النوم كأن قائلاً يقول لى: لكل شئ عند الله حق، وأن أعظم الحقوق عند الله حق الحكمة، فمن جعل الحكمة في غير أهلها طالبه الله بحقها، ومن طالبه بحقها خصم (١).

* وسئل عن القراء، فقال: هو الذي طلب الآخرة، وسعى لها سعيها، وأعرض عن الدنيا والاشتغال بها.

* وقيل له: متى يسقط عن العبد ثقل المعاملة؟ فقال: هيهات! ما بد منها، ولكن يقع الحمل فيها.

(١) خصم: أى صار مغلوباً. يقال: خاصمته فخصمته أى غالبته فغلبته.

* أدل الأشياء على الله تعالى ثلاثة: ملكه الظاهر، ثم تدبيره فى ملكه، ثم كلامه الذى يستوفى كل شىء.
* من استولت عليه النفس صار أسيراً فى حكم الشهوات، محصوراً فى سجن الهوى، وحرّم الله على قلبه الفوائد، فلا يستلذ كلامه ولا يستحليه، وإن كثر ترداده على لسانه، لأن الله تعالى يقول: «سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق» أى: حتى لا يفهموه ولا يحدوا له لذة، لأنهم تكبروا بأحوال النفس والخلق والدنيا، فصرف الله عن قلوبهم فهم مخاطباته، وأغلق عليهم سبيل فهم كتابه، وسلبهم الانتفاع بالمواعظ، وحبسهم فى عقولهم وآرائهم، فلا يعرفون طريق الحق، ولا يسلكون سبيله.

* قوام الأديان ودوام الإيمان وصلاح الأبدان فى خلال ثلاث: الاكتفاء والانتقاء والاحتماء. فمن اكتفى بالله صلحت سريره، ومن اتقى ما نهى عنه استقامت سيرته، ومن احتفى ما لم يوافق ارتاضت طبيعته، فثمره الاكتفاء صفو المعرفة، وعاقبة الانتقاء حسن الخليقة، وغاية الاحتماء اعتدال الطبيعة.

* غاية همة العوام السؤال، وبلوغ درجة الأوساط الدعاء، وهمة العارفين الذكر.

* من توهم أن عملاً من أعماله يوصله إلى مأموله الأعلى والأدنى، فقد ضل عن طريقه، لأن النبى ﷺ قال: «لن ينجى أحداً منكم عمله». فما لا ينجى من المخوف كيف يبلغ المأمول؟ ومن صح اعتماده على فضل الله فذلك الذى يرجى له الوصول.

* ذكرك منوط بك إلى أن يتصل ذكرك بذكره، إذ ذاك يرفع ويخلص من العلل، فما قارن حدث قدماً إلا تلاشى وبقى الأصل، وذهبت الفروع كأن لم تكن.

* رؤية الأصول باستعمال الفروع، وتصحيح الفروع بمعارضة الأصول، ولا سبيل إلى مقام مشاهدة الأصول إلا بتعظيم ما عظم الله من الوسائط والفروع.
* الرجاء طريق الزهاد، والخوف سلوك الأبطال.

* وقال له رجل: كنت على بساط الأنس، وفتح لى طريق إلى البسط، فزلت زلة، فحجبت عن مقامى، فكيف السبيل إليه؟ دلّنى على الوصول إلى ما كنت عليه.. فبكى أبو محمد وقال: يا أخى: الكل فى قهر هذه الخطة، لكنى أنشدك أبياتاً لبعضهم فيها جواب مسألتك:

قف بالديار، فهذه آثارهم

تبكى الأجة حسرة وتشوقا

كم قد وقفت بها أسائل مخبرا

عن أهلها، أو صادقا، أو مشفعا

فأجابنى داعى الهوى فى رسمها

فارقت من تهوى فعز الملتقى!

أبو العباس بن عطاء الأدمي

ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي، من ظراف مشايخ الصوفية وعلمائهم، له لسان في فهم القرآن يختص به. صحب إبراهيم المارستاني، والجنيد بن محمد، ومن فوقهما من المشايخ. كان أبو سعيد الخراز يعظم شأنه.

سمعت أبا الحسن أحمد بن محمد بن مقسم المقرئ يقول: سمعت مروان النهاوندي يقول: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: «التصوف خلق وليس إنابة، وما رأيت من أهله إلا الجنيد وابن عطاء».

مات سنة تسع وثلاثمائة، أو إحدى عشرة وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

عن أبي واقد الليثي قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة، والناس يجبون أسنمة الإبل، ويقطعون إليات الغنم،

فقال ﷺ: «ما قطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة».

ومن كلامه:

* سئل: ما المروة؟ فقال: ألا تستكثر الله عملا.

* في البيت مقام إبراهيم، وفي القلب آثار الله تعالى، وللبيت أركان، وللقلب أركان، وأركان البيت من

الصخر، وأركان القلب معادن أنوار المعرفة.

* خلق الله الأنبياء للمشاهدة، لقوله تعالى: «أو ألقى السمع وهو شهيد»، وخلق الأولياء للمجاورة،

لقوله ﷺ: «عن جارك»، وخلق الصالحين للملازمة، قال الله تعالى: «وألزمهم كلمة التقوى»، وخلق العوام

للمجاهدة، قال الله تعالى: «والذين جاهدوا فينا».

* من ألزم نفسه آداب السنّة نور الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب ﷺ، في

أوامره وأفعاله وأخلاقه، والتأدب بأدابه قولاً وفعلاً، وعزماً وعقداً ونية.

* العلم الأكبر الهيبة والحياء، فمن عرى منهما عرى عن الخيرات.

* ثلاثة مقرونة بثلاثة: الفتنة مقرونة بالمنية، والمحبة مقرونة بالاختيار، والبلوى مقرونة بالدعوى.

* وسئل: إلام تسكن قلوب العارفين؟ فقال: إلى قوله تعالى: «بسم الله الرحمن الرحيم» لأن في «بسم

الله « هيبته، وفي اسمه «الرحمن» عونه ونصرته، وفي اسمه «الرحيم» محبته ومودته. ثم قال: سبحان من فرق بين هذه المعاني في لطافتها، في هذه الأسمى في غوامضها، وأنشد:

إذا ما وجود الناس فات علومهم

فعلمى لوجدى صاحب وقرين

وقال:

أسامى بنفسى ذلة واستكانة

إلى الخلة العلياء من جانب الكبر

إذا ما أتانى الذل من جانب الغنى

سموت إلى العلياء من جانب الفقر

* من عامل الله تعالى على رؤية ما سبق منه إليه، لم يكن بعجيب أن يمشى على الماء أو فى الهواء، وكل أمر الله عجب، وليس شىء منه بعجب.

* الإنصاف فيما بين الله وبين العبد فى ثلاثة: فى الاستعانة، والجهد، والأدب. فمن العبد الاستعانة ومن الله القربة، ومن العبد الجهد ومن الله التوفيق، ومن العبد الأدب ومن الله الكرامة.

* من تأدب بأداب الصالحين فإنه يصلح لبساط الكرامة، ومن تأدب بأداب الأولياء فإنه يصلح لبساط القربة، ومن تأدب بأداب الصديقين فإنه يصلح لبساط المشاهدة، ومن تأدب بأداب الأنبياء فإنه يصلح لبساط الأئس والانبساط.

* وأنشد لابن الرومى:

غموض الحق حين يذبُّ عنه

يقلل ناصر الخصم المحق

تضل عن الدقيق فهوم قوم

فتقضى للمجلى على المدق

وأنشد:

ذكرك لى مؤنس يعارضنى

يوعدنى عنك منك بالظفر

فكيف أنساك، يامدى هممى

وأنت منى بموضع النظر؟

* لما عصى آدم بكى عليه كل شىء فى الجنة، إلا الذهب والفضة، فأوحى الله تعالى إليهما: لم تبكيا على آدم؟ فقالا: ما كنا نبكى على من يعصيك. فقال عز وجل: وعزتى وجلالى لأجعلن قيمة كل شىء بكما، ولأجعلن ابن آدم خادما لكما.
* وأنشد:

إذا صد من أهوى صددت عن الصد
وإن حال عن عهدى أقمت على العهد
فما الوجد إلا أن تذوب من الوجد
وتصبح فى جهد يزيد على الجهد

* وأنشد:

أجلك أن أشكو الهوى منك، إننى
أجلك أن تومى إليك الأصابع
وأصرف طرفى نحو غيرك عامدا
على أنه بالرغم نحوك راجع
* إن الشفقة لم تزل بالمؤمن حتى أوفدته على خير أحواله، وإن الغفلة لم تزل بالفاجر حتى أوفدته على شر أحواله.
* أعظم الغفلة غفلة العبد عن ربه، وغفلته عن أوامره، وغفلته عن آداب معاملته.
* أصح العقول عقل وافق التوفيق، وشر الطاعات طاعة أورثت عجبا، وخير الذنوب ذنب أورث توبة
وندما.

* السكون إلى مألوفات الطبائع يقطع بصاحبها عن بلوغ درجات التحقيق.
* من وحشة القلوب عن مصادر الحق أنسها بالأجناس، ومن أنس قلبه بالله استوحش مما سواه.
* أدن قلبك من مجالسة الذاكرين، لعله يتنبه عن غفلته، وأقم شخصك فى خدمة الصالحين، لعله يتعود ببركتها طاعة رب العالمين.
* السكون إلى الأسباب اغترار، والوقوف مع الأحوال يقطع بك عن محولها.

محفوظ بن محمود النيسابورى

ومنهم محفوظ بن محمود، من أصحاب أبى حفص النيسابورى، وهو من قدماء مشايخ نيسابور وجلتهم، وكان - بعد موت أبى حفص - يصحب أبا عثمان، ويلزمه طول عمره، وكان من أروع المشايخ، وألزمهم لطريقتهم، وكان قد صحب أيضا حمدونا القصار، وسلما الباروسى، وعليما النصر اباذى، وغيرهم من المشايخ.

مات سنة ثلاث - أو أربع - وثلاثمائة بنيسابور، ودفن بجانب أبى حفص.
ومن كلامه:

* التوكل أن تأكل بلا طمع ولا شره.

* التائب الذى يتوب من غفلاته وطاعاته.

* لا تزن الخلق بميزانك، وزن نفسك بميزان المؤمنين، لتعلم فضلهم وإفلاسك.

* من ظن بمسلم فتنة فهو المفتون.

* أكثر الناس خيرا أسلمهم صدرا للمسلمين.

* وسئل عن دعاء النبى ﷺ: (أعوذ بك منك) فقال: سمعت أبا صالح حمدونا يقول: لا يجوز هذا الدعاء إلا للنبى ﷺ، أو من دعا به متبعا له.

* من أبصر محاسن نفسه ابتلى بمساوىء الناس، ومن رأى عيب نفسه سلم من رؤية مساوىء الناس.

* صحح عملك بالإخلاص، وصحح إخلاصك بالتبرى من الحول والقوة.

* من أراد أن يبصر طريق رشده فليتهم نفسه فى الموافقات فضلا عن المخالفات.

طاهر المقدسى

ومنهم طاهر المقدسى، وهو من جلة مشايخ الشام وقدمائهم. رأى ذا النون المصرى، وصحب يحيى الجلاء، وكان عالما، وهو الذى يسميه الشبلى: «حبر أهل الشام».
ومن كلامه:

* سئل: لم سميت الصوفية بهذا الاسم؟ فقال: لاستتارها عن الخلق بلوائح الوجد، وانكشافها بشمائل القصد.

* حد المعرفة التجرد من النفوس وتدبيرها، فيما يجلى أو يصغر.

* لا يطيب العيش إلا لمن وطىء بساط الأنس، وعلا على سرير القدس، وغيبه الأنس بالقدس، والقدس

بالأنس، ثم غاب عن مشاهدتهما بمطالعة القدوس.

* وأنشد لبعضهم:

أراعى النجوم، ولا علم لى
بعد النجوم بجنب الظلام
وكيف ينام فتى لا ينام
إذا نام عنه عيون الحمام!؟
أسير يسير إليه هواه
فيضحى الأسير قتيل الغرام
فلم يبق منه سوى أنه
يقال له عاشق والسلام
لفرط النحول وحر الغليل
وحزن مذيّب لطول السقام

* المفاوز عنه منقطعة، والطرق إليه منطمسة: نوق من علالاته، واحذر أماكن الاتصال فإنها خدع، وقف
حيث وقف العوام تسلم. وأنشد:

وكذبت طرفى فيك والطرف صادق
وأسمعت أذنى منك ما ليس تسمع
ولم أسكن الأرض التى تسكنونها
لكيلا يقولوا أننى بك مولع
فلا كبدى تهدا، ولا لك رحمة
ولا عنك إقصار، ولا فيك مطمع!

أبو عمرو الدمشقى

ومنهم أبو عمرو الدمشقى، وهو من أجل مشايخ الشام، بل واجدها، عالم بعلوم الحقائق. صحب أبا عبد
الله بن الجلاء، وأصحاب ذى النون المصرى، وهو من أفتى المشايخ. رد على من تكلم فى قدم الأرواح
والشواهد.

مات سنة عشرين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* كما فرض الله على الأنبياء إظهار الآيات والمعجزات ليؤمنوا بها، كذلك فرض على الأولياء كتمان

الأسرار حتى لا يفتتن الخلق بها.

✽ خواص خصال العارفين أربعة أشياء: السياسة والرياضة والحراسة والرعاية. فالسياسة والرياضة ظاهران، والحراسة والرعاية باطنان، فبالسياسة يصل العبد إلى التطهير، وبالرياضة يصل إلى التحقيق، والسياسة حفظ النفس ومعرفتها، والرياضة مخالفة النفس ومعاداتها، والحراسة معاينة بر الله في الضمائر، والرعاية مراعاة حقوق المولى بالسرائر، وميراث السياسة القيام على وفاء العبودية، وميراث الرياضة الرضا عند الحكم، وميراث الحراسة الصفوة والمشاهدة، وميراث الرعاية المحبة والهيبة، ثم الوفاء متصل بالصفاء، والرضا متصل بالمحبة، علمه من علمه، وجهله من جهله.

✽ التصوف رؤية الكون بعين النقص، بل غض الطرف عن كل ناقص ليشاهد من هو منزه عن كل نقص.

✽ وسئل عن حديث النبي ﷺ: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته» فقال: أشار إلى استواء الحال، أى لا ترجعوا عن الحق بإفطار، ولا تقبلوا عليه بصوم، ليكن صومكم كإفطاركم، وإفطاركم كصومكم، عند دوام حضوركم.

✽ مقام الخطرات بعيد من مقام الوطنات، لأن الخواطر تلمع ثم تختفى، والوطنات تبدو وتثبت ثم تتحقق، والدعاوى تتولد من الخواطر، فإن المدعى يظن أن ما لاح ثبت، ولا دعوى لصاحب الوطنات مجال.

✽ حقيقة الخوف ألا تخاف مع الله أحدا.

✽ علامة قساوة القلب أن يكل الله العبد إلى تدبيره فيألفه، ولا يسأله حسن الكلاءة والرعاية، والنبي ﷺ يقول:

«اكلأنى كلاءة الطفل الوليد».

✽ استحسان الكون - على العموم - دليل على صحة المحبة، واستحسانه - على الخصوص - يؤدي إلى فتن وظلمات.

✽ الأشخاص بظلمها كامنة، والأرواح بأنوارها مشرقة، فمن طالع الأشخاص بظلمها أظلم عليه وقته، ومن شاهد الأرواح بأنوارها دلته على منورها.

✽ إذا صفت الأرواح أثر على الهياكل أنواز الموافقات.

أبو بكر بن حامد الترمذى

ومنهم أبو بكر محمد بن حامد بن محمد بن إسماعيل بن خالد، وهو من أعيان مشايخ خراسان،

وأطهرهم خلقاً، وأحسنهم سياسة.

لقى المشايخ ببلخ، مثل أحمد بن خضرويه ومن دونه، وله أصحاب ينتمون إليه.

وكان ابنه أبو نصر محمد بن محمد بن حامد أحد فتيان خراسان.

وأسند أبو بكر الحديث:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف الله أخاف منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء».

والحديث: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «طلب الحلال جهاد، وإن الله يحب المؤمن المحترف»^(١).
ومن كلامه:

* الفكرة على خمسة أوجه: فكرة في آيات الله وعلاماته يتولد منها المعرفة، وفكرة في آلاء الله ونعمائه يتولد منها المحبة، وفكرة في وعد الله وثوابه يتولد منها الرغبة في الطاعة والموافقة، وفكرة في وعيد الله وعقابه يتولد منها الرهبة من المخالفة، وفكرة في جفاء النفس في جنب إحسان الله إليها، يتولد منها الفكرة فيما سلف، والحياء من الله تعالى ذكره.

* إذا تمكنت الأنوار في السر نطقت الجوارح بالبر.

* وسئل عن قوله تعالى: «يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد» فقال: أنتم فقراء إلى رحمته، وهو غني عن أفعالكم، وأنتم محتاجون إلى رحمته.

* لم يجد أحد تمام الهمة بأوصافها إلا أهل المحبة، وإنما وجدوا ذلك من اتباع السنة ومجانبة البدعة، فإن رسول الله كان أعلى الخلق همّة، وأقربهم زلفة.

* إنكار ولاية الأولياء في قلوب الجهال من ضيق صدورهم عن المصادر، وبعد علومهم عن موارد القدرة.

* الولي في ستر حاله أبداً، والكون كله ناطق عن ولايته، والمدعى ناطق به، والكون كله ينكر عليه.

* أقرب القلوب إلى الله قلب رضى بصحبة الفقراء، وأثر الباقي على الفاني، وشهد سوابق القضاء فأيس

من أفعاله.

* ما عجزت عن شيء فلا تعجز عن رؤية ضعفك.

(١) الحديث ضعيف.

* الاستهانة بالأولياء من قلة المعرفة بالله تعالى.
 * إذا أوصلك الله إلى مقام، ومنعك حرمة أهله، والالتذاذ بما أوصلك إليه، فاعلم أنك مغرور مستدرج.
 * العلماء بالله هم الواقفون معه على حدود الآداب، لا يتجاوزونها إلا بإذن.
 * ما استصغرت أحداً من المسلمين إلا وجدت نقصاً في إيماني ومعرفتي.
 * من لم ترضه أوامر المشايخ وتأديبهم فإنه لا يتأدب بكتاب ولا سنة.
 * الطريق واضح، والدليل عالم، والزاد تام، والمركب قوى، ولكن منع القوم من الوصول الاستدلال بغير الدليل، والركض في الطريق على حد الشهوة، وأخذ الزاد من غير وجهه، وإضعاف المركب بقلّة تعهده.
 * إذا سلم لك وقت من أوقاتك عن الغفلة فغفر^(١) على ذلك الوقت أن تتبعه بما يخالفه، فإن مخالفة الأوقات على المرور من اعوجاج الباطن.
 * رأس مالك قلبك ووقتك، وقد شغلت قلبك بهواجس الظنون، وضيعت أوقاتك بارتكاب ما لا يعينك، فمتى يريح من خسر رأس ماله؟!
 * أسوأ الناس خلقاً من لا يعيش بعيشة أهل صحبته، ومن لا يظهر صديقه من عدوه.
 * الإنسان في خلقه أحسن منه في جديد غيره.

أبو إسحاق إبراهيم الخواص

ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص. وهو أحد من سلك طريق التوكل، وكان أوحى المشايخ في وقته، ومن أقران الجنيد والنورى له في السياحات والرياضات مقامات يطول شرحها. سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول: «مرض إبراهيم الخواص بالرى في المسجد الجامع، وكان به علة القيام، وكان إذا قام يدخل الماء ويغتسل، ويعود إلى المسجد ويركع ركعتين، فدخل الماء مرة ليغتسل فخرجت روحه وهو في وسط الماء».

مات سنة إحدى وتسعين ومائتين، إن صح. وتولى أمره في غسله ودفنه يوسف بن الحسين. ومن كلامه:

* من لم يصبر لم يظفر.

* من لم تبك الدنيا عليه لم تضحك الآخرة إليه.

* قال جعفر بن محمد: بت ليلة مع إبراهيم، فانتبهت فإذا هو يناجى إلى الصباح ويقول:

(١) أى كن ذا غيرة عليه.

برح الخفاء وفي التلاقي راحة.

هل يشتنفى خل بغير خليله؟

* ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العالم من اتبع العلم واستعمله، واقتدى بالسنن، وإن كان قليل العلم.
* وسئل عن الورع، فقال: ألا يتكلم العبد إلا بالحق، غضب أم رضى، ويكون اهتمامه بما يرضى الله تعالى.

* العلم كله فى كلمتين: لا تتكلف ما كفى، ولا تضيع ما استكفى.

* المتاجر برأس مال غيره مفلس.

* ليكن لك قلب ساكن، وكف فارغة، وتذهب النفس حيث شاءت.

* رأيت شيخا من أهل المعرفة عرج بعد سبعة عشر يوما على سبب فى البرية، فنهاه شيخ كان معه، فأبى أن يقبل، فسقط ولم يرتفع عن حدود الأسباب.

* دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين.

* على قدر إعزاز المؤمن لأمر الله يلبسه الله من عزه، ويقوم له العز فى قلوب المؤمنين، وذلك قوله تعالى: «والله العزة ولرسوله وللمؤمنين».

* عقوبة القلب أشد العقوبات، ومقامها أعلى المقامات، وكرامتها أفضل الكرامات، وذكرها أشرف الأذكار، وبذكرها تستجلب الأنوار، وعليها وقع الخطاب، وهو المخصوص بالتنبيه والعتاب.

* اختار من اختار من عباده لا لسابقة لهم إليه، بل لإرادة له فيهم، ثم علم ما يخرج منهم، وما يبدو عليهم، فقال عز وجل: «اخترناهم على علم»، أى منا بما فيهم من أنواع المخالفات، لأن من اشترى سلعة يعلم عيوبها لا يردّها.

عبد الله بن محمد الخراز الرازى

ومتهم أبو محمد عبد الله بن محمد الخراز، من كبار مشايخ الرازيين، جاور بالحرم سنين كثيرة، وهو من الورعين، القائلين بالحق، والطالين قوتهم من وجه حلال.

صحب أبا عمران الكبير، ولقى أبا حفص النيسابورى، وأصحاب أبي زيد، وكانوا جميعا يعظمونه ويعظمون شأنه.

حكى عن أبي حفص أنه قال: «نشأ بالرى فتى إن بقى على طريقته وسمته صار أحد الرجال».

مات قبل العشر وثلاثمائة.

ومن كلامه:

- ✽ قال محمد بن داود الدينورى المعروف بالدقى: «دخلتُ على عبد الله الخراز، ولى أربعة أيام لم آكل فقال: يجوع أحدكم أياما، فيصبح ينادى عليه الجوع، ثم قال: أى شىء يكون لو أن كل نفس منفوسة^(١) تلفت فيما تؤمله من الله! أترى يكون ذلك كثيرا؟
- ✽ الجوع طعام الزاهدين، والذكر طعام العارفين.
- ✽ العبودية ظاهرا، والحرية باطنا، من أخلاق الكرام.
- ✽ من تكرم عن الشغل بالدنيا اشتغل بما هو مأمور به.
- ✽ العبارة يعرفها العلماء، والإشارة يعرفها الحكماء، واللطائف يقف عليها السادة من الشيوخ.
- ✽ الهمم تختلف فى الدارين، وليس من همته فى المشهد الأعلى الحور والقصور، والاشتغال بنعيم الجنان وزخرفها، كمن همته مجالسة مولاه، والنظر إلى وجهه الكريم.
- ✽ وسئل عن علامة الصبر، فقال: ترك الشكوى، وإخفاء الضر والبلوى.
- ✽ العبد هو العاجز عن درك منيته إلا من جهة سيده.
- ✽ صيانة الأسرار عن الالتفات إلى الأغيار من علامات الإقبال على الله تعالى.
- ✽ أحسن العبيد حالا من أبصر نعم الله عليه، بأن أهله لمعرفته، وأذن له فى قربه، وأباح له سبيل مناجاته، وخاطبه على لسان أعز السفراء محمد ﷺ، وعرف تقصيره عن القيام بمواجب أداء شكره، إذ شكره يستوجب شكرا إلى ما لا نهاية.
- وأخس العبيد عبد عد تسبيحه وصلاته، وظن أنه يستحق بها على ربه شيئا، فلولا الفضل والرحمة لعانت الأنبياء عليهم السلام فى مقام الإفلاس، كيف وأجلهم حالا وأقربهم منزلة، والقائم بمقام الصدق حيث عجز عنه الرسل، يقول: «ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته»^(٢)، فمن رأى بعد هذا لنفسه مقاما فهو لبعده عن طريق المعارف.

بنان بن محمد الحمال

ومنهم أبو الحسن بنان بن محمد بن حمدان بن سعيد الحمال، واسطى الأصل، سكن مصر وأقام بها. وهو من جلة المشايخ، والقائلين بالحق، والأميرين بالمعروف، له المقامات المشهورة والآيات المذكورة.

(١) المصابة بالعين.

(٢) الحديث بتمامه: «لن ينجى أحدا منكم عمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته، سدودا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا».

صحب أبا القاسم الجنيد بن محمد وغيره من مشايخ وقته، وكان أستاذاً لأبي الحسين النورى.

مات بمصر فى شهر رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

عن عبد الرحمن بن شبل قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «إن الفجار هم أصحاب النار. قالوا: يا رسول الله، من هم؟ قال: النساء. قالوا: يا رسول الله، أليسوا أمهاتنا وأخواتنا وأزواجنا؟. قال: بلى، ولكنهم إذا أعطوا لم يشكروا، وإذا ابتلوا لم يصبروا».

ومن كلامه:

* إن الله تعالى خلق سبع سموات، فى كل سماء له خلق وجنود، وكل له مطيعون، وطاعتهم على سبع مقامات: طاعة أهل السماء الدنيا على الخوف والرجاء، وطاعة أهل السماء الثانية على الحب والحزن، وطاعة أهل السماء الثالثة على المنة والحياء، وطاعة أهل السماء الرابعة على الشوق والهيبة، وطاعة أهل السماء الخامسة على المناجاة والإجلال، وطاعة أهل السماء السادسة على الإنابة والتعظيم، وطاعة أهل السماء السابعة على المنة والقربة.

* من كان يسره ما يضره متى يفلح؟

* إن أفردته بالربوبية أفردك بالعناية، والأمر بيدك: إن نصحت صافوك، وإن خلطت جافوك.

* وستل عن أجل أحوال الصوفية، فقال: الثقة بالمضمون، والقيام بالأوامر، ومراعاة السر، والتخلى عن

الكونين بالتشبث بالحق.

* من ألبس ذل العجز فقد مات من شاهده، ومن ألبس عز الاقتدار فقد حى بشاهده، وجعل سببا لحياة

الهيكل، فهذا هو الفرق بين النفس والروح.

* رؤية الأسباب على الدوام قاطعة عن مشاهدة المسبب، والإعراض عن الأسباب جملة يؤدى بصاحبه

إلى ركوب البواطل.

* ليس بمستحق فى الحب من راقب أوقاته، أو تحمل فى كتمان حبه حتى ينتهك فيه، فيفتضح ويخلع

العذار، ولا يبالى عما يرد عليه من جهة محبوبه أو بسببه، ويتلذذ بالبلاء فى الحب، كما يتلذذ بالأغيار بأسباب

النعم، وأنشد على أثره:

لحانى العاذلون، فقلت: مهلا

فإنى لا أرى فى الحب عارا

وقالوا: قد خلعت، فقلت: لسنا

بأول خالغ خلع العذارا

أبو حمزة البغدادي البزاز

ومنهم أبو حمزة البغدادي البزاز، صحب السرى بن المغلس السقطى، وبشرا الحافى.

كان يتكلم ببغداد فى مسجد الرصافة قبل كلامه فى مسجد المدينة، وكان ينتمى إلى حسن المسوحى، وكان عالما بالقراءات.

وتكلم يوما فى جامع المدينة، فتغير عليه حاله، وسقط عن كرسيه، ومات الجمعة الثانية، ومات قبل الجنيد.

وكان من رفقاء أبى تراب النخشبى فى أسفاره، وهو من أولاد عيسى بن أبان. وكان أحمد بن حنبل إذا

جرى فى مجلسه شىء من كلام القوم يقول لأبى حمزة: «ما تقول فيها يا صوفى»؟

ودخل البصرة مرارا، توفى سنة تسع وثمانين ومائتين.

ومن كلامه:

* من المحال أن تحبه ثم لا تذكره، ومن المحال أن تذكره ثم لا يوجدك طعم ذكره، ومن المحال أن يوجدك طعم ذكره ثم يشغلك بغيره.

* قال أبو إسحاق بن الأعمش: قال رجل لى: «سألت أبا حمزة فقلت: أسأل؟ فقال: سل. فقلت: لم

أسأل؟. فقال: لأنك تسأل أن تسأل.

* خرجت من بلاد الروم فوقف على راهب، فقلت له: عندك من خبر من قد مضى؟ قال: نعم! «فريق

فى الجنة وفريق فى السعير».

* استراح من أسقط من قلبه محبة الدنيا، وإذا خلا القلب من محبة الدنيا دخله الزهد، وإذا دخله الزهد

أورثه ذلك التوكل.

* من رزق ثلاثة أشياء مع ثلاثة أشياء فقد نجح من الآفات: بطن خال مع قلب قانع، وفقير دائم مع زهد

حاضر، وصبر كامل مع ذكر دائم.

* وقال الجنيد: «وافى أبو حمزة من مكة وعليه وعشاء السفر، فسلمت عليه وشهيتته، فقال: سكباج

وعصيدة تخلىنى بهما، فأخذت مكوك دقيق وعشرة أرطال لحم وباذنجان وخلأً وعشرة أرطال دبس، وصنعنا

له عصيدة وسكباجة، ووضعناها فى حير لنا، وأسبلت الستر، فدخل وأكله كله، فلما فرغ دخلت عليه، وقد

أتى على كله، فقال لى: يا أبا القاسم! لا تعجب فهذا من مكة الأكلة الثالثة»^(١)

✽ ليس السخاء أن يعطى الواجد المعدم، إنما السخاء أن يعطى المعدم الواجد.

✽ حب الفقر شديد، ولا يصبر عليه إلا صديق.

✽ إذا فتح الله عليك طريقا من طرق الخير فالزمه، وإياك أن تنظر إليه وتفتخر به، ولكن اشتغل بشكر من وفقك لذلك، فإن نظرك إليه يسقطك عن مقامك، واشتغالك بالشكر يوجب لك منه المزيد، لأن الله تعالى يقول: «لئن شكرتم لأزيدنكم».

✽ من علم طريق الحق سهل عليه سلوكها، وهو الذى علمها بتعليم الله إياه، ومن علمها بالاستدلال فمرة يخطيء ومرة يصيب، ومن تبع فيه أثر الدليل الصادق الناصح بلغ عن قريب إلى مقصده. ولا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلا متابعة الرسول ﷺ فى أحواله وأفعاله وأقواله.

✽ إذا سلمت منك نفسك فقد أدت حقها، وإذا سلم منك الخلق فقد أدت حقوقهم.

أبو الحسين الوراق النيسابورى

ومنهم أبو الحسين محمد بن سعد الوراق، وهو من كبار مشايخ نيسابور، ومن قدماء أصحاب أبى عثمان، وله كلام على سنن كلام أبى عثمان. وكان عالما بعلوم الظاهر، ويتكلم فى دقائق علوم المعاملات وعيوب الأفعال.

مات قبل العشرين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

✽ الكرم فى العفو ألا تذكر جناية صاحبك بعد أن عفوت عنه.

✽ اللئيم لا يوفق للعفو من ضيق صدره.

✽ حياة القلب فى ذكرى الحى الذى لا يموت، والعيش الهنىء مع الله لا غير.

✽ لا يصل العبد إلى الله إلا بالله، وبموافقة حبيبه ﷺ فى شرائعه، ومن جعل الطريق إلى الوصول فى غير الاقتداء يضل من حيث يظن أنه مهتد، ومن وصل اتصل، وما رجع من رجع من الطريق إلا من الإشفاق على النفس وطلب الراحة، لأن الطريق إلى الله صعب لمن لم يدخل فيه بوجد غالب وشوق مزعج، فيهون عليه إذ ذاك حمل الأثقال، وركوب الأهوال، فإذا انقادت له النفس على ذلك، وهان عليه ما يلقي فى طلب المحبوب سهل الله عليه سبيل الوصول.

(١) السكياج: مرق يعمل من اللحم والخل، وربما جعل فيه زعفران. والمكوك: مكياك نصف رطل إلى ثمانى أواقى. والدبس: عسل التمر. والحير: البستان.

* أجل شيء يفتح الله تعالى به على عبده التقوى. فإن منه يتشعب جميع الخيرات، وأسباب القربة والتقرب، وأصل التقوى والإخلاص، وحقيقته التخلي عن كل شيء إلا من إليه تقواك.

* الصدق استقامة الطريق في الدين، واتباع السنة في الشرع.

* الشهوة أغلب سلطان على النفس، ولا يزيلها إلا الخوف المزعج.

* اليقين ثمرة التوحيد، فمن صفا في التوحيد صفا له اليقين.

* من لم يفن عن نفسه وسره ورؤية الخلق لا يحيا سره لمشاهدة الخيرات والمنز.

* مخافة خوف القطيعة أذبلت نفوس المحبين، وأحرقت أكباد العارفين، وأسهرت ليل العابدين، وأظمأت نهار الزاهدين، وأكثرت بكاء التائبين، ونغصت حياة الخائفين.

* التوكل استواء الحال عند العدم والوجود، وسكون النفس عند مجارى المقدور.

* علامة محبة الله تعالى متابعة حبيبه ﷺ.

* أصل الفتوة خمس خصال: أولها الحفاظ، والثاني الوفاء، والثالث الشكر، والرابع الصبر، والخامس الرضا.

* فى رؤية النفس نسيان من الله تعالى عليك.

* أنفع العلم العلم بأمر الله ونهيه، ووعده ووعيدته، وثوابه وعقابه، وأعلى العلوم العلم بالله وصفاته وأسمائه.

* الأئس بالخلق وحشة، والطمأنينة إليهم حمق، والسكون إليهم عجز، والاعتماد عليهم وهن، والثقة بهم ضياع، وإذا أراد الله بعبد خيرا جعل أنسه به وبذكرة وتوكله عليه، وصان سره عن النظر إليهم، وظاهره عن الاعتماد عليهم.

* من غض بصره عن محرم أورثه الله تعالى بذلك حكمة على لسانه، ينتفع بها سامعوه، ومن غض بصره عن شبهة نور الله قلبه بنور يهتدى به إلى طرق مرضاته.

* من أسكن نفسه محبة شيء من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع، ومن طمع فى شيء ذل، وبذلك هلك وقدما قيل:

أتطمع فى ليلى، وتعلم إنما

يقطع أعناق الرجال المطامع؟

* لا يصل العبد إلى شيء من التقوى وعليه بقية من الزهد والورع، والتقوى مقرونة بالراحة. قال الله تعالى: «ومن يتق الله يجعل له مخرجا».

أبو بكر الواسطي

ومنهم أبو بكر محمد بن موسى الواسطي، وأصله من فرغانة، وكان يعرف بابن الفرغاني من قدماء أصحاب الجنيد، وأبي الحسين النوري، وهو من علماء مشايخ القوم. لم يتكلم أحد في أصول التصوف مثل ما تكلم هو، وكان عالما بالأصول وعلوم الظاهر.

دخل خراسان، واستوطن كورة مرو، وكلامه عندهم. ولم أر بالعراق من كلامه شيئا، وذلك أنه خرج من العراق وهو شاب ومشايخه في الأحياء، فتكلم بخراسان بأبيورد ومرو، وأكثر كلامه بمرو. مات بمرو بعد العشرين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* شاهده بمشاهدة الحق إياك، ولا تشهده بمشاهدتك له.

* ابتلينا بزمان ليس فيه آداب الإسلام، ولا أخلاق الجاهلية، ولا أحلام ذوى المروءة.

* الأسراء على وجوه: أسير نفسه وشهوته، وأسير شيطانه وهواه، وأسير مالا معنى له: لفظه أو لحظه، هم الفساق. وما دام للشواهد على الأسرار أثر، وللإعراض على القلب خطر فهو محجوب بعيد عن عين الحقيقة، وما تورع المتورعون ولا تزهد المتزهدون إلا لعظم الإعراض في أسرارهم، فمن أعرض عنها أدبا أو تورع عنها ظرفا، فذلك الصادق في ورعه والحكيم في أدبه.

* أفقر الفقراء من ستر الحق حقيقة حقه عنه.

* الحب يوجب شوقا، والشوق يوجب أنسا، فمن فقد الشوق والأنس فليعلم أنه غير محب.

* كيف يرى الفضل فضلا من لا يأمن أن يكون ذلك مكرًا؟.

* الموحّد لا يرى إلا ربوبية صرفا، تولت عبودية محضا، وفيه معالجة الأقدار، ومغالبة القسمة.

* الخوف والرجاء زمامان يمنعان من سوء الأدب

* الخوف حسب ما بين العبد وبين الله تعالى، والخوف هو الإيأس، والرجاء هو الطمع. فإن خفته بخلته، وإن رجوته اتهمته.

* من حال به الحال كان مضروفا عن التوحيد، ومن انقطع به انقطع، ومن وصل به وصل. وفي الحقيقة

لا فصل ولا وصل، ولذلك قيل:

ولا عن قلى كان القطيعة بيننا

ولكنه دهر يشت ويجمع

* كائنات محتومة، بأسباب معروفة، وأوقات معلومة، اعتراض السريرة لها رعونة.

* الرضا والسخط نعتان من نعوت الحق، يجريان على الأبد بما جريا فى الأزل، يظهران الوسمين على المقبولين والمطرودين، فقد بانت شواهد المقبولين بضيائها عليهم، كما بانت شواهد المطرودين بظلمها عليهم، فأنى تنفع مع ذلك الألوان المصفرة، والأكمام المقصرة، والأقدام المنتفخة؟
* التعرض للحق والسبيل إليه تعرض للبلاء، ومن تعرض للبلاء لا يسلم منه، ومن أراد السلامة فليتباعد من مراتع الأهوال. وأنشد:

ذرينى تجئنى ميتى مطمئنة

ولم أتجشم هول تلك الموارد

فإن عليات الأمور مشوبة

بمستودعات فى بطون الأساود

* الوقاية للأشباح، والرعاية للأرواح.

* الوقت أقل من ساعة، فما أصابك من نعمة أو شدة - قبل ذلك الوقت - فأنت عنه خال، وإنما ينالك منه ما فى ذلك الوقت، وما كان بعد ذلك فلا تدرى أىصل إليك أم لا.
* الذاكرون فى ذكره أكثر غفلة من الناسين لذكره، لأن ذكره سواه.
* حياة القلب بالله تعالى، بل بقاء القلوب مع الله، بل الغيبة عن الله بالله.
* أربعة أشياء لا تليق بالمعرفة: الزهد والصبر والتوكل والرضا، لأن كل ذلك من صفة الأشباح.
* مطالعة الأعراض على الطاعات من نسيان الفضل.
* الناس على ثلاث طبقات: الطبقة الأولى من الله عليهم بأنوار الهداية، فهم معصومون من الكفر والشرك والنفاق، والطبقة الثانية من الله عليهم بأنوار العناية، فهم معصومون عن الصغائر والكبائر، والطبقة الثالثة من الله عليهم بالكفاية. فهم معصومون عن الخواطر الفاسدة، وحركات أهل الغفلة.

الحسين بن منصور الحلاج

ومنهم أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج، وهو من أهل بيضاء وفارس. ونشأ بواسط، والعراق وصحب الجنيد، وأبا الحسين النورى، وعمرا المكى، والفوطى، وغيرهم.

والمشايخ فى أمره مختلفون. رده أكثر المشايخ ونفوه، وأبوا أن يكون له قدم فى التصوف.. وقبله من جملتهم أبو العباس بن عطاء، وأبو عبد الله محمد بن خفيف، وأبو القاسم إبراهيم بن محمد النصر ابادى، وأثنوا عليه، وصححوه له حاله، وحكوا عنه كلامه، وجعلوه أحد المحققين، حتى قال محمد بن خفيف: «الحسين بن منصور عالم ربانى».

قتل ببغداد بباب الطاق، يوم الثلاثاء لست بقين من ذى القعدة، سنة تسع وثلاثمائة.
ومن كلامه:

- * حجبهم بالاسم فعاشوا، ولو أبرز لهم علوم القدرة لطاشوا، ولو كشف لهم الحجاب عن الحقيقة لماتوا.
- * إلهى، أنت تعلم عجزى عن مواضع شركك، فاشكر نفسك عني، فإنه الشكر لا غير.
- * من لاحظ الأعمال حجب عن المعمول له، ومن لاحظ المعمول له حجب عن رؤية الأعمال.
- * أسماء الله تعالى من حيث الإدراك اسم، ومن حيث الحق حقيقة.
- * خاطر الحق هو الذى لا يعارضه شىء.
- * إذا تخلص العبد إلى مقام المعرفة أوحى الله تعالى إليه بخاطره، وحرس سره أن يسبح فيه خاطر غير الحق..

* وسئل: لم طمع موسى عليه السلام فى الرؤية وسألها؟ فقال: لأنه انفرد للحق، وانفرد الحق به فى جميع معانيه، وصار الحق مواجهه فى كل منظور إليه، ومقابله دون كل محضور لديه، على الكشف الظاهر إليه، لا على التغييب، فذلك الذى حملة على سؤال الرؤية لا غير.

وأنشد:

أنت بين الشغاف والقلب تجرى
مثل جرى الدموع من أجفانى
وتحمل الضمير، جوف فؤادى
كحلول الأرواح فى الأبدان
ليس من ساكن تحرك إلا
أنت حركته خفى المكان
ياهللاً بدا لأربع عشر
لثمان، وأربع، واثنتان

* وسئل عن المريـد، فقال: هو الرامى بقصده إلى الله عز وجل، فلا يعرج حتى يصل.

* المريـد الخارج عن أسباب الدارين، أثره بذلك على أهلها.

* إن الأنبياء عليهم السلام سلطوا على الأحوال فملكوها، فهم يصرفونها لا الأحوال تصرفهم، وغيرهم سلطت عليهم الأحوال، فالأحوال تصرفهم لا هم يصرفون الأحوال.

* الحق هو المقصود إليه بالعبادات، والمصمود إليه بالطاعات، لا يشهد بغيره، ولا يدرك بسواه. بروائح مراعاته تقوم الصفات، وبالجمع إليه تدرك الراحة.

* لا يجوز لمن يرى أحدا، أو يذكر أحدا، أن يقول إنى عرفت الأحد الذى ظهرت منه الآحاد.

* السنّة مستنطقات، تحت نطقها مستهلكات، وأنفس مستعملات، تحت استعمالها مستهلكات.

* حياء الرب أزال عن قلوب أوليائه سرور المنة، بل حياء الطاعة أزال عن قلوب أوليائه شهوة سرور

الطاعة.

وأنشد:

مواجيد حق، أوجد الحق كلها

وإن عجزت عنها فهوم الأكابر

وما الوجد إلا خطرة ثم نظرة

تثير لهيبا بين تلك السرائر

إذا سكن الحق السريرة ضوعفت

ثلاثة أحوال لأهل البصائر

فحال يبید السر عن كنه وجده

ويحضره للوجد فى حال حائر

وحال به زمت ذرى السر فانثنت

إلى منظر أفناه عن كل منظر

* من أسكرته أنوار التوحيد حجبته عن عبارة التجريد، بل من أسكرته أنوار التجريد نطق عن حقائق

التوحيد، لأن السكران هو الذى ينطق بكل مكتوم.

* من التمس الحق بنور الإيمان كان كمن طلب الشمس بنور الكواكب.

* لما كان الله تعالى أوجد الأجسام بلاعلة، كذلك أوجد فيها صفاتها بلاعلة. وكما لا يملك العبد أصل

فعله، كذلك لا يملك فعله.

✽ ما انفصلت البشرية عنه، ولا اتصلت به.

أبو الحسين بن الصائغ الدينورى

ومنهم أبو الحسن على بن محمد بن سهل بن الصائغ الدينورى، كان من كبار المشايخ. أقام بمصر ومات بها.

سمعت أبا عثمان المغربى يقول: «لم أر فيمن رأيت من المشايخ أنور من أبى يعقوب النهرجورى، ولا أكبر همة من أبى الحسن بن الصائغ الدينورى.

سألت الشيخ أبا عثمان: هل كان أبو الحسن من السالكين؟ فقال: «كان من العاملين المخلصين فى المعاملة».

توفى بمصر سنة ثلاثين وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

عن أبى بكر عن النبى ﷺ فى قول الله تعالى: «ثلة من الأولين، وقليل من الآخرين» قال: «هما فى هذه الأمة».

ومن كلامه:

✽ سئل عن صفة المرید، فقال: صفته ما قال الله عز وجل: «ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقوا عليهم أنفسهم، وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه».

✽ من توالى عليه هموم الدنيا فليذكرهما لا يزول، ليستريح منها.

✽ وسئل: ما الذى يجب على الإخوان إذا اجتمعوا؟ فقال: التواصى بالحق، والتواصى بالصبر. قال الله تعالى: «وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر».

✽ ينبغى للمرید أن يترك الدنيا مرتين: يتركها مرة بنضارتها ونعيمها، وألوان مطاعمها ومشاربها، وجميع ما فيها. ثم إذا عرف بترك الدنيا ويخل ويكرم لها، فينبغى أن يستر إذ ذاك حاله بالإقبال على أهلها، لئلا يكون ذكره فى ترك الدنيا ذنباً هو أعظم من الإقبال على الدنيا وطلبها، أو فتنة أعظم منها.

✽ من فساد الطبع التمنى والأمل.

✽ كان بعض مشايخنا يقول: من تعرض لمحبتة جاءته المحن والبلايا بالأوقار^(١).

✽ أهل المحبة فى لهيب شوقهم إلى محبوبهم يتنعمون فى ذلك اللهب، أحسن مما يتنعم أهل الجنة فيما أهلوا له من النعيم.

(١) الأحمال الثقيلة.

* محبتك لنفسك هي التي تهلكها.

* وسئل: ما المعرفة؟ فقال: رؤية المنة في كل الأحوال، والعجز عن أداء شكر النعم من كل الوجوه،

والتبري من الحول والقوة في كل شيء.

* وسئل: بماذا يتسلى المحب في المحبة؟ وبماذا يروح فؤاده عن هيجانه؟ فأشأ يقول:

لو أشرب السلوان ماسليت

ماي غنى عنك وإن غنيت

* الأحوال كالبروق، فإذا ثبت فهو حديث النفس وملاءمة الطبع.

* وسئل عن الاستدلال بالشاهد على الغائب، فقال: كيف يستدل بصفات من يشاهد ويعاين، وهو ذو

مثل، على صفات من لا يشاهد في الدنيا، ولا يعاين، ولا مثل له ولا نظير؟!

ممشاذ الدينوري

ومنهم ممشاذ الدينوري، وهو من كبار مشايخهم، صحب يحيى الجلاء ومن فوّه من المشايخ، عظيم المرمي

في هذه العلوم، أحد فتيان الجبال، كبير الحال، ظاهر الفتوة.

ذكر أبو زرعة أنه مات سنة تسع وتسعين ومائتين، إن كان حفظه.

ومن كلامه:

* طريق الحق بعيد، والصبر مع الحق شديد.

* جماع المعرفة صدق الافتقار إلى الله تعالى.

* لو جمعت حكمة الأولين والآخرين، وادعيت أحوال السادة من الأولياء، فلن تصل إلى درجات

العارفين، حتى يسكن شرك إلى الله تعالى، وتثق به فيما ضمن لك.

* ما أقبح الغفلة عن طاعة من لا يغفل عن برك، وما أقبح الغفلة عن ذكر من لا يغفل عن ذكرك.

* فراغ القلب في التخلي مما تمسك به أهل الدنيا من فضول دنياهم.

* للعارف مرآة إذا نظر فيها تجلى له مولاه.

* ما كتب صحيح إلى صحيح، وما لقي صحيح صحيحا، وما افترقا في الحقيقة.

* من يكن الله تعالى همته لم تستقطعه الأقدار، ولم تملكه الأخطار..

* ما دخلت قط على أحد من شيوخى، إلا وأنا خال من جميع مالى، أنظر بركات ما يرد على من رؤيته

أو كلامه، فإن من دخل على شيخ بحظه، انقطع بحظه عن بركات رؤيته ومجالسته وأدبه وكلامه.

* رأيت في بعض أسفارى شيخا توسمت فيه الخير فقلت: يا سيدى، كلمة تزودنى بها. فقال: همتك فاحفظها، فإن الهمة مقدمة الأشياء، ومن صلحت له همته وصدق فيها صلح له ما وراءها من الأعمال والأحوال.

* أدب المرید فى أربعة أشياء: التزام حرمان المشايخ، وخدمة الإخوان، والخروج عن الأسباب، وحفظ آداب الشرع على نفسه.

* الأسباب علائق، وفى التعرّيج موانع، والاستثناء إلى مسبوق القضاء فراغة... وأحسن الناس حالا من أسقط عن نفسه رؤية الخلق، ورعى سره فى الخلوات، واعتمد على الله تعالى فى جميع أموره.
* صحبة أهل الصلاح تورث فى القلب الصلاح، وصحبة أهل الفساد تورث فيه الفساد.
* وسئل عن التوكل، فقال: التوكل حسم الطمع عن كل ما يميل إليه قلبك ونفسك.
* أرواح الأنبياء فى حال الكشف والمشاهدة، وأرواح الصديقين فى القربة والاطلاع.

إبراهيم القصار

ومنهم أبو إسحق إبراهيم بن داود القصار الرقى، من جلة مشايخ الشام. من أقران الجنيد، وابن الجلاء، إلا أنه عمر.

وصحبه أكثر مشايخ الشام... وكان لازما للفقير، مجردا فيه، محبا لأهله.

توفى سنة ست وعشرين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* قيمة كل إنسان بقدر همته، فإن كانت همته الدنيا فلا قيمة له، وإن كانت همته رضاء الله تعالى فلا يمكن استدراك غاية قيمته ولا الوقوف عليها.

* وسأله رجل: هل يبدى المحب حبه؟ أو هل ينطق به؟ أو يطيق كتمانته؟. فأنشأ يقول متمثلا:

ظفرتم بكتمان اللسان فمن لكم

بكتمان عين دمعها الدهر يذرف

حملتم جبال الحب فوقى، وإننى

لأعجز عن حمل القميص وأضعف

* التوكل السكون إلى مضمون الحق.

* الراضى لا يسأل، وليس من شرط الرضا المبالغة فى الدعاء.

* المعرفة إثبات الرب - أو قال الحق - عز وجل، خارجا عن كل موهوم، لأن النبى ﷺ قال: «تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله»^(١).

* حسبك من الدنيا صحبة فقير، وخدمة ولى.

* القدرة ظاهرة، والأعين مفتوحة، ولكن أنوار البصائر قد ضعفت.

* الأبصار قوية، والبصائر ضعيفة.

* من اكتفى بغير الكافى، افتقر من حيث استغنى.

* الكفايات تصل إليك بلا تعب، والاشتغال والتعب كلها فى الفضول.

* كفايات الفقراء هى التوكل، وكفايات الأغنياء هى الاستناد إلى الأملاك.

* أضعف الخلق من ضعف عن رد شهواته، وأقوى الخلق من قوى على ردها.

* ما دام لأعراض الكون فى قلبك خطر، فاعلم أنه لا خطر لك عند الله.

* من تعزز بشئ غير الله فقد ذل فى عزه.

* الأولياء مرتبطون بالكرامات والدرجات، والأنبياء مكشوف لهم عن حقائق الحق، فالكرامات

والدرجات عندهم وحشة.

* علامة محبة الله تعالى إثثار طاعته ومتابعة نبيه ﷺ.

* الأنبياء منبسطون على بساط الأنس، والأولياء على درجات الكرامة.

خير النساج

ومنهم أبو الحسن محمد بن إسماعيل، المسمى بخير النساج، كان أصله من سامرا، وأقام ببغداد.

صحب أبا حمزة البغدادي، وسأل السرى السقطى عن مسائل، وكان إبراهيم الخواص تاب فى مجلسه،

وكذلك الشبلبى تاب فى مجلسه، وكان من أقران النورى وطبقته.

وإنما سمى خير النساج لأنه خرج إلى الحج فأخذه رجل على باب الكوفة، فقال: «أنت عبدى، واسمك

خير». وكان أسود فلم يخالفه، فأخذه الرجل واستعمله فى نسج الخبز سنين. وكان يقول له: يا خير، فيقول:

ليبك. ثم قال له الرجل بعد سنين: أنا غلطت، لا أنت عبدى، ولا اسمك خير.. فلذلك سمى خير النساج.

وكان يقول: لا أغير اسما سمانى به رجل مسلم.

(١) هذا حديث ضعيف.

عاش مائة وعشرين سنة.

قال أبو الحسين المالكى: «سألت من حضر موت خير النساج عن أمره، فقال: لما حضرته صلاة المغرب غشى عليه، ثم فتح عينيه، وأوماً إلى ناحية البيت وقال: قف، عافاك الله، إنما أنت عبد مأمور، وأنا عبد مأمور، وما أمرت به لا يفوتك، وما أمرت به يفوتنى، فدعنى أمض فيما أمرت به، ثم امض لما أمرت به. فدعا بماء فتوضأ وصلى، ثم تمدد وغمض عينيه، وتشهد ومات».

وأخبرنى بعض أصحابنا أنه رآه فى النوم فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: لا تسألنى عن هذا، ولكنى استرحت من دنياكم الوضرة^(١).

ومن كلامه:

* من عرف من الدنيا قدرها وجد من الآخرة حقها، ومن جهل من الآخرة حقها قتله من الدنيا نزرها.

* الصبر من أخلاق الرجال، والرضا من أخلاق الكرام.

* شرح صدور المتقين، وكشف بصائر المهتدين، بنور حقائق الإيمان.

* من لاحظ شكره استصغر نعمه.

* من سبق بخطوة لا يدرك إذا كان صادقاً مجتهداً.

* الإخلاص هو الذى لا يقبل عمل عامل إلا به.

* العمل الذى يبلغ الغايات هو رؤية التقصير والعجز والضعف.

* لا نسب أشرف من نسب من خلقه الله تعالى بيده، فلم يعصمه، ولا علم أشرف من علم من علمه الله الأسماء كلها، فلم ينفعه فى وقت جريان القدر والقضاء عليه، ولا عبادة أتم ولا أكثر من عبادة إبليس، لم ينج ذلك من المسبوق عليه.

* توحيد كل مخلوق ناقص لقيامه بغيره وحاجته إلى غيره، قال الله تعالى: «يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله» أى المحتاجون إليه فى كل نفس، «والله هو الغنى» عنكم وعن توحيدكم وأفعالكم، «الحميد» الذى يقبل منك ما لا يحتاج إليه، ويشبك عليه ما تحتاج إليه.

* ميراث أفعالك ما يليق بأفعالك، فاطلب ميراث فضله، فإنه أتم وأحسن، قال الله تعالى: «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون».

(١) الوضرة: الوسخة القذرة. يقال: فلان وضر الأخلاق إذا كان خبيثاً. ويقال: كان نقى العرض فوضره بالدناءة.

* الخوف سوط الله فى الأرض، يقوم به أنفسنا تعودت سوء الأدب، ومتى أساءت الجوارح الأدب فهو من غفلة القلب وظلمة السر.

أبو حمزة الخراسانى

ومنهم أبو حمزة الخراسانى، وكان أصله من نيسابور من مجلة ملقاباذا، صحب مشايخ بغداد، وهو من أقران الجنيد، سافر مع أبى تراب النخشبى، وأبى سعيد الخراز، وهو من أفتى المشايخ وأورعهم. ومن كلامه:

* من نصح نفسه كرمت عليه، ومن تشاغل عن نصيحتها هانت عليه.

* وسئل عن الأانس فقال: ضيق الصدر عن معاشرة الخلق.

* الغريب المستوحش من الألف.

* من استشعر ذكر الموت حبيب إليه كل باق، وبغض إليه كل فان.

* العارف يخاف زوال ما أعطى، والخائف يخاف نزول ما وعد، والعارف يدافع عيشه يوما ليوم، ويأخذ عيشه يوم ليوم.

* وسئل عن الصوفى فقال: من صفى من كل درن، فلم يبق فيه وسخ المخالفات بحال.

* من استوحش من نفسه أنس قلبه بموافقة مولاه.

* وقال له ر : أوصنى. فقال: هبى زادك للسفر الذى بين يديك، فكأنى بك وأنت فى جملة الراحلين عن منزلك، وهبى لنفسك منزلا تنزل فيه إذا نزل أهل الصفوة منازلهم، لثلا تبقى متحسرا.

* وقال لبعض أصحابه: خف سطوة العدل، وأرج رافة الفضل، ولا تأمن من مكره، وإن أنزلك الجنان.

ففى الجنة وقع لأبيك آدم ما وقع، وقد يقطع بقوم فيها، فيقال لهم: «كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية» فشغلهم عنه بالأكل والشرب، ولا مكر فوق هذا، ولا حسرة أعظم منه.

* من خصه الله تعالى بنظرة شفقة فإن تلك النظرة تنزله منازل أهل السعادة، وتزينه بالصدق ظاهرا وباطنا.

* وسئل: هل يتفرغ المحب إلى شئ سوى محبوبه؟ فقال: لا، لأنه بلاء دائم، وسرور متقطع، وأوجاع

متصلة لا يعرفها إلا من باشرها. وأنشد:

يقاسى المقاسى شجوه دون غيره

وكل بلاء عند لاقيه أوجع

* وسمع بعض أصحابه وهو يلوم بعض إخوانه على إظهار وجهه وغلبة الحال عليه، وإظهار سره فى

مجلس فيه بعض الأضداد، فقال: أقصر يا أخى، فالواجد الغالب يسقط التمييز، ويجعل الأماكن كلها مكانا

واحدا، والأعيان عينا واحدة، ولا لوم لمن غلب عليه وجده، فاضطره إلى أن يبديه. وما أحسن ما قال ابن الرومي:

فدع المحب من الملامة، إنها
بئس الدواء لموجع مقلق
لا تطفئن جوى بلوم أنه
كالريح يعرى النار بالإحراق
أبو عبد الله الصبيحي

ومنهم أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن بكر الصبيحي، كان من أهل البصرة. وقيل أنه لم يخرج من سرب في داره ثلاثين سنة يجتهد فيه ويتعبد. أخرج أهل البصرة منها، فخرج إلى السوس، فمات بها، وبها قبره. وكان عالما بعلوم القوم وبالأصول. صنف كتابا للقوم، وكان صاحب لسان وورع. ومن كلامه:

* السماع بالتصريح جفاء، والسماع بالإشارة تكلف، وألطف السماع ما يشكل إلا على مستمعه.
* وسئل عن أصول الدين، فقال: إثبات صدق الافتقار إلى الله تعالى، وحسن الاقتداء برسول الله ﷺ، وفروعه أربعة أشياء: الوفاء بالعهود، وحفظ الحدود، والرضا بالموجود، والصبر على المفقود.
* الربوبية سبقت العبودية، وبالربوبية ظهرت العبودية، وتام وفاء العبودية مشاهدة الربوبية.
* وسئل عن التسلى والانقطاع، فقال: لا يقطعك عن الشيء ما هو مثله أو دونه، وإنما يقطعك عنه ما هو أتم منه وأعلى، والنظر في عواقب الأمور من أحوال العاجزين، والتقحم على الموارد من أحوال الرجال، والجمود بالرضاء تحت موارد القضاء من أحوال العارفين.
* يجب أن يكون الواجد - إذا كان وجده صحيحا - أن يكون في حال وجده محفوظا، لا يجرى عليه لسان الدم بحال.

* المبقى في أوصافه يحوم حول الشرك، لفرحه ببقائه، فإنه أبدا يشاهد شاهده.

* الغريب هو البعيد عن وطنه، وهو مقيم فيه.

* الغريب الذى لا جنس له.

* وقال مرة أخرى: الغريب من صحب الأجناس.

* أتم الخوف ما كان على صفة الوجد، لا على فقد ما يرجو أو يتمنى.

* ابتلى الخلائق بأسرهم بالدعاوى العريضة فى المغيب... فإذا أظلتهم هيبة المشهد خرسوا وانقمعوا، وصاروا لا شئ، ولو صدقوا فى دعاوهم لبرزوا عند المشاهدة كما برز نبينا ﷺ، وتقدم الخلائق بقدّم الصدق حين طلب إليه الشفاعة فقال: «أنا لها»، لم ترعه هيبة الموقف، لما كان عليه من قدم الصدق وما أشبه هذه الدعاوى الباطلة إلا بقول بعضهم حيث يقول:

ينوى العتاب له من قبل رؤيته

فإن رآه فدمع العين مسكوب

لا يستطيع كلاما حين يبصره

كل اللسان، وفى الأحشاء تلهيب

وليس تخرس الألسنة فى المشاهدة إلا لبعدها من الصدق، فمن صدق فى المحبة تكلم عنه الضمير إذا سكت عن النطق اللسان.

أبو جعفر بن سنان

ومنهم أبو جعفر أحمد بن حمدان بن على بن سنان، من كبار مشايخ نيسابور، صحب أبا عثمان، ولقى أبا حفص، وهو أحد الخائفين الورعين... وكتب الحديث الكثير ورواه. وبيته بيت الزهد والورع، إلى أن انتهى الأمر، وختم بحفيده ابن بنته أبى بشر محمد بن أحمد الخلاوى، المقيم بمكة، المجاور بها فى آخر سفره عشرين سنة متوالية. نعى إلينا أبو بشر فى سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، وكان مات فى سنة ست بمكة. وهو كان أوحد مشايخ الحرم فى وقته. ومات أبو جعفر سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. وروى الحديث:

عن الشيبانى قال: سألت ابن أبى أوفى: أرجم رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قلت: بعد ما نزلت سورة النور أم قبلها؟ قال: لا أدرى! ومن كلامه:

* من لزم العزلة والخلو يكون أقل لفضيحتة فى الدنيا، إلى أن يبلغ إلى فضيحة الآخرة.

* سئل بعض الحكماء: من أين معاشك؟ فقراً: «كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً».

* لو أمرك بمعرفته ولم يتعرف إليك كنت أجهل به ممن أنكره.

- * تكبير المطيعين على العصاة بطاعتهم شر من معاصيهم وأضر عليهم.
- * غفلتك عن توبة من ذنب ارتكبته شر من ارتكابه.
- * جمال الرجل في حسن مقاله، وكما له في صدق أفعاله.
- * علامة من انقطع إلى الله على الحقيقة ألا يرد عليه ما يشغله.
- * أنت تبغض العاصي بذنب واحد تظنه، ولا تبغض نفسك مع ما تتيقنه من ذنوبك. ذمك لأخيك بعيوبه يوقعك فيما تذمه وشر منه، ولو وفقت لدعوت له ورحمته، وخفت على نفسك من مثله، وشكرت الله تعالى حيث لم يهلك بما بلاه به.
- * من علم من نفسه ما يعلم، ثم يحبها بعد ذلك، فقد أحب ما أبغض الله تعالى.
- * كبير الإساءة مع التوبة والندامة أصغر من صغيرها مع الإصرار لأن الله تعالى يقول: «ولم يصبروا على ما فعلوا وهم يعلمون»، وقليل الإحسان مع الإخلاص أكثر من كثير الإحسان مع الرياء والعجب والآفات.
- * لا يعظم حرمة الله إلا من عظم الله، ولا يعظم الله إلا من عرفه، ومن عرفه خضع له وانقاد في خضوعه، وخضوعه يتولد من تعظيمه لربه. فإذا عظمه صغر كل ما سواه عنده، فيتولد له من ذلك تعظيم حرمة المؤمنين، وذلك لعظيم حرمة الله في قلبه أن يعظم كل من بطيع ربه أو يعرفه.

الرَّابِعَةُ الرَّابِعَةُ

أبو بكر الشبلي

ومنهم أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي، ويقال: ابن جعفر، ويقال: اسمه جعفر بن يونس، سمعت الحسين ابن يحيى الشافعي يذكر ذلك، وكذلك رأيت ببغداد مكتوبا على قبره.

وهو خراساني الأصل، بغدادى المولد والمنشأ. وأصله من أسروشنة، ومولده كما قيل سامرا. تاب في مجلس خير النساج، وصحب الجنيد ومن في عصره من المشايخ، وصار أوحده وقتة حالا وعلما وكان عالما فقيها على مذهب مالك، وكتب الحديث ورواه. عاش سبعا وثمانين سنة، ومات في ذى الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، ودفن في مقبرة الحيزران، وقبره اليوم ظاهر.

روى الحديث:

عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ لبلال: «اللق الله فقيرا ولا تلقه غنيا، قال: يارسول الله، كيف لى بذلك؟ قال: ما سئلت فلا تمنع، وما رزقت فلا تخبأ. قال: يارسول الله، كيف لى بذلك؟ قال: هو ذاك وإلا فالنار».

ومن كلامه:

* قيل له: إن أبا تراب ذكر أنه جاع فى البادية، فرأى البادية كلها طعاما، فقال: عبد رفق (١)، ولو بلغ إلى محل التحقيق لكان كمن قال: «إنى أظل عند ربي يطعمنى ويسقيني».

* وسئل عن الوفاء، فقال: هو الإخلاص بالنطق، واستغراق السرائر بالصدق.

* ما ظنك بعلم علم العلماء فيه تهمة؟

* وكان إذا نظر إلى أصحابه يسافرون، ويرى تقطعهم فى أسفارهم، يقول: ويلكم! أبد مما ليس منه بد؟ بل بد ممن ليس منه بد؟

* الأرواح تلطف فتعلقت عند لذعات الحقيقة، فلم تر غير الحق معبودا يستحق العبادة، فأيقنت أن المحدث لا يدرك القديم بصفات معلولة، فإذا صفاه الحق أوصله إليه، فيكون الحق أوصله إليه، لا وصل هو.

* التصوف ضبط حواسك، ومراعاة أنفاسك.

(١) أى نالته من الله رحمة فارتفق بها أى انتفع.

* التصوف التآلف والتعاطف .

* وسئل: متى يكون الرجل مريدا؟ فقال: إذا استوت حاله في السفر والحضر، والمشهد والمغيب .

* (أنتم) منكم مخفوضة، و(أنا) منى منصوبة .

* وقال عبد الله بن محمد الدمشقي: كنت يوما واقفا على حلقة الشبلي، فجعل يبكي ولا يتكلم، فقال رجل: يا أبا بكر، ما هذا البكاء كله؟ فأنشأ يقول:

إذا عاتبته أو عاتبوه

شكا فعلى وعدد سيئاتي

أيا من دهره غضب وسخط

أما أحسنت يوما في حياتي؟

* وسئل عن الزهد، فقال: تحويل القلب من الأشياء إلى رب الأشياء .

* من عرف الله خضع له كل شيء، لأنه عاين أثر ملكه فيه .

* وسئل: بم يجمع الهوى؟ فقال: برياضات الطباع، وكشف القناع .

* ليس يخطر الكون ببالي، وكيف يخطر الكون ببال من عرف المكون؟

* وقال بعض أصحابه: رأيت الشبلي في المنام، فقلت له: يا أبا بكر، من أسعد أصحابك بصحبتك؟

فقال: أعظمهم حرمة الله، وألهجهم بذكر الله، وأقومهم بحق الله، وأسرعهم مبادرة في مرضاة الله، وأعرفهم بنقصانه، وأكثرهم تعظيما لما عظم الله من حرمة عباده .

* وقال له رجل: ادع الله لي . فأنشأ يقول:

مضى زمن والناس يستشفعون بي

فهل لي إلى ليلى الغداة شفيع؟

* وقيل له: نراك جسيما بدينا والمحبة تضني!

فأنشأ يقول:

أحب قلبى وما درى بدنى

ولو درى ما أقام فى السمن

* لو قبلنى العالم بمن فيه لكانت مصيبة على، إذ لو لم يكن شربهم شربى وذوقهم ذوقى، لم يقبلونى .

* أعمى الله بصرا يرانى ولا يرى فى آثار القدرة، فأنا أحد آثار القدرة، وأحد شواهد العزة، لقد ذلت حتى عز فى ذلى كل ذل، وعززت حتى ما تعزز أحد إلابى أو بمن تعززت به، وما افترقنا، وكيف نفترق ولم يجبر علينا حال الجمع أبدا؟

* ليكن همك معك لا يتقدم ولا يتأخر.

* وقال له الجنيد: لو رددت أمرك إلى الله لاسترحت، فقال الشبلى: يا أبا القاسم لو رد الله أمرك إليك لاسترحت. فقال الجنيد: سيوف الشبلى تقطر دما.

* سهو طرفه عين عن الله لأهل المعرفة شرك بالله.

* من عرف الله لا يكون له غم أبدا.

* الفرح بالله أولى من الحزن بين يدي الله.

* قلوب أهل الحق طائرة إليه بأجنحة المعرفة، ومستبشرة إليه بموالة المحبة.

* الحرية هى حرية القلب لا غير.

* ليس من احتجب بالخلق عن الحق كمن احتجب بالحق عن الخلق، وليس من جذبته أنوار قدسه إلى أنسه كمن جذبته أنوار رحمته إلى مغفرته.

* وكثيرا ما كان يقول:

ولى فيك يا حسرتى حسرة

تنقضى حياتى وما تنقضى!

* أحبك الخلق لنعمائك، وأنا أحبك لبلائك.

* من كان بالحق تلفه كان الحق خلفه.

* وقال عبد الله بن محمد الدمشقى: كنا يوما فى بيت الشبلى فأخر العصر، ونظر إلى الشمس وقد تدلت للغروب فقال: الصلاة يا سادتى، وقام فصلى، ثم أنشأ يقول ملاعبة وهو يضحك: ما أحسن قول من قال:

نسيت اليوم من عشقى صلاتى

فلا أدرى غداتى من عشائى

فذكرك سيدى أكلى وشربى

ووجهك إن رأيت شفاء دائى

* ورثى فى يوم عيد خارجاً من المسجد وهو يقول:

إذا ما كنت لى عيداً فما أصنع بالعيد!

جرى حبك فى قلبى كجرى الماء فى العود!

* وسمعه أبو بكر الرازى يقول: ما أحوج الناس إلى سكرة. فقال له: ياسيدى، أى سكرة؟

فقال الشبلى: سكرة تغنيهم عن ملاحظة أنفسهم وأفعالهم وأحوالهم. وأنشأ يقول:

وتحسبني حيا وإنى لميت

وبعضى من الهجران يبكى على بعض

* وأنشدنا:

وإنى وإياه لفى الحب صادق

تموت بما نهوى جميعاً ولا نبدى

* وقال:

ومن أين لى أين؟ وإنى كما ترى

أعيش بلا قلب، وأسعى بلا قصد

* وجاءه رجل فقال: كم تهلك نفسك بهذه الدعاوى ولا تدعها؟ فأنشأ يقول متمثلاً:

إنى وإن كنت قد أسأت بى اليو

م لراج للعطف منك غدا

أستدفع الوقت بالرجاء وإن

لم أر منك ما أرتجى أبدا

أغر نفسى بكم وأخدعها

نفسى ترى الغى فيكم رشدا

* وقال عبد الله بن محمد الدمشقى: كنت واقفا على حلقة الشبلى فى جامع المدينة، فوقف سائل على حلقتة

وجعل يقول: يا الله يا جواد! فتأوه الشبلى وصاح فقال: كيف يمكننى أن أصف الحق بالجود ومخلوق يقول

فى شكله:

تعود بسط الكف حتى لو أنه

ثناها لقبض لم تجبه أنامله

تراه إذا ما جئته متهللا
كأنك تعطيه الذى أنت سائله
ولو لم يكن فى كفه غير روحه
لجاد بها، فليتنق الله سائله
هو البحر من أى النواحي أتيته
فلجته المعروف، والجود ساحله

ثم بكى وقال: بلى يا جواد! فإنك أوجدت تلك الجوارح، وبسطت تلك الهمم، ثم مننت بعد ذلك على أقوام بمن الاستغناء عنهم، وعمما فى أيديهم بك. فإنك الجواد كل الجواد، لأنهم يعطون عن محدود، وعطاؤك لا حد له ولا صفة، فيا جواد يعلو كل جواد، وبه جاد كل من جاد.

* رفع الله قدر الوسائط بعلو هممهم، فلو أجرى على الأولياء ذرة مما كشف للأنبيا لبطلوا وتقطعوا.
* وقال الدمشقى أيضا: كنت يوما فى حلقتة فسمعتة يقول: الحق يفنى بما به يبقى، ويبقى بما به يفنى، يفنى بما فيه بقاء، ويبقى بما فيه فناء، فإذا أفنى عبدا عن إياه أوصله به، وأشرفه على أسراره. ثم بكى وأنشد على أثره:

لها فى طرفها لحظات بشر
تمت بها وتحبى من تريد
وتسبى العالمين بمقلتيها
كأن العالمين لها عبيد
ألاحظها فتعلم ما بقلبي
وألاحظها فتعلم ما أريد

* وسئل: هل يتحقق العارف بما يبدو له؟ فقال: كيف يتحقق بما لا يثبت؟ وكيف يطمئن إلى مالا يظهر؟ وكيف يأنس بما يخفى؟ فهو الظاهر الباطن، الباطن الظاهر.
ثم أنشأ يقول:

فمن كان فى طول الهوى ذاق سلوة
فإنى من ليلى لها غير ذائق
وأكثر شئ نلته من وصالها
أمانى لم تصدق كلمحة بارق

* كيف يصح لك التوحيد وكلما ملكت شيئا ملكك؟ وكلما أبصرت شيئا أسرك؟
* وقال له رجل: هل شاهدته أحد بحقيقته؟ فقال: الحقيقة بعيدة، ولكن ظنون وأمانى وحسبان. وأنشد:

وكذبت طرفى فيك والطرف صادق
وأسمعت أذنى منك ماليس تسمع
ولم أسكن الأرض التى تسكنونها
لكيلا يقولوا أننى بك مولع
فلا كبدى تهدا ولا لك رحمة
ولا عنك إقصاء، ولا فيك مطمع

فإذا تراءى له تحقيق حال شوشه بالتلبيس والإشكال.

* وقال له رجل: إلى ماذا تستريح قلوب المشتاقين؟ قال: إلى سرور من اشتاقوا إليه وموافقته، وأنشد:

أسر بمهلكى فيه لأنى
أسر بما يسر الألف جدا
ولو سئلت عظامى عن بلاها
لأنكرت البلى وسمعت جحدا
ولو أخرجت من سقمى لنادى
لهيب الشوق بى يسأله ردا

* وسئل: إلى ماذا تحن قلوب أهل المعارف؟ فقال: إلى بدايات ما جرى لهم فى الغيب، من حسن العناية فى
الخصرة بغيبتهم عنها. وأنشأ يقول:

سقىا لمعهدك الذى لو لم يكن
ما كان قلبى للصباية معهدا

أبو محمد المرتعش النيسابورى

ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد المرتعش النيسابورى من محلة الحيرة. صحب أبا حفص الخداد، وأبا
عثمان الخداد. ولقى الجنيد وصحبه وأقام ببغداد، حتى صار أحد مشايخ العراق وأئمتهم، حتى قال أبو عبد
الله الرازى: «كان مشايخ العراق يقولون: عجائب بغداد فى التصوف ثلاث: إشارات الشبلى، ونكت
المرتعش، وحكايات جعفر الخلدى». وكان يقيم فى مسجد الشونيزية... مات ببغداد سنة ثمان وعشرين
وثلاثمائة.

ومن كلامه:

- * سكون القلب إلى غير المولى تعجيل عقوبة من الله في الدنيا.
- * ذهبت حقائق الأشياء وبقيت أسماؤها. فالأسماء موجودة والحقائق مفقودة، والدعاوى فى السرائر مكنونة، والألسنة بها فصيحة، والأمور عن حقوقها مصروفة، وعن قريب تفقد هذه الألسنة وهذه الدعاوى، فلا يوجد لسان ناطق، ولا مدع مطنب.
- * ما توجهت إلى الله تعالى بسر خاصى إلا فى ظاهر عامى.
- * وقال أحمد بن على بن جعفر: «كنت عند المرتعش قاعدا، فقال رجل: قد طال الليل وطاب الهواء، فنظر إليه المرتعش وسكت ساعة ثم قال: لا أدرى ما تقول! غير أنى أقول ما سمعت بعض القوالين فى بعض هذه الليالى يغنى ويقول:

لست أدرى أطل ليلى أم لا

كيف يدرى بذاك من يتقلّى؟

لو تفرغت لاستطالة ليلى

ولرعى النجوم كنت مخلى

إن للعاشقين عن قصر اللي

ل وعن طوله من الوجد شغلا

قال: فبكى من حضره، واستدلوا بذلك على عمارة أوقاته».

* الوسوسة تؤدى إلى الحيرة، والإلهام يؤدى إلى زيادة فهم وبيان

* أصول التوحيد ثلاثة أشياء: معرفة الله تعالى بالربوبية، والإقرار له بالوحدانية، ونفى الأنداد عنه جملة.

* أفضل الأعمال تصحيح العبودية على المشاهدة، وملازمة الخدمة على السنة.

* وسئل: بماذا ينال العبد حب الله تعالى؟ فقال: ببغض ما أبغض الله، وهى الدنيا والنفس.

* وسئل مرة أخرى: بماذا ينال العبد المحبة؟ قال: بموالة أولياء الله، ومعاداة أعدائه. ثم نظر إلى بعض جلسائه

فقال: أنشدنى الأبيات التى كنت أنشدتها أمس. فأنشأ الرجل يقول:

أشبهت أعدائى فصرت أحبهم

إذ كان حظى منك حظى منهم

وأهنتني فأهنت نفسي صياغرا

ما من يهون عليك ممن يكرم

- * تصحيح المعاملات كلها بشيئين. وهما: الصبر والإخلاص. الصبر عليها والإخلاص فيها.
- * الإرادة حبس النفس عن مراداتها، والإقبال على أوامر الله، والرضا بموارد القضاء عليه.
- * وقال له رجل: إن فلانا يمشى على الماء، فقال: عندى أن من مكته الله من مخالفة هواه فهو أعظم من المشى على الماء.

* المسلم محبوب إلى الخلق، والمؤمن غنى عن الخلق.

* وسئل عن التصوف، فقال: الأشكال والتلبيس والكتمان. ثم أنشأ يقول:

سرى وسرك لم يعلم به أحد

إلا الجليل، ولم ينطق به نطق

* وقال له رجل: أوظننى، فقال: اذهب إلى من هو خير لك منى، ودعنى إلى من هو خير لى منك.

* وقال له رجل: أى الأعمال أفضل؟ فقال: رؤية فضل الله. وأنشأ يقول:

إن المقادير إذا ساعدت

ألحقت العاجز بالحازم!

* ورثى فى العشر الأواخر خارجا من المسجد الجامع، فقيل له: ما الذى أخرجك من المسجد؟ فقال: مشاهدة القراء وتعظيم طاعاتهم عندهم.

* من ظن أن أفعاله تنجيه من النار أو تبلغه الرضوان فقد جعل لنفسه ولفعله خطرا، ومن اعتمد على فضل الله بلغه الله إلى أقصى منازل الرضوان، قال الله تعالى: «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون».

* اعتمد على ضمان الله لك فى رزقك، واجتهد فى أداء ما افترضه عليك، تكن من خواصه.

* السكون إلى الأسباب يقطع القلوب عن الاعتماد على المسبب.

أبو على الروذبارى

ومنهم أبو على أحمد بن محمد بن القاسم بن منصور بن شهريار بن مهرذاار بن فرغدد بن كسرى. كذا ذكره لى عبد الله بن على، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن عطاء الروذبارى يقول ذلك. وهو من أهل بغداد. سكن مصر وصار شيخها ومات بها.

صحب أبا القاسم الجنيد، وأبا الحسين النورى، وأبا حمزة، وحسنا المسوحى، ومن فى طبقتهم من مشايخ بغداد، وصحب بالشام ابن الجلاء. وكان عالما فقيها عارفا بعلم الطريقة حافظا للحديث.

توفى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

وأسند الحديث: عن ابن عباس فى قوله تعالى: «يخافون ربهم من فوقهم»: ذاك مخافة الإجلال. وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى ليعمر بالقوم الديار، ويكثر لهم الأموال، وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضا، قيل: يارسول الله، وكيف ذلك؟ قال: بصلتهم أرحامهم».

ومن كلامه:

* سئل عن الإشارة، فقال: الإشارة الإبانة عما يتضمنه الوجد من المشار إليه لا غير، وفى الحقيقة أن الإشارة تصحبها العلل، والعلل بعيدة عن عين الحقائق.

* وسئل عن المرید والمراد، فقال: المرید الذى لا يريد لنفسه إلا ما أراد الله له، والمراد لا يريد من الكونين شيئاً غيره. الصول على من دونك ضعف، وعلى من فوقك قحة.

* وسئل عن يسمع الملامى ويقول: هى لى حلال لأنى قد وصلت إلى درجة لا يؤثر فى اختلاف الأحوال. فقال أبو على: نعم قد وصل لعمرى، ولكن إلى سقرا!

* وسئل عن التصوف، فقال: هذا مذهب كله جد، فلا تخلطوه بشئ من الهزل.

* فضل المقال على الفعال منقصة، وفضل الفعال على المقال مكرمة.

* لا رضا لمن لا صبر، ولا كمال لمن لا يشكر، وبالله وصل العارفون إلى محبته، وشكروه على نعمته.

* لو تكلم أهل التوحيد بلسان التجريد لما بقى محق الأمات.

* وسئل عن التوبة، فقال: الاعتراف والندم والإقلاع.

* وأنشد:

روحى إليك بكلها قد أجمعت

لو أن فيك هلاكها ما أقلعت

تبكى إليك بكلها عن كلها

حتى يقال: من البكاء تقطعت

فانظر إليها نظرة بتعطف

فلطالما تمتعها فتمتعت!

- * والأهم قبل أفعالهم، وعاداهم قبل أفعالهم، ثم جازاهم بأفعالهم.
- * المشاهدات للقلوب، والمكاشفات للأسرار، والمعينات للبصائر، والمرئيات للأبصار.
- * من نظر إلى نفسه مرة عمى عن النظر بالاعتبار إلى شئ من الأكوان.
- * ما ادعى أحد قط إلا لخلوه عن الحقائق، ولو تحقق فى شئ لنطقت عنه الحقيقة، وأغناه عن الدعاوى.
- * أنفع اليقين ما عظم الحق فى عينيك، وصغر ما دونه عندك، وأثبت الخوف والرجاء فى قلبك.
- * ما أظهر من نعمه دليل على ما أبطن من كرمه.
- * من الاعتزاز أن تسمى فيحسن إليك، فتترك الإنابة والتوبة، توهم أنك تسامح فى الهفوات، وترى أن ذلك فى بسط الحق لك.
- * كيف تشهده الأشياء وبه فنيت بذواتها عن ذواتها؟ أم كيف غابت الأشياء عنه وبه ظهرت وبصفاته؟ فسبحان من لا يشهده شئ، ولا يغيب عنه شئ.
- * تشوقت القلوب إلى مشاهدة ذات الحق، فألقيت إليها الأسمى فركنت إليها، والذات مستترة إلى أوان التجلى، وذلك قوله تعالى: «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها»، أى وقفوا معها عن إدراك الحقائق.
- * أظهر الحق الأسمى وأبداها للخلق ليسكن بها شوق المحبين إليه، وتأنس بها قلوب العارفين له.
- * أستاذى فى التصوف الجنيدى، وأستاذى فى الفقه أبو العباس بن سريج، وأستاذى فى الأدب ثعلب، وأستاذى فى الحديث إبراهيم الحربى.

أبو على الثقفى

- ومنهم أبو على محمد بن عبد الوهاب الثقفى. لقى أبا حفص وحمدونا القصار.
- وكان إماما فى أكثر علوم الشرع، مقدما فى كل فن منه. عطل أكثر علومه، واشتغل بعلم الصوفية، وتكلم فيه أحسن كلام. وكان أحسن المشايخ كلاما فى عيوب النفس وآفات الأعمال.
- وكان أبو عثمان الحيرى يقول: «إنه لينفعنى فى نفسى إذا نظرت إلى خشوع هذا الفتى» يعنى أبا على الثقفى.

مات سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «من جاء منكم الجمعة فليغتسل».

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين

جزءاً من النبوة».

ومن كلامه:

- * كمال العبودية هو العجز والقصور عن تدارك معرفة علل الأشياء بالكلية.
- * لكل شئ حد وكمال، فمن صحب الأشياء على حدودها فقد أفلح وأنجح، ومن قصر عن حدودها فقد ضيع حقها، ومن تجاوز حدها فقد أشرف على هلاك نفسه.
- * ينبغي ألا تفارق هذه الخلال الأربعة: صدق القول، وصدق العمل، وصدق المودة، وصدق الأمانة.
- * لا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان صواباً، ومن صوابها إلا ما كان خالصاً، ومن خالصها إلا ما وافق السنّة.
- * من صحب الأكاير على غير طريق الحرمة حرم فوائدهم وبركات نظرهم، ولا يظهر عليه من أنوارهم شئ.
- * تمام العلم انقطاع الرجاء عن بلوغ كنهه.
- * أف من أشغال الدنيا إذا أقبلت، وأف من حسراتها إذا أدبرت! والعاقل من لا يركن إلى شئ إذا أقبل كان شغلاً، وإذا أدبر كان حسرة.
- * لا تلتمس تقويم ما لا يستقيم، ولا تأديب من لا يتأدب.
- * العلم حياة القلب من الجهل، ونور العين من الظلمة.
- * يا من باع كل شئ بلا شئ، واشترى لا شئ بكل شئ.
- * الفروع الصحيحة لا تتفرع إلا من أصل صحيح، فمن أراد أن تصح له أفعاله على السنّة، فليصح الإخلاص من قلبه، فإن تصحيح ظواهر الأعمال بصحة بواطن الإخلاص.
- * قال أبو بكر الرازي: حضرت مجلس أبي على الثقفي، فتكلم في المحبة وأحوال المحبين. وأنشد في خلال تلك الأحوال هذه الأبيات:

إلى كم يكون الصد في كل ساعة

وكم لا تملن القطيعة والهجرة

رويدك! إن الدهر فيه كفاية

لتفريق ذات البين فارتقى الدهرا

* من غلبه هواه تواری عنه عقله.

- * الغفلة وسعت على الخلق الطرق فى معاشهم وأفعالهم، والورع واليقظة ضيقت عليهم ذلك.
- * المعروف كنز لا يبعد من بر ولا فاجر .
- * أربعة أشياء لابد للعاقل من حفظهن: الأمانة، والصدق، والأخ الصالح، والسريرة.
- * لو أن رجلا جمع العلوم كلها، وصحب طوائف الناس، لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدب أو ناصح. ومن لم يأخذ أدبه من أمر له وناه يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه، لا يجوز الاقتداء به فى تصحيح المعاملات.
- * ليس شئ أولى بأن تمسكه من نفسك، ولا شئ أولى بأن تغلبه من هواك.
- * يأتى على هذه الأمة زمان لا تطيب المعيشة فيه لمؤمن إلا بعد استناده إلى منافق.

عبد الله بن محمد بن منازل

ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن منازل، من أجل مشايخ نيسابور، له طريقة يتفرد بها. صحب أبا صالح حمدون بن أحمد القصار، وأخذ عنه طريقته، وكان عالما بعلوم الظاهر. كتب الحديث الكثير ورواه، وكان أبو على الشقى يحترمه ويبجله، ويرفع من مقداره ومحله. مات بنيسابور سنة تسع وعشرين وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

حدثنا أبو رزين قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «من اتخذ كلبا، ليس بكلب صيد ولا غنم، نقص من عمله كل يوم قيراط». ومن كلامه:

- * لا خير فيمن لم يذق ذل المكاسب، وذل السؤال، وذل الرد.
- * من رفع ظل نفسه عن نفسه عاش الناس فى ظله.
- * عبر بلسانك عن حالك، ولا تكن بكلامك حاكيا أحوال غيرك.
- * من ألزم نفسه شيئا لا يحتاج إليه ضيع من أحوال مثله مما يحتاج إليه ولا بد له منه.
- * وسأله إنسان عن مسألة فأجاب، فقال له: أعد على. فقال: أنا فى ندامة ماجرى!
- * من عظم قدره عند الناس يجب أن يحتقر نفسه عنده، ألا ترى أن إبراهيم صلى الله عليه وسلم لما اتخذ الله خليلا قال: «واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام».
- * من دخل فى هذا الأمر بضعف قوى فيه، ومن دخله بقوة ضعف وافتضح.
- * وسئل عن العبودية، فقال: هى اضطرار لا اختيار فيه.

- * لا يجتمع التسليم والدعوى بحال.
- * اترك التكليف والتدبير، وانظر إلى الحال والتحويل.
- * لو صح لعبد في عمره نفس من غير رياء ولا شرك لأثرت بركات ذلك عليه إلى آخر الدهر.
- * يموت الإنسان ولا يخلف بعده شيئاً أكثر من التدبير.
- * ذكر الله تعالى أنواع العبادات فقال: «الصابرين والصادقين والقانتين والمستغفرين بالأسحار». فحتم المقامات كلها بمقام الاستغفار، ليرى العبد تقصيره في جميع أفعاله وأحواله، فيستغفر منها.
- * كيف ينظر الإنسان إلى أمامه وورائه، وهو غائب عن مقامه ووقته.
- * لم يضيع أحد فريضة من الفرائض إلا ابتلاه الله بتضييع السنن، ولم يتل أحد بتضييع السنن إلا أوشك أن يتلى بالبدع.
- * التفويض مع الكسب خير من خلوه عنه.
- * كان عليّ أبي عليّ الثقفي أن يتكلم لنفسه لا للخلق، لذلك لا يصل إليه بركات كلامه.
- * أحكام الغيب لا تشاهد في الدنيا، ولكن تشاهد فضائح الدعوى.
- * العبودية الرجوع في كل شيء إلى الله تعالى على حد الاضطرار.
- * لا ينبغي أن يتفرغ العبد إلى السنن إلا بعد فراغه من أداء الفرائض.
- * أنت تظهر دعوى العبودية، وتضمّر أوصاف الربوبية.
- * كل فقر لا يكون عن ضرورة لا يكون فيه فضيلة.
- * من احتجت إلى شيء من علومه فلا تنظر إلى عيوبه، فإن نظرك إلى عيوبه يحرمك بركة الانتفاع بعلمه.

أبو الخير الأقطع التيناتي

ومنهم أبو الخير الأقطع (١)، وأصله من المغرب سكن التينات، وله آيات وكرامات يطول ذكرها. صحب أبا عبد الله بن الجلاء، وغيره من المشايخ، وكان أوحده في طريقته في التوكل. وكان حاد الفراسة. مات سنة نيف وأربعين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* القلوب ظروف: فقلب مملوء إيماناً، فعلامته الشفقة على جميع المسلمين، والاهتمام بما يهمهم، ومعاونتهم بما يعود صلاحه إليهم، وقلب مملوء نفاقاً، فعلامته الحقد والغل والغش والحسد.

(١) في معجم البلدان أن اسمه عباد بن عبد الله، وأنه مات سنة تسع وأربعين وثلاثمائة.

✽ وأنشد:

أنحل الحب قلبه والحنين

ومحاه الهوى فما يستبين

ماتراه الظنون إلا ظنونا

وهو أخفى من أن تراه الظنون

✽ لن يصفو قلبك إلا بتصحيح النية لله تعالى، ولن يصفو بدنك إلا بخدمة أولياء الله تعالى.

✽ ما بلغ أحد إلى حالة شريفة إلا بملازمة الموافقة، ومعانقة الأدب، وأداء الفرائض، وصحبة الصالحين، وخدمة الفقراء الصادقين.

✽ حرام على قلب مأسور بحب الدنيا أن يسبح في روح الغيب.

✽ إن الذاكر لله تعالى لا يقوم له في ذكره عوض، فإذا قام له العوض خرج من ذكره.

✽ من لم يكن له مع الله صحبة دائمة بمعرفة اطلاعه عليه، ومراعاته لتصرف الموارد به، ومشاهدة منه قاطعة، اعترضت عليه الأحزان من ظهور المحن وتغيير الزمان.

✽ الدعوى رعونة لا يحتمل القلب إمساكها فيلقبها إلى اللسان، فتنتطق بها ألسنة الحمقى، ولا يعرف الأعمى ما يبصره البصير من محاسنه وقبائحه.

أبو بكر الكتانى

ومنهم أبو بكر محمد بن على بن جعفر الكتانى. ويقال إن كنيته أبو عبد الله، وأبو بكر أصح... أصله من بغداد. صحب الجنيد، وأبا سعيد الخراز، وأبا الحسين النورى، وأقام بمكة مجاوراً بها إلى أن مات. وكان أحد الأئمة. حكى عن أبى محمد المرتعش أنه كان يقول: «الكتانى سراج الحرم». مات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

✽ إذا سألت الله التوفيق فابدأ بالعمل.

✽ وسأله بعض المريدين فقال له: أوصنى. فقال: كن كما ترى الناس، وإلا فأر الناس ما تكون. كن فى الدنيا بدينك، وفى الآخرة بقلبك.

✽ الشكر فى موضع الاستغفار ذنب، والاستغفار فى موضع الشكر ذنب.

✽ روعة عند انتباه عن غفلة، وانقطاع عن حظ النفسانية، وارتعاد من خوف قطيعة، أفضل من عبادة الثقلين.

- * وجود العطاء من الحق شهود الحق بالحق ، لأن الحق دليل على كل شيء، ولا يكون شيء دونه دليلا عليه.
- * الشهوة زمام الشيطان، فمن أخذ بزمامه كان عبده.
- * وسئل عن حقيقة الزهد، فقال: فقد الشيء والسرور من القلب بفقدته، وملازمة الجهد إلى الموت، واحتمال الذل صبرا، والرضا به حتى تموت.
- * وقيل له: من العارف؟ فقال: من يوافق معروفه في أوامره، ولا يخالفه في شيء من أحواله، ويتحجب إليه بمحبة أوليائه، ولا يفتر عن ذكره طرفة عين.
- * الصوفية عبيد الظواهر أحرار البواطن.
- * سماع العوام على متابعة الطبع، وسماع المريدين رغبة ورهبة، وسماع الأولياء رؤية الآلاء والنعم، وسماع العارفين على المشاهدة، وسماع أهل الحقيقة على الكشف والعيان، ولكل واحد من هؤلاء مصدر ومقام.
- * الموارد ترد فتصادف شكلا أو موافقة، فأى وارد صادف شكلا مازجه، وأى وارد صادف موافقا ساكنه.
- * المستمع يجب أن يكون فى سماعه غير مستروح إليه، يهيج منه السماع وجدا أو شوقا أو غلبة وارد عليه، يغنيه عن كل مسكون ومألوف.
- وأشد على أثره:

فالوجد والشوق فى مكاني

قد منعاني من القرار

هما معى لا يفارقانى

فذا شعارى، وذا دثارى

- * إن الله نظر إلى عبيد من عبيده، فلم يرهم أهلا لمعرفته، فشغلهم بخدمته.
- * ونظر إلى شيخ كبير أبيض الرأس واللحية يسأل، فقال: هذا رجل أضاع أمر الله فى صغره، فضيعة الله فى كبره.
- * إذا صح الافتقار إلى الله صح الغنى به، لأنهما حالان لا يتم أحدهما إلا بصاحبه.
- * الغافلون يعيشون فى حلم الله، والذاكرون يعيشون فى رحمة الله، والعارفون يعيشون فى لطف الله، والصادقون يعيشون فى قرب الله.
- * وسئل عن السنّة التى لم يتنازع فيها أحد من أهل العلم، فقال: الزهد فى الدنيا، وسخاوة النفس، ونصيحة الخلق.

- * من كان الله همه لا يستقطعه من الكون شيء، ولا يأسره من زينتها قليل ولا كثير.
- * وسئل عن المتقى، فقال: من اتقى ما لهيج به العوام من متابعة الشهوات وركوب المخالفات، وأتته الفوائد من الله عز وجل في كل حال فلم يغفل عنها.
- * وسئل عن الصوفى، فقال: من عزفت نفسه عن الدنيا نظرفا، وعلت همته عن الآخرة، وسحت نفسه بالكل طلبا وشوقا إلى من له الكل.
- * حقائق الحق إذا تجلت لسر أزلت عنه الظنون والأمانى، لأن الحق إذا استولى على سرقهه، ولا يبقى للغير معه أثر.
- * العلم بالله أتم من العبادة له.

أبو يعقوب النهرجورى

- ومنهم أبو يعقوب إسحاق بن محمد النهرجورى، من علماء مشايخهم... صحب الجنيد، وعمربن عثمان المكى، وأبا يعقوب السوسى، وغيرهم من المشايخ.
- أقام بالحرم سنين كثيرة مجاورا، وبه مات. وكان أبو عثمان المغربى يقول: «ما رأيت فى مشايخنا أنور من النهرجورى».
- مات سنة ثلاث وثلاثمائة.
- ومن كلامه:

- * قال فى الفناء والبقاء: هو فناء رؤية قيام العبد لله، وبقاء رؤية قيام الله فى الأحكام.
- * الصدق موافقة الحق فى السر والعلانية، وحقيقة الصدق القول بالحق فى مواطن التهلكة.
- * العابد يعبد الله تحذيرا، والعارف يعرفه تشويقا.
- * وسمع قول القائل: «احترسوا من الناس بسوء الظن» (١) فقال: بسوء الظن بأنفسكم لا بالناس.
- * مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام، ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب.
- * من كان شبعه بالطعام لم يزل جائعا، ومن كان غناه بالمال لم يزل مفتقرا، ومن قصد بحاجته الخلق لم يزل محروما، ومن استعان فى أمره بغير الله لم يزل مخذولا.
- * الذى حصل أهل الحقائق فى حقائقهم: أن الله تعالى غير مفقود فيطلب، ولا ذو غاية فيدرك، ومن أراد موجودا فهو بالموجود مغرور... وإنما الموجود عندنا معرفة حال، وكشف علم بلا حال.

(١) هذا حديث ضعيف.

- * الدنيا بحر، والآخرة ساحل، والمركب التقوى، والناس سفر.
- * لا زوال للنعمة إذا شكرت، ولا بقاء لها إذا كفرت.
- * وقال فى قوله تعالى: «وشروه بثمن بخس»: لو جعلوا ثمنه الكوتين لكان بخسا فى مشاهدته وما خص به.
- * مشاهدة الأرواح تحقيق، ومشاهدة القلوب تعريف.
- * إذا اقتضانى ربي بعض حقه الذى له قبلى فذاك أوان حزنى، وإذا أذن لى فى اقتضاء بره فذاك أوان سرورى ونعمتى. إذ كان بالجود والفضل والوفاء موصوفاً، والعبد بالعجز والضعف موصوفاً.
- * أعرف الناس بالله أشدهم تحميراً فيه.
- * اليقين مشاهدة الإيمان بالغيب.
- * من عرف الله لم يغتر بالله.
- * الجمع عين الحق الذى قامت به الأشياء، والتفرقة صفوة الحق من الباطن.
- * وأنشد:

العلم بى منك وطأ العذر عندك لى

حتى اكتفيت فلم تعذل ولم تلم

أقام علمك لى فاحتج عندك لى

مقام شاهد عدل غير متهم

- * لا يصل العارف إلى ربه إلا بقطع القلب عن ثلاثة أشياء: العلم، والعمل، والخلق.
- * وقال لرجل: يا دنى الهمة. فقال: لم تقول هذا أيها الشيخ؟ قال: لأن الله تعالى يقول: «قل متاع الدنيا قليل» فانظر كم نصيبك من ذلك القليل؟ وكم فى يدك منها، وأنت تبخل بها، وتريد أن يكرمك الناس بسببها؟ لو بذلتها كنت قد بذلت قليلاً، ولو منعتها كنت قد منعت قليلاً، فلا أنت بالمنع ملوم، ولا أنت بالبذل محمود!

أبو الحسن المزين

- ومنهم أبو الحسن على بن محمد المزين، من أهل بغداد، صحب الجنيد، وسهلا بن عبد الله ومن فى طبقتهما من البغداديين، وأقام بمكة مجاوراً، ومات بها.
- وكان من أروع المشايخ وأحسنهم حالاً، توفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* الذنب بعد الذنب عقوبة الذنب، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة.
* وسئل عن المعرفة، فقال: أنت تعرف الله تعالى بكمال الربوبية، وتعرف نفسك بالعبودية.
وتعلم أن الله تعالى أول كل شيء، وبه يقوم كل شيء، وإليه مصير كل شيء، وعليه رزق كل شيء.
* الطرق إلى الله تعالى بعدد النجوم، وأنا مفتقر إلى طريق واحد فلا أجده.
* من طلب الطريق إليه بنفسه تاه في أول قدم، ومن أريد به الخير دل على الطريق، وأعين على بلوغ المقصد،
فطوبى لمن كان قصده إلى ربه، دون عرض من أعراض الأكوان.
* من استغنى بالله أحوج الخلق إليه.
* وكان يوماً بالتنعيم، يريد أن يحرم بعمرة، فأخذ يبكي طول طريقه، وينشد:
أنافعى دمعى فأبكيك
هيهات! مالى مطمع فيك!

فلم يزل كذلك حتى بلغ باب مكة.

* متى ظهرت الآخرة فنيت فيها الدنيا، ومتى ظهر ذكر الله فنيت فيه الدنيا والآخرة، فإذا تحققت الأذكار فنى
العبد وذكره، وبقي المذكور بصفاته.
* للقلوب خواطر يشوبها شيء من الهوى، لكن العقول المقرونة بالتوفيق تزجر عنها وتنهى.
* وسئل عن التوحيد، فقال: أن توحيد الله بالمعرفة، وتوحيده بالعبادة، وتوحيده بالرجوع إليه فى كل ما لك
وعليك، وتعلم أن ما خطر بقلبك أو أمكنك الإشارة إليه، فالله تعالى بخلاف ذلك، وتعلم أن أوصافه مباينة
لأوصاف خلقه... باينهم بصفاته قدما كما باينوه بصفاته حدثا.
* من افتقر إلى الله تعالى، وصحح فقره إليه بملازمة آدابه، أغناه الله به عن كل ما سواه.
* ملاك القلب فى التبرى من الحول والقوة.
* من أعرض عن مشاهدة ربه شغله الله بطاعته وخدمته، ولو بدا له نجم الاحتراق لغيبه عن وساوس الافتراق.
* ورثى يوماً متفكراً، ثم اغرورقت عيناه، فقيل له: ما لك أيها الشيخ؟ فقال: ذكرت أيام تقطعى فى إرادتى،
وقطعى المنازل يوماً فيوماً، وخدمتى لأولئك السادة من أصحابى... وتذكرت ما أنا فيه، من الفترة عن شريف
الأحوال. وأنشأ يقول:

منازل كنت تهواها وتألفها

أيام أنت على الأيام منصور

* المعجب بعمله مستدرج، والمستحسن لشيء من أحواله مكمور به، والذي يظن أنه موصول فهو مغرور، وأحسن العبيد حالاً من كان محمولاً في أفعاله وأحواله، لا يشاهد غير واحد، ولا يأنس إلا به، ولا يشناق إلا إليه.

* وسئل عن الفقير الصادق، فقال: الذي يسكن إلى مضمون الله له، ويزعجه دخول الأرفاق عليه، من أى وجه كان.

أبو علي بن الكاتب

ومنهم أبو علي الحسن بن أحمد بن الكاتب، من كبار مشايخ المصريين، صحب أبا بكر المصري، وأبا علي الروذباري، وغيرهما من المشايخ.

وهو أوجد مشايخ وقته، وكان أبو عثمان المغربي يقول: «كان أبو علي الكاتب من السالكين»، وكان يعظمه ويعظم شأنه.

مات سنة نيف وأربعين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* إذا انقطع العبد إلى الله بكليته، فأول ما يفيد الاستغناء به عن سواه.

* المعتزلة نزهوا الله تعالى من حيث العقول فأخطأوا، والصوفية نزهوه تعالى من حيث العلم فأصابوا.

* إذا سمع الرجل الحكمة فلم يقبلها فهو مذنب، وإذا سمعها ولم يعمل بها فهو منافق .

* صحبة الفساق داء، ودواؤها مفارقتهم.

* إذا سكن الخوف في القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه.

* وقيل له: إلى أى الجنبين أنت أميل: إلى الفقر أو إلى الغنى؟. فقال: إلى أعلاهما رتبة وأسناهما قدراً، ثم

أنشأ يقول:

ولست بنظّر إلى جانب الغنى

إذا كانت العلياء في جانب الفقر

وإنى لصبّار على ما ينوبنى

وحسبك أن الله أثنى على الصبر

* إن الله تعالى يرزق العبد حلاوة ذكره، فإن فرح به وشكره آنسه بقربه، وإن قصر في الشكر أجرى الذكر

على لسانه وسلبه حلاوته.

* روائح نسيم المحبة تفوح من المحبين وإن كتموها، وتظهر عليهم دلائلها وإن أخفوها، وتدل عليهم وإن ستروها. وأنشد على أثره:

إذا ما أسرت أنفس الناس ذكرها

تبينه فيهم ولم يتكلموا

تطيب به أنفاسهم، فيذيعها

وهل سر مسك أودع الريح يكتم؟

* الهمة مقدمة الأشياء، فمن صحح همته بالصدق أتت عليه توابعه على الصحة والصدق، فإن الفروع تتبع الأصول، ومن أهمل همته أتت عليه توابعه مهملة، والمهمل من الأحوال والأفعال لا يصلح لبساط الحق.

أبو الحسين بن بنان

ومنهم أبو الحسين بن بنان، وهو من جلة مشايخ مصر. صحب أبا سعيد الخراز، وإليه ينتمى. وكان يتواجد وأبو سعيد الخراز يصفق له مات في التيه (١).

ومن كلامه:

* الناس يعطشون في البرارى، وأنا عطشان على شط النيل.

* كل صوفى يكون هم الرزق قائما فى قلبه، فلزوم العمل أقرب له إلى الله، وعلامة ركون القلب والسكون إلى الله أن يكون قويا عند زوال الدنيا وإدبارها عنه وفقده إياها، ويكون بما فى يد الله أقوى وأوثق منه بما فى يده. * اجتنبوا دناءة الأخلاق كما تجتنبون الحرام.

* الحرية أن يكون السرحا إلا من عبودية سيده، يصح له بذلك العبودية للحق، والحرية عن الخلق.

* ذكر الله باللسان يورث الدرجات، وذكره بالقلب يورث القربات .

* الوحدة جليس الصديقين.

* آثار المحبة إذا بدت، ورياحها إذا هاجت، أماتت قوما وأحيت قوما، وأفنت أسراراً وأبقت أسراراً، تؤثر آثاراً مختلفة، وتبدى سرائر مكنونة، وتكشف عن أحوال مستترة.

وأنشد على أثره:

وإذا الرياح مع العشى تناوحت

نبهن حاسدة وهجن غيورا

* لا يعظم أقدار الأولياء إلا من كان عظيم القدر عند الله تعالى.

(١) شبه جزيرة سيناء.

أبو بكر بن طاهر الأبهري

ومنهم أبو بكر عبد الله بن طاهر بن حاتم الأبهري الطائي، كان من أجل المشايخ بالجبل، وهو من أقران الشبلي.

كان عالما ورعا، صحب يوسف بن الحسين ورافق مظفرا القرميسيني، وغيرهما من المشايخ قال مهلب بن أحمد المصري: «ما نفعني صحبة شيخ من المشايخ الذين لقيتهم، كما نفعني صحبة أبي بكر عبد الله بن طاهر الأبهري».

مات قرب الثلاثين وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

عن ركب المصري قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن تواضع في غير منقصة، وذل في نفسه في غير مسكنة، وأنفق مالا جمعه في غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، ورحم أهل الذل والمسكنة طوبى لمن ذل نفسه، وطاب كسبه، وصلحت سريره، وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله».

ومن كلامه:

* اجمع جمع المتفرقات، والتفرقة تفرقة المجموعات، فإذا جمعت قلت: الله ولا سواه، وإذا فرقت نظرت إلى الكون.

* جمعهم في آدم، وفرقهم في ذريته.

* احتياج الأشرار إلى الأخيار صلاح الطائفتين، واحتياج الأخيار إلى الأشرار فتنة الطائفتين.

* وسئل: ما بال الإنسان يحتمل من معلمه مالا يحتمل من أبويه؟ فقال: لأن أبويه سبب حياته الفانية. ومعلمه سبب حياته الباقية، وتصديق ذلك قول النبي ﷺ: «اغد عالما أو متعلما، ولا تكن فيما بين ذلك فتهلك».

* من حكم الفقير ألا يكون له رغبة، فإن كان ولا بد فلا تجاوز رغبته كفايته.

* إذا أحببت أخا في الله فأقل مخالطته في الدنيا.

* وأنشد:

كل العذاب الذي في الناس مسترق

مما بقلبي من شوق وتذكار

* فى المحن ثلاثة أشياء: تطهير وتكفير وتذكير، فالتطهير من الكبائر، والتكفير من الصغائر، والتذكير لأهل الصفاء .

* وسئل عن الحقيقة فقال: الحقيقة كلها علم. وسئل عن العلم، فقال: العلم كله حقيقة.

* رأيت رجلاً يودع الكعبة، ويبكى، وينشد:

ألا ربُّ من يدنو ويزعم أنه

يحبك، والنائي أود وأقرب

* من خاف على نفسه شق عليه ركوب الأهوال، ومن شق عليه ركوب الأهوال لا يرتقى إلى سمو المعالى فى الأحوال، قال النبى ﷺ: «إن الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية».

* التوكل ألا تعجز عن حكم وقتك، والمعرفة ألا تضيع حكم وقتك.

* وحضر جنازة، فرأى إخوان الميت يكثرون البكاء، فنظر إلى أصحابه وأنشد:

ويبكى على الموتى ويترك نفسه

ويزعم أن قد قل عنهم عزاؤه

ولو كان ذا عقل ورأى وفتنة

لكان عليه — لا عليهم — بكأؤه

مظفر القرميسينى

ومنهم مظفر القرميسينى، وهو من كبار مشايخ الجبل وجلتهم، ومن الفقراء الصادقين، صحب عبد الله بن الخراز، ومن فوّه من المشايخ، وكان أوحّد المشايخ فى طريقته.
ومن كلامه:

* الصوم ثلاثة: صوم الروح بقصر الأمل، وصوم العقل بخلاف الهوى، وصوم النفس بالإمساك عن الطعام والمحارم .

* التواضع قبول الحق ممن كان.

* إذا صحت لك مودة أخيك فلا تبال متى يكون الالتقاء.

* وسئل عن التصوف، فقال: الأخلاق المرضية .

* من صحب الأحداث على شرط السلامة والنصيحة أدّاه ذلك إلى البلاء، فكيف بمن صحبهم على غير شروط السلامة؟!
شروط السلامة؟!

- * أخس الأرفاق أرفاق النسوان، على أى وجه كان.
- * من عامل الله بالصدق استوحش من صحبة المخلوقين ..
- * العارف قلبه لمولاه، وجسده لخلقته.
- * من أفقره الله إليه أغناه به، ليعرفه بالفقر عبوديته، وبالغنى ربوبيته.
- * من قتله الحب أحياه القرب.
- * الجوع إذا ساعدته القناعة مزرعة الفكرة، وينوع الحكمة، وحياة الفطنة، ومصباح القلب.
- * يحاسب الله المؤمنين يوم القيامة بالمنة والفضل، ويحاسب الكفار بالحجة والعدل.
- * أفضل ما يلقي به العبد ربه نصيحة من قلبه، وتوبة من ربه.
- * ليكن نظرك إلى الدنيا اعتباراً، وسعيك فيها اضطراراً، ورفضك لها اختياراً.
- * خير الأرفاق ما فتح الله لك به من وجه حلال، من غير طلب ولا سعى.
- * وقال فى قوله تعالى: «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً» قال: عملاً يصلح أن يلقي به ربه.
- * من آواه الله إلى قربه أرضاه بمجارى المقدور عليه، فإنه ليس على بساط القرية تسخط.
- * بصحة الإيمان وكمال التقوى يفتح الله تعالى على العبد خيرى الدنيا والآخرة، قال الله عز وجل : «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض».
- * وسئل : «ما خير ما أعطى العبد؟ قال: فراغ القلب عما لا يعنيه، ليتفرغ إلى ما يعنيه.
- * ليس لك من عمرك إلا نفس واحدة، فإن لم تفنّها فيما لك، فلا تفنّها فيما عليك.
- * أفضل أعمال العبيد حفظ أوقاتهم، وهو ألا يقصروا فى أمر ، ولا يتجاوزوا عن حد.
- * من تأدب بآداب الشرع تأدب به متبعوه، ومن تهاون بالآداب هلك وأهلك.
- * من لم يأخذ الأدب عن حكيم لا يتأدب به مرید.

أبو الحسين بن هند الفارسي

ومنهم أبو الحسين على بن هند الفارسي القرشي. من كبار مشايخ الفرس وعلماهم. صحب جعفر الخذاء، ومن فوّه من المشايخ بفارس، وصحب أيضا الجنيد وعمر المكي، ومن فى طبقتهم. وكان له الأحوال العالية والمقامات الزكية.

ومن كلامه:

* ليس حكم ما وصفنا حكم ما نازلنا.

- * المتمسك بكتاب الله هو الملاحظ للحق على دوام الآفات، والمتمسك بكتاب الله لا يخفى عليه شئ من أمور دينه وديناه، بل يجرى فى أوقاته على المشاهدة لا على الغفلة، يأخذ الأشياء من معدنها، ويضعها فى معدنها.
- * استرح مع الله، ولا تسترح عن الله، فإن من استراح مع الله لحجا، ومن استراح عن الله هلك... والاستراحة مع الله تروح القلب بذكره، والاستراحة عن الله مداومة الغفلة.
- * أصول الخيرات أربعة: السخاء، والتواضع، والنسك، وحسن الخلق.
- * أصل كل خير ملازمة الأدب فى جميع الأحوال والأعمال.
- * عمارة القلب فى أربعة أشياء: فى العلم، والتقوى، والطاعة، وذكر الله. وخرابه من أربعة أشياء: من الجهل، والمعصية والاعتزاز، وطول الغفلة.
- * دم على الصفاء إن كنت تطمع فى الوفاء.
- * الاستقامة تقوم العبيد فى أحوالهم، لا الأحوال تقومهم.
- * من أكرمه الله تعالى بمعرفة الحرمة والاحترام للأكابر، أوقع حرمة فى قلوب الخلق، ومن حرم ذلك نزع الله حرمة من قلوبهم، فلا تراه إلا ممقوتا، وإن حسنت أخلاقه وصلحت أحواله لأن النبى ﷺ قال: «من تعظيم جلال الله إكرام ذى الشبهة المسلم».
- * من عظم قدر الخلق كلهم عنده، فذلك لعلمه بتخصيص خلقهم من بين الحيوانات، وذلك من تعظيم الله فى قلبه أن يعظم ما خصصه الله عز وجل.
- * حسن الخلق على معانٍ ثلاثة: مع الله بترك الشكوى، ومع أوامره بالقيام إليها بنشاط وطيب نفس، ومع الخلق بالبر والحلم.
- * القلوب أوعية وظروف، وكل وعاء وظرف يصلح لنوع من المحمولات: فقلوب الأولياء أوعية المعرفة، وقلوب العارفين أوعية المحبة، وقلوب المحبين أوعية الشوق، وقلوب المشتاقين أوعية الأأس... ولكل من هذه الأحوال آداب، من لم يستعملها فى أوقاتها هلك من حيث يرجو النجاة.
- * اجتهد ألا تفارق باب سيدك بحال، فإنه ملجأ الكلى، فمن فارق تلك السدة لا يرى بعدها لقدميه قرارا ولا مقاما.

إبراهيم بن شيبان القرميسينى

ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن شيبان القرميسينى، شيخ الجبل فى وقته، له مقامات فى الورع والتقوى يعجز عنها الخلق لإمثله.

صحب أبا عبد الله المغربي، وإبراهيم الخواص، وكان شديداً على المدعين، متمسكا بالكتاب والسنة، لازماً لطريقة المشايخ والأئمة.

وقال عبد الله بن محمد بن منازل: «إبراهيم حجة الله تعالى على الفقراء وأهل الآداب والمعاملات».
وأسند الحديث:

عن ابن عباس قال: «نظر رسول الله ﷺ إلى حنظلة الراهب وحمزة تغسلهما الملائكة».
ومن كلامه:

* من أراد أن يتعطل ويتبطل فليلزم الرخص.

* إن الخوف إذا سكن القلب أحرق مواضع الشهوات فيه، وطرد عنه رغبة الدنيا وبعده عنها، فإن الذي قطعهم وأهلكهم محبة الراكنين إلى الدنيا.

* علم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوجدانية وصحة العبودية، وما كان غير هذا فهو المغاليط والزندقة.
* السفلة من لا يخاف الله تعالى.

* وقال مرة أخرى: السفلة من يعصى الله تعالى.

* وقال مرة: السفلة من يمن بعبائمه على آخذه.

* التوكل سر بين الله وبين العبد، فلا ينبغي أن يطلع على ذلك السر أحد.

* من أراد أن يكون حراً من الكون فليخلص في عبادة ربه، فمن تحقق في عبادة ربه صار حراً مما سواه.

* قال لى أبى: يا بنى! تعلم العلم لآداب الظاهر، واستعمل الورع لآداب الباطن، وإياك أن يشغلك عن الله شاغل، فقل من أعرض عنه فأقبل عليه.

* قلت: يا أبى! بماذا أصل إلى الورع؟ فقال لى: بأكل الحلال وخدمة الفقراء. فقلت له: من الفقراء؟ فقال:
الخلق كلهم فقراء، فلا تميز في خدمة من يمكنك من خدمته، واعرف فضله عليك في ذلك.

* سمعت أبى يقول: التواضع من تصفية الباطن تلقى بركاته على الظاهر، والتكبر من كدورة الباطن تظهر ظلمته على الظاهر.

* أهل المشاهدة لا يغيبون عنه قياماً ولا قعوداً، ولا نائمين ولا منتبهين، ولهم أحوال يشتمل عليهم أنوار قربه فيغرقون فيها، ولا يتفرغون إلى الخلق وما هم فيه، وتلك أحوال الدهشة تراهم دهشين متحيرين، غائبين حاضرين... غائبين بأسرارهم، حاضرين بأبدانهم.

* عوض الله المؤمنين - فى الدنيا - بما لهم فى الآخرة بشيئين: عوضهم عن الجنة بالجلوس فى المساجد، وعوضهم عن النظر إلى وجهه تعالى النظر إلى إخوانهم المؤمنين.
 * من ترك حرمة المشايخ ابتلى بالدعاوى الكاذبة وافتضح بها.
 * من تكلم فى الإخلاص، ولم يطالب نفسه بذلك، ابتلاه الله بهتك ستره عند إخوانه وأقرانه.

أبو بكر بن يزيد/نيار

ومنهم أبو بكر الحسين بن على بن يزيدانيار، من أهل أرمية. له طريقة فى التصوف يختص بها. وكان ينكر على بعض مشايخ العراق أقوالهم، وكان عالما بعلوم الظاهر، وعلوم المعاملات والمعارف.
 وأسند الحديث:

عن جابر أن النبى ﷺ قال: «المؤمن يأكل فى معي واحد، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء».
 ومن كلامه:

* وردت القيامة^(١) فرأيت آدم عليه السلام، والناس يسلمون عليه ويصافحونه، فذهبت لأصافحه وأسلم، فقال: اغرب عني، أنت الذى وقعت فى أولادى الصوفية، لقد قرت عيناي بهم. فجاء قوم فحاولوا بيني وبينه.
 * ترانى تكلمت بما تكلمت به إنكارا على التصوف والصوفية؟ والله ما تكلمت إلا غيرة عليهم، حيث أفسوا أسرار الحق، وأبدوها إلى غير أهلها، فحملنى ذلك على الغيرة عليهم والكلام فيهم، وإلا فهم السادة، وبمحبتهم أتقرب إلى الله تعالى.
 * وسئل: ما الفرق بين المرید والعارف؟. فقال: المرید طالب، والعارف مطلوب، والمطلوب مقتول، والطالب مرعوب.

* المحبة أصلها الموافقة، والمحبة هو الذى يؤثر رضا محبوبه على كل شىء.
 * الروح مزعة الخير، لأنها معدن الرحمة. والنفس والجسد مزعة الشر، لأنها معدن الشهوة. والروح مطبوعة بإرادة الخير، والنفس مطبوعة بإرادة الشر. والهوى مدبر الجسد، والعقل مدبر الروح، والمعرفة حاضرة فيما بين العقل والهوى، والمعرفة فى القلب، والهوى والعقل يتنازعان ويتحاربان، والهوى صاحب جيش النفس، والعقل صاحب جيش القلب، والتوفيق من الله مدد العقل، والخذلان مدد الهوى، والظفر لمن أراد الله سعادته، والخذلان لمن أراد الله شقاوته.

* رضا الخلق عن الله رضاهم بما يفعله، ورضاه عنهم أن يوفقهم للرضا عنه.

(١) يقصد أن ذلك كان فى الرؤيا أثناء النوم.

* المعرفة صحة العلم بالله، واليقين النظر بعين القلب إلى ما عند الله تعالى مما وعده وادخره.

* المعرفة تحقق القلب بوحدانية الله تعالى.

* المعرفة ظهور الحقائق وتلاقى الشواهد.

* من استغفر الله وهو ملازم للذنب حرم الله تعالى عليه التوبة والإنابة إليه.

أبو إسحاق إبراهيم بن المولد

ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن المولد، من كبار مشايخ الرقة وفتيانهم.

صحب أبا عبد الله بن الجلاء الدمشقي، وإبراهيم بن داود القصار الرقي. وكان من أفتى المشايخ، وأحسنهم سيرة.

وأسند الحديث:

عن ابن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أذن الله لأهل الجنة فى التجارة، لالتجروا بالبز والعطر»^(١).

ومن كلامه:

* من تولاه رعاية الحق ممن تؤديه سياسة العلم.

* القيام بأداب العلم وشرائعه يبلغ بصاحبه إلى مقام الزيادة والقبول.

* إن العبد إذا أصبح كان مطالباً من الله بالطاعة. ومن نفسه بالشهوة، ومن الشيطان بالمعصية. لكن الله تعالى رفق به، حيث أمره فى ابتداء صباحه بأمر، وبعث إليه منادياً، ويندبه إلى أمر الله، وهم المؤذنون يؤذنون ويكبرون فى آذانهم، تكبيرات مكررات: الله أكبر، الله أكبر... فيكبر فى قلبه أمر سيده، فيبادر إلى طاعته، ويخالف هو نفسه وشيطانه، فإن بادر إليه أكرمه الله بالظفر على نفسه، وغلبته لشهوته، وأعانه على عدوه، بقطع الوسوس من قلبه، فإن من بادر إلى بابه، ودخل فى حرزه، صار غالباً لا مغلوباً.

* حلاوة الطاعة بالإخلاص تذهب بوحشة العجب.

* عجبت لمن عرف أن له طريقاً إلى ربه كيف يعيش مع غير الله تعالى، والله يقول: «وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له».

* جبلت الأرواح من الأفراح، فهى تعلقو أبداً إلى محل الفرح من المشاهدة، والأجساد خلقت من الأكماد، فهى لا تزال ترجع إلى كمدها، من طلب هذه الفانية والاهتمام بها ولها.
* وأنشد لبعضهم:

لولا مدامع عشاق ولوعتهم

لبان فى الناس عز الماء والنار

(١) هذا الحديث ضعيف.

فكل نار فمن أنفاسهم قدحت

وكل ماء فمن دمع لهم جرى

* ثمن التصوف فناؤك فيه، فإذا فنيت فيه بقيت بقاء الأبد، لأن من فنى عن حسوسه بقى بمشاهدة المطلوب، وذلك بقاء الأبد.

* الأدب فى الأكل ألا يمدوا أيديهم إلى الأرفاق إلا فى أوقات الضرورات، ثم على قدر إمساك الرمق.

* من قام إلى أوامر الله كان بين قبول ورد، ومن قام إليها بالله كان مقبولا لا شك.

* السياحة بالنفس لأداب الظواهر علما وشرعا وخلقا، والسياحة بالقلب لأداب البواطن حالا ووجدا وكشفا.

* الفترة بعد المجاهدة من فساد الابتداء، والحجب بعد الكشف من السكون إلى الأحوال.

* نفسك سائرة بك، وقلبك طائر بك، فكن مع أسرعهما وصولا.

أبو عبد الله بن سالم البصرى

ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سالم البصرى صاحب سهل بن عبد الله التستري، وراوى كلامه، لا ينتمى إلى غيره من المشايخ.

وهو من أهل الاجتهاد. وطريقته طريقة أستاذه سهل، وله بالبصرة أصحاب ينتمون إليه، وإلى ابنه أبى الحسن.

ومن كلامه:

* سأله رجل: أنحن مستعبدون بالكسب أم بالتوكل؟ فقال: التوكل حال رسول الله ﷺ، والكسب سنة رسول الله ﷺ، وإنما استن الكسب لمن ضعف عن حال التوكل، وسقط عن درجة الكمال التى هى حاله ﷺ، فمن أطاق التوكل فالكسب غير مباح له بحال، إلا كسب معاونة لا كسب اعتماد عليه، ومن ضعف عن حال التوكل التى هى حال رسول الله ﷺ، أبيع له طلب المعاش والكسب، لئلا يسقط عن درجة سنته، حيث سقط عن درجة حاله.

* يزول عن القلب ظلم الرياء بنور الإخلاص، وظلم الكذب بنور الصدق.

* من صبر على مخالفة نفسه أوصله الله إلى مقام أنسه.

* وسئل: بماذا يعرف الأولياء فى الخلق؟ فقال: بلطف لسانهم، وحسن أخلاقهم، وبشاشة وجوههم، وسخاء أنفسهم، وقلة اعتراضهم، وقبول عذر من اعتذار إليهم، وتمام الشفقة على جميع الخلائق برهم وفاجرهم.

* من توكل على الله أسكن الله قلبه نور الحكمة، وكفاه كل هم، وأوصله إلى كل محبوب... فإنه عز وجل يقول: «ومن يتوكل على الله فهو حسبه»، أى القائم له بكل كفاية.

* التوكل على الله فريضة لقوله تعالى: «وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين»، والحركة فى طلب الرزق مباحة لمن عجز عن التوكل، فإن الله تعالى يقول: «كلوا من طيبات ما كسبتم». فما يفتح بالطلب والكسب منه طيب وخبيث، وما يفتح بالتوكل لا يكون إلا طيباً، لأن ذلك من معدن طيب.

* رؤية المنة مفتاح التوحد.

* يستر عورات المرء عقله وحلمه وسخاؤه، ويقومه فى كل أحواله الصدق.

* اجتهد فى المراعاة لتلحقت الرعاية، فإن من كان فى رعاية الحق فى حصن حصين.

* من توحد ببشه، وتفرد بهمه، أوردته ذلك إلى رياض تكشف عنه بته، وتزيل عنه همه ومن شكا بته كان مترددا فى الشكوى إلى أن يحكم الله فيه حكمه.

* العاقل من تبرم بعشرة المخالفين، وزهد فى صحبة أبناء الدنيا، فإنهم إن لم يشغلوه بها شغلوه عما هو فيه.

* ارفع قدرك عن ملازمة الطباع الدنيئة تدس بين ريع الكرم، وتعش إلى محل النعم، فإن ألفتها قطعت بك، وإن سئمتها بلغ بك إلى ما لا أين ولا حد. ولا خبر ولا استخبار إذ ذاك، إن حصلت ثم حصلت لك قيمة، وكنت إذ ذاك.

محمد بن عليان النسوى

ومنهم محمد بن على بن عليان، من كبار مشايخ نساء، من قرية بيسمة، من جلة أصحاب أبى عثمان. وكان

محفوظ يقول: «محمد بن عليان إمام أهل المعارف»

كان يخرج من نساء قاصدا إلى أبى عثمان فى مسائل واقعات، فلا يأكل ولا يشرب فى الطريق حتى يرد نيسابور، فيسأله عن تلك المسائل .

ومن كلامه:

* الزهادة فى الدنيا مفتاح الرغبة فى الآخرة.

* من لم يتحقق فى وداد ربه ومحبته، جعل مكان الوفاء فى المحبة غدرا، ومكان الألفة نفارا.

* كيف لا تحب من لم تنفك من بره طرفة عين؟ وكيف تدعى محبة من لم توافقه طرفة عين؟

* وسئل: ما علامة رضا الله عن العبد؟ فقال: نشاطه فى الطاعات، وتناقله عن المعاصى.

* من أظهر كراماته فهو مدع، ومن ظهرت عليه الكرامات فهو ولى.

- * الفقر لباس الأحرار، والغنى لباس الأبرار.
- * من صحب الفقراء فليصحبهم على سلامة السر، وسخاء النفس، وسعة الصدر، وقبول المحن بالنعم.
- * أفقر الفقراء من لا يهتدى إلى من يقدر على أن يغنيه.
- * آيات الأولياء وكراماتهم رضاهم بما يسخط العوام عن مجارى المقدور.
- * لا يصفو للسخى سخاؤه إلا بتصغيره، ورؤية فضل من يقبل منه.
- * البر والمروءة حفظ الدين، وصيانة النفس. وحفظ حرمان المؤمنين، والجلود بالموجود، وقصور الرؤية عنه وعن جميع أفعالك.
- * الخوف له أثر فى القلب، يؤثر على ظاهر صاحبه الدعاء والتضرع والانكسار.
- * علامة الأولياء خوف الانقطاع عنه، لشدة فى قلوبهم، من الإيثار له والشوق إليه.
- * من خدم الله تعالى لطلب ثواب أو خوف عقاب فقد أظهر خسته، وأبدى طمعه، فقبیح بالعبد أن يخدم سيده لعوض.
- * من سكن إلى غير الله تعالى أهمله تعالى وتركه، ومن سكن إلى الله تعالى قطع عليه طريق السكون إلى شئ سواه.

أبو بكر بن أبى سعدان

ومنهم أبو بكر أحمد بن محمد بن أبى سعدان، بغدادى من أصحاب الجنيد والنورى وهو أعلم مشايخ الوقت بعلوم هذه الطائفة، وكان عالما بعلوم الشرع مقدما فيه، ينتحل مذهب الشافعى. وكان أحد أستاذى الشيخ أبى القاسم المغربى، ويعرف من علوم الصنعة وغير ذلك وكان ذا لسان وبيان. وكان بطرسوس فطلب من يرسل إلى الروم، فلم يجدوا مثله فى فضله وعلمه وفصاحته وبيانه ولسانه. قال أبو الحسن بن حديق، وأبو العباس الفرغانى: «لم يبق فى هذا الزمان لهذه الطائفة إلا رجلان: أبو على الروذبارى بمصر، وأبو بكر بن سعدان بالعراق، وأبو بكر أفهمهما».

ومن كلامه:

* من صحب الصوفية فليصحبهم بلا نفس ولا قلب ولا ملك، فمتى نظر إلى شئ من أسبابه قطعه ذلك عن بلوغ مقصده.

* من عمل بعلم الرواية ورث علم الدراية، ومن عمل بعلم الدراية ورث علم الرعاية، ومن عمل بعلم الرعاية هدى إلى سبيل الحق.

- * الشكر أن يشكر على البلاء شكره على النعماء.
- * من سمع بأذنه حكى، ومن سمع بقلبه وعى، ومن عمل بما يسمع هدى واهتدى
- * الانقطاع عن الأحوال سبب الوصول إلى الله تعالى.
- * من قابله بأفعاله قابله بعدله، ومن قابله بإفلاسه قابله بفضله... ولا عمل أتم من الصدق، ولا أنور ولا أبلغ منه. وقد قال الله عز وجل: «ليسأل الصادقين عن صدقهم». تراه يقوم بحقيقة صدقه؟ أو بالجواب عن سؤاله، والأنبياء عجزوا حيث سئلوا: «ماذا أجبتهم؟ قالوا: لا علم لنا».
- * الصابر على رجائه لا يقنط من فضله.
- * الاعتصام بالله هو الامتناع به من الغفلة والمعاصي، والبدع والضلالات.
- * من جلس للمناظرة على الغفلة لزمته ثلاثة عيوب: أولها جدال وصياح، وهو المنهى عنه، وأوسطها حب العلو على الخلق، وهو المنهى عنه، وآخرها الحقد والغضب، وهو المنهى عنه. ومن جلس للمناصحة فإن أول كلامه موعظة، وأوسطه دلالة، وآخره بركة.
- * من لم ينظر في التصوف فهو غيبي.
- * إذا بدت الحقائق سقطت آثار الفهوم والعلوم، وبقي لها الرسم الجارى لمحل الأمر، وسقط منه حقائقها.
- * خلقت الأرواح من النور، وأسكنت ظلم الهياكل. فإذا قوى الروح جانس العقل، وتواترت الأنوار، وأزالت عن الهياكل ظلمتها، فصارت الهياكل روحانية بأنوار الروح والعقل، فانقادت ولزمت طريقتها، ورجعت الأرواح إلى معدنها من الغيب تطالع مجارى الأقدار. فهذه تطالع الجارى من الأقدار، وهذه ترضى بموارد القضاء والقدر. وهذا من لطائف الأحوال.
- * الصوفى هو الخارج عن النعوت والرسوم، والفقير هو الفاقد للأسباب. فقد السبب أوجب له اسم الفقر، وسهل له الطريق إلى المسبب... وصفاء الصوفى عن النعوت والرسوم ألزمه اسم التصوف، فصفى عن مازجة الأكوان كلها، بمصافاة من صافاه فى الأزل بالأنوار والمبار.
- * أول قسمة قسمت للنفس من الخيرات الروح، ليتروح به من مساكنة الأغيار، ثم العلم ليدله على رشده، ثم العقل ليكون مشيرا للعلم إلى درجات المعارف، ومشيرا للنفس إلى قبول العلم، وصاحباً للروح فى الجولان فى الملكوت.

الطبقة الخامسة

أبو سعيد بن الأعرابي

منهم أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم بن الأعرابي العنزي، بصرى الأصل، سكن بمكة، وكان في وقته شيخ الحرم.

صنف للقوم كتباً كثيرة. وصحب أبا القاسم الجنيد بن محمد، وعمر بن عثمان المكي، وأبا الحسين النوري، وحسنا المسوحى، وأبا جعفر الحفار، وأبا الفتح الحمال. وكان من جلة مشايخهم وعلمائهم. وروى الحديث وكان ثقة مات بمكة سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه».

ومن كلامه:

✽ إن الله تعالى طيب الدنيا للعارفين بالخروج منها، وطيب الجنة لأهلها بالخلود فيها. فلو قيل للعارف: إنك تبقى في الدنيا لمات كمدًا، ولو قيل لأهل الجنة إنكم تخرجون منها لماتوا كمدًا، فطابت الدنيا بذكر الخروج منها، وطابت الجنة بذكر الخلود فيها.

✽ أخسر الخاسرين من أبدى للناس صالح أعماله، وبارز بالقبیح من هو أقرب إليه من حبل الوريد.
✽ المعرفة كلها الاعتراف بالجهل، والتصوف كله ترك الفضل، والزهد كله أخذ ما لا بد منه وإسقاط ما بقى، والمعاملة كلها استعمال الأولى فالأولى من العلم، والتوكل كله طرح الكنف، والرضا كله ترك الاعتراض، والمحبة كلها إظهار المحبوب على الكل، والعافية كلها إسقاط التكلف، والصبر كله تلقى البلاء بالرحب، والتفويض كله الطمأنينة عند الموارد، واليقين كله ترك الشكوى عندما يضاد مرادك، والثقة بالله علمك أنه بك وبمصلحك أعلم منك بنفسك.

✽ إن الله تعالى أعار بعض أخلاق أوليائه أعداءه، ليستعطف بهم على أوليائه.

✽ القلوب إذا أقبلت روحاً بالأرفاق، وإذا أدبرت ردت إلى المشاق.

✽ من أصلح الله همته لا يتعبه بعد ذلك ركوب الأهوال ولا مباشرة الصعاب، وعلا بعلو همته إلى أسنى المراتب، وتنزهه عن الدناءة أجمع.

* اشتغالك بنفسك يقطعك عن عبادة ربك، واشتغالك بهموم الدنيا يقطعك عن هموم الآخرة، ولا عبد أعجز من عبد نسى فضل ربه، وعد عليه تسبيحه وتكبيره، الذى هو إلى الحياء منه أقرب من طلب ثواب عليه أو افتخار به.

* ثبت الوعد والوعيد من الله تعالى. فإن كان الوعد قبل الوعيد فالوعد تهديد، وإن كان الوعيد قبل الوعد فالوعد منسوخ، وإذا اجتمعا معا فالغلبة والثبات للوعد، لأن الوعد حق العبد، والوعد حقه عز وجل، والكريم يتغافل عن حقه، ولا يهمل ويترك ما عليه.

* إن الله تعالى جعل نعمته سببا لمعرفة، وتوفيقه سببا لطاعته، وعصمته سببا لاجتناب معصيته، ورحمته سببا للتوبة، والتوبة سببا لمغفرته والذنوب منه.

* إن الله تعالى خلق ابن آدم من الغفلة، وركب فيه الشهوة والنسيان، فهو كله غفلة، إلا أن يرحم الله عبدا فينبهه، وأقرب الناس إلى التوفيق من عرف نفسه بالعجز والذل، والضعف وقلة الحيلة، مع التواضع لله، وقل من ادعى فى أمر قوة إلا خذل، ووكل إلى قوته.

* مدارج العلوم بالوسائط، ومدارج الحقائق بالمكاشفة.

* من طلب الطريق إليه وصل إلى الطريق بجهد واجتهاد ومجاهدة، ومن طلبه استغنى عن الطريق والأدلة، وكان الحق دليلا عليه، وموصله لا غير.

* وسئل : ما الذى ترضى من أوقاتك؟. فقال: الأوقات كلها لله تعالى، وأحسن الأوقات وقت يجرى الحق فيه على ما يرضيه عنى.

* وسئل عن أخلاق الفقراء، فقال: أخلاقهم السكون عند الفقر، والاضطراب عند الوجود، والأنس بالهموم، والوحشة عند الأفراح.

أبو عمرو الزجاجي

ومنهم أبو عمرو محمد بن إبراهيم بن يوسف بن محمد الزجاجي. نيسابوري الأصل، صحب أبا عثمان والجنيد والنورى وروما وإبراهيم الخواص. دخل مكة وأقام بها، وصار شيخها والمنظور إليه فيها، حج قريبا من ستين حجة.

وكان بمكة الكنانى والنهرجورى والمرتعش وغيرهم من المشايخ، فكانوا يعقدون حلقة وصدر الحلقة للزجاجي، وإذا تكلموا فى شئ رجع جميعهم إلى ما يقوله. ويقول أبو عثمان المغربى: «كان أبو عمرو من السالكين». وآياته وفضائله أكثر من أن تحصى وتعد.

توفى بمكة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

✽ المعرفة على ستة أوجه: معرفة الوجدانية، ومعرفة التعظيم، ومعرفة المنة، ومعرفة القدرة ومعرفة الأزل، ومعرفة الأسرار.

✽ وسئل: ما بالك تتغير عند التكبير الأولى في الفرائض؟ فقال: لأنني أفتتح فريضتي بخلاف الصدق، فمن يقل: الله أكبر، وفي قلبه شيء أكبر منه، أو قد كبر شيئاً سواه على مرور الأوقات، فقد كذب نفسه على لسانه.

✽ من تكلم على حال لم يصل إليه كان كلامه فتنة لمن يسمعه، ودعوى تتولد في قلبه، وحرمة الله الوصول إلى ذلك الحال وبلوغه.

✽ قسم الله الرحمة لمن اهتم بأمر دينه.

✽ وسئل عن الحمية، فقال: الحمية في القلوب تصحيح الإخلاص وملازمتها، والحمية في النفوس ترك الدعوى ومجانبتها.

✽ الحمية ترك الشكوى من البلوى، بل استلذاذ البلوى. إذ الكل منه، فمن أسخطه وارد من محبوبه يبين عليه نقصان محبته.

✽ ما أدون حال من يحتاج إلى مزعج يزعجه إليه!

✽ السماع من ضعف الحال، ولو قوى لاستغنى عن السماع والأوتار.

✽ من جاور بالحرم وقلبه متعلق بشيء سوى الله تعالى فقد أظهر خسارته.

✽ من تشوف بالحرم رفقا من غير من جاوره، بعده الله عن جواره، ووكل بقلبه الشح، وأطلق لسانه بالشكوى، ومسح قلبه عن المعارف، وأظلمه عن أنوار اليقين، ووكله إلى حوله وقوته، ومقته عند خلقه.

✽ الضرورة ما تمنع صاحبها عن القيل والقال والخبر والاستخبار، وتشغله بالاهتمام بوقته من التفرغ إلى أوقات غيره.

✽ كان الناس في الجاهلية يتبعون ما تستحسنه عقولهم وطبائعهم، فجاء النبي ﷺ فردهم إلى الشريعة والاتباع. فالعقل الصحيح هو الذي يستحسن محاسن الشريعة ويستقبح ما تستقبحه.

✽ وقال له رجل: كيف الطريق إلى الله تعالى؟ فقال: أبشر، فشوقك إليه أزعجك لطلب دليل يدلك عليه.

جعفر بن محمد الخلدی

ومنهم أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير الخواص الخلدی، بغدادی المولد والمنشأ. صحب الجنيد بن

محمد وعرف بصحبته، وصحب أبا الحسين النورى، وروينا وسمنون، وأبا محمد الجري، وغيرهم من مشايخ الوقت... وكان المرجع إليه فى علوم القوم وكتبهم، وحكاياتهم وسيرهم.

قال: «عندى مائة ونيف وثلاثون ديوانا من دواوين الصوفية»، فقبل له: عندك من كتب محمد بن على الترمذى شىء؟ فقال: لا، ما عدته فى الصوفية.

كان من أفتى المشايخ وأجلهم، وأحسنهم قولاً حج قريباً من ستين حجة. وتوفى ببغداد سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، وقبره بالشونيزية عند قبر سرى السقطى والجنيد.

وأسند الحديث ورواه:

عن عمر عن رسول الله ﷺ قال: «من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت وهو حى لا يموت، بيده الخير وهو على كل شىء قدير، كتب الله له ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة، ورفع له ألف درجة».

أو قال: بنى له بيتاً فى الجنة.

قال الراوى: فقدمت خراسان فلقيت قتيبة بن مسلم فقلت: أتيتك بهدية، فحدثته بالحديث. فكان قتيبة يركب فى موكبه فىأتى السوق، فيقولها ثم ينصرف.

ومن كلامه:

* لا يجد العبد لذة المعاملة مع لذة النفس، لأن أهل الحقائق قطعوا العلائق التى تقطعهم عن الحق قبل أن تقطعهم العلائق.

* الفرق بين الرياء والإخلاص أن المرائى يعمل ليرى، والمخلص يعمل ليصل.

* الفتوة احتقار النفس، وتعظيم حرمة المسلمين.

* سمعت الجنيد - وسئل عن التصوف - يقول: «العلو إلى كل خلق شريف، والعدول عن كل خلق دنى».

فسأله السائل، فقال: ما تقول أنت؟ فقال: مثل قوله. ثم قال: المتناهى فى حاله يتوقى كل شىء، ويدخل فى كل شىء، ويأخذ من كل شىء، ولا يسترقه شىء، ولا يأخذ منه شىء. واستدل بأمر النبى ﷺ فى أوليته، إذا رأى نزول الوحي عليه يقول: «دثرونى! دثرونى!» حتى تمكن.

* كُنْ لله عبداً خالصاً تكن عن الأغيار حراً.

* وسئل عن التوكل فقال: استواء القلب عند الوجود والعدم، بل الطرب عند العدم، والخمول عند الوجود،

بل الاستقامة مع الله تعالى على الحالين.

* ومر بمقبرة الشونيزية وامرأة تبكى بكاء بحرقة، وتندب على قبر، فقال لها: مالك؟. فقالت: ثكلى بولدى،
فأنشد يقول:

يقولون: ثكلى، ومن لم يذق

فراق الأحبة لم يشكل

لقد جرعتنى ليالى الفراق

شراباً أمرّ من الخنظل

* كن شريف الهمة، فإن الهمم تبلغ بالرجال، لا المجاهدات.

* سعى الأحرار لإخوانهم، لا لأنفسهم.

* اجتنب الدعاوى، والتزم الأوامر، فكثيراً ما كنت أسمع سيدنا الجنيد يقول: من لزم طريق المعاملة على
الإخلاص أراحه الله من الدعاوى الكاذبة.

* إن ما بين العبد وبين الوجود أن تسكن التقوى قلبه، فإذا سكنت التقوى نزلت عليه بركات العلم، وطردت
رغبة الدنيا عنه.

* من أراد أن يزهد فليزهد أولاً فى الرياسة، ثم ليزهد فى قدر نصيب نفسه ومراداتها.

* المجاهدات فى السياحات، والسياسة سياحتان: سياحة النفس بالسير فى الأرض ليرى أولياء الله، أو يعتبر
بآثار قدرته، وسياحة القلب ليجول فى الملكوت، فيورد على صاحبه بركات مشاهدات الغيوب، فيطمئن
القلب عند الموارد لمشاهدة الغيوب، وتطمئن النفس عن المرادات لبركة آثار القدرة عليه.

* وسئل عن العقل، فقال: العقل ما يبعدك عن مراتع الهلكة.

* المحب يجهد فى كتمان حبه، وتأبى المحبة إلا الاشتهار، وكل شئ ينم على الحب حتى يظهره.

* وأنشد فى خلال كلام لبعضهم:

زائر نم عليه حسنه

كيف يخفى الليل بدرأ طالعا؟

راقب الغفلة حتى أمكنت

ورعى الحارس حتى هجعا

ركب الأهوال فى زورته

ثم ما سلم حتى ودعا

✽ وسئل عن قوله تعالى: «ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله»، فقال: من لا يجتهد فى معرفته لا تقبل خدمته.

✽ من ألقى إليه روح الصلاح التزم الحرمة للخلق، ومن ألقى إليه روح الصديقية طالب نفسه بالصدق فى أحواله، ومن ألقى إليه روح المعرفة عرف موارد الأمور ومصادرها، ومن ألقى إليه روح المشاهدة أكرم بالعلم اللدنى.

أبو العباس القاسم السيارى

ومتهم أبو العباس القاسم بن القاسم بن مهدى السيارى، ابن بنت أحمد بن سيار.

كان من أهل مرو وشيخهم، وأول من تكلم عندهم من أهل بلدهم فى حقائق الأحوال، صحب أبا بكر محمد بن موسى الفرغانى الواسطى، وإليه ينسب فى علوم هذه الطائفة، وكان أحسن المشايخ لسانا فى وقته، يتكلم فى علوم التوحيد على لسان الجبر، وجميع من بكورته من أهل السنة فهم أصحابه.

كان فقيها عالما، كتب الحديث الكثير ورواه، توفى سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة. وأسند الحديث:

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الكلام أربع، لا يضررك بأيهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة غير واحد، ما من عبد يدعو بهذه الأسماء إلا وُجبت له الجنة».

أنه وتر يحب الوتر. هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، الملك القدوس، السلام المؤمن، المهيمن العزيز، الجبار المتكبر، الخالق البارئ المصور، الغفار القهار الوهاب الرزاق، الفتاح العليم، القابض الباسط، الخافض الرافع، المعز المذل، السميع البصير، الحكيم العدل، اللطيف الخبير، الحليم العظيم، الغفور الشكور، العلى الكبير، الحفيظ المقيت الحسيب، الجليل الكريم، الرقيب المجيب، الواسع الحكيم، الودود المجيد، الباعث الشهيد، الحق الوكيل، القوى المتين، الولى الحميد، المحصى المبدىء المعيد، المحصى المميت، الحى القيوم، الواجد الماجد، الواحد الصمد، القادر المقدر، المقدم المؤخر، الأول الآخر الظاهر الباطن، الوالى المتعالى، البر التواب، المنتقم العفو الرؤوف، مالك الملك ذو الجلال والإكرام، المقسط الجامع، الغنى المغنى، المانع الضار النافع، النور الهادى البديع الباقي، الرشيد الصبور» مثل حديث الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه.

ومن كلامه:

* قيل له: بم يروض المرید نفسه؟ وكيف يروضها؟ فقال: بالصبر على الأوامر، واجتناب النواهي، وصحبة الصالحين، وخدمة الرفقاء، ومجالسة الفقراء، والمرء حيث وضع نفسه. ثم تمثل وأنشد يقول:

صبرت على اللذات حتى تولت

وألزمت نفسي هجرها فاستمرت

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى

فإن أطعمت تاقت، وإلا تسلت

وكانت على الأيام نفس عزيزة

فلما رأيت عزمي على الذل ذلت!

* الأغنياء أربعة: غنى بالله، وغنى بعنى الله. قال النبي ﷺ: «الغنى غنى القلب»، وغنى باليقين. قال النبي ﷺ:

«كفى باليقين غنى»، وغنى لا يذكر غنى ولا فقرا، لما ورد على سره من هيبة القدرة.

* وسئل عن المعرفة، فقال: حقيقة المعرفة الخروج عن المعارف.

* حقيقة المعرفة ألا يخطر بالقلب ما دونه.

* ما التذ عاقل بمشاهدة قط، لأن مشاهدة الحق فناء ليس فيه لذة ولا التذاد، ولا حظ ولا احتفاظ.

* من عرف الله خضع له كل شئ لأنه عاين أثر ملكه فيه.

* ما نطق أحد عن الحق إلا من كان محجوبا.

* الحق إذا لاحظ عبدا ببره غيبه عن كل مكروه في وقته، وإذا لاحظ بسخطه أظهر عليه من الوحشة ما يهرب منه كل أحد.

* من حفظ قلبه مع الله بالصدق أجرى على لسانه الحكمة.

* الخطرة للأنبياء، والوسوسة للأولياء، والفكرة للعوام، والعزم للفتيان.

* ما استقام إيمان عبد حتى يصبر على الذل مثلما يصبر على العز.

* حسوس قصرت عن أوائلها فتخلفت عن أواخرها، وغذبت بما لا خطر له، كيف يمر بها ذكر بارئها؟.

* ظلم الأطماع تمتع أنوار المشاهدات.

* الربوبية نفاذ الأمر والمشية، والتقدير والقضية. والعبودية معرفة المعبود، والقيام بالعهود.

* وقال في قوله تعالى: «كل يوم هو في شأن» قال: إظهار غائب، وتغيب ظاهر.

* وقال له رجل: أوصني. فقال: كن شريف الهممة، قريب المنظر، بعيد المأخذ، عزيزا غريبا.
 * لباس الهداية للعامة، ولباس الهيبة للعارفين، ولباس الزينة لأهل الدنيا، ولباس اللقاء للأولياء، ولباس التقوى لأهل الحضور. قال الله تعالى: «ولباس التقوى ذلك خير».
 * من دقق النظر في أمر دينه وسع عليه الصراط في وقته، ومن وسع النظر في أمر دينه ضيق عليه الصراط في وقته، ومن غاب عن حقوقه بحقوقه تعالى غاب عن كل شدة وعقوبة.

أبو بكر محمد بن داود الدقي

ومنهم أبو بكر محمد بن داود الدينوري الدقي. أقام بالشام، وعمر فوق مائة سنة، وكان من أقران أبي علي الروذباري، إلا أنه عمر.

صحب أبا عبد الله بن الجلاء، وإليه كان ينتمي، وكان من أجل مشايخ وقته، وأحسنهم حالا، وأقدمهم صحبة للمشايخ، وصحب أيضا أبا بكر الزقاق الكبير، وأبا بكر المصري، مات بعد الخمسين وثلاثمائة. ومن كلامه:

* سئل عن الفرق بين الفقر والتصوف. فقال: الفقر حال من أحوال التصوف. فقيل له: ما علامة الصوفي؟ فقال: أن يكون مشغولا بكل ما هو أولى به من غيره، ويكون معصوما عن المذمومات.
 * علامة القرب الانقطاع عن كل شيء سوى الله تعالى.

* كم من مسرور سروره بلاؤه، وكم من مغموم غمه نجاته.
 * الفقير هو الذي عدم الأسباب من ظاهره، وعدم طلب الأسباب من باطنه.
 * من عرف ربه لم ينقطع رجاؤه، ومن عرف نفسه لم يعجب بعمله، ومن عرف الله لجأ إليه، ومن نسى الله لجأ إلى المخلوقين، والمؤمن لا يسهو حتى يغفل، فإذا تفكر حزن أو استغفر.
 * كلام الله تعالى إذا أضاء على السرائر بأشراقه أزال البشرية برعوناتها.

* وسئل عن سوء أدب الفقراء مع الله تعالى في أحوالهم، فقال: ذاك انحطاطهم عن حقيقة العلم إلى ظاهر العلم.

* المعدة موضع لجميع الأطعمة، فإذا طرحت فيها الحلال صدرت الأعضاء بالأعمال الصالحة، وإذا طرحت فيها الشبهة اشتبه عليك الطريق إلى الله تعالى، وإذا طرحت فيها الحرام كان بينك وبين الله حجاب.
 * إن القلوب التي نزهت عن العيوب لتأييد ورد عليها من الغيوب.

* الإخلاص أن يكون ظاهر الإنسان وباطنه، وسكونه وحركاته، خالصا لله، لا يشوبه حظ نفس. ولا هوى،

ولا خلق، ولا طمع.

✽ خلق الله تعالى الخلائق كلهم متحركين، يدبون على الأرض، وجعل الحياة منهم لأهل المعرفة، فالخلق متحركون في أسبابهم، وأهل المعرفة أحياء بحياة معروفهم، فلا حياة حقيقة إلا لأهل المعرفة، لا غير.

أبو محمد عبد الله بن محمد الشعراني

ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الرازي الشعراني. رازي الأصل، ومولده ومنشؤه بنيسابور.

صحّب الجنيد بن محمد، وأبا عثمان، ومحمد بن الفضل، ورويعا، وسمنون، ويوسف بن الحسين، وأبا علي الجوزجاني، ومحمد بن حامد وغيرهم من مشايخ القوم، وهو من جلة أصحاب أبي عثمان، وكان أبو عثمان يكرمه ويجله، ويعرف له محله.

وهو من أجل مشايخ نيسابور في وقته، له من الرياضات ما يعجز عنها إلا أهلها، وكان عالما بعلوم الطائفة، وكتب الحديث الكثير ورواه ... وكله ثقة.

مات سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

عن أنس رضى الله عنه قال: أمر بلال أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة.

ومن كلامه:

✽ وسئل: ما بال الناس يعرفون عيوبهم وعيوب ما هم فيه، ولا ينتقلون من ذلك، ولا يرجعون إلى طريق الصواب؟ فقال: لأنهم اشتغلوا بالمباهاة بالعلم، ولم يشتغلوا باستعماله، واشتغلوا بآداب الظواهر وتركوا آداب البواطن، فأعمى الله قلوبهم عن النظر إلى الصواب، وقيد جوارحهم عن العبادات.

✽ العارف لا يعبد الله على موافقة الخلق، بل يعبد الله على موافقة الله عز وجل.

✽ دلائل المعرفة العلم، والعمل بالعمل، والخوف على العمل.

✽ المعرفة تهتك الحجب بين العبيد وبين مولاهم، والدنيا هي التي تحجبهم عن مولاهم.

✽ إنما تتولد الشكوى وضيق الصدر من قلة المعرفة بالله عز وجل.

✽ الخلق كلهم يدعون المعرفة، ولكنهم عن صدق المعرفة بمعزل. وصدق المعرفة خص بها الأنبياء صلوات الله عليهم، والسادة من الأولياء رضى الله عنهم.

✽ من أراد أن يعرف محل نفسه، ومتابعتها للحق، أو مخالفتها له، فلينظر إلى من يخالفه في مراده، كيف

يجد نفسه عند ذلك، فإن لم تتغير فليعلم أن نفسه متابعة للحق.

* قيل لبعض العارفين: ما الذى حبب إليك الخلوة، ونفى عنك الغفلة؟ فقال: وثبة الأكياس من فسخ الدنيا.

* من لم يغتنم السكوت فإنه إذا نطق نطق بلغو.

* وقال له أبو نصر الحراني: علمنى دعاء أدعوه. فقال: قل: اللهم امنن علينا بصفاء المعرفة، وهب لنا

تصحيح المعاملة بيننا وبينك على السنة، وصدق التوكل عليك، وحسن الظن بك، وامنن علينا بكل ما يقربنا

منك، مقرونا بالعوافى فى الدارين.

أبو عمرو وإسماعيل بن نجيد

ومنهم أبو عمرو وإسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف بن سالم بن خالد السلمى... جدى لأمى رحمه

الله.

صحب أبا عثمان الحيرى، وهو من كبار أصحابه، وهو آخر من مات من أصحاب أبى عثمان. ولقى

الجنيد، وكان من أكبر مشايخ وقته. له طريقة ينفرد بها: من تلبس الحال، وصون الوقت، سمع الحديث

ورواه، وكان ثقة. مات سنة ست وستين وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يقبل الهدية ويثيب عليها.

ومن كلامه:

* من لم تهذبك رؤيته فاعلم أنه غير مهذب.

* وسئل: ما التصوف؟ فقال: الصبر تحت الأمر والنهى.

* وسئل: ما التوكل؟ فقال: أدناه حسن الظن بالله عز وجل.

* من أراد أن يعرف قدر معرفته بالله تعالى، فلينظر قدر هيئته له وقت خدمته له.

* إنما تتولد الدعاوى من الاغترار، وتستوطن الأسرار.

* كل حال لا يكون عن نتيجة علم — وإن جل — فإن ضرره على صاحبه أكثر من نفعه.

* من كرمت عليه نفسه هان عليه دينه.

* من ضيع فى وقت من أوقاته فريضة افترضها الله عليه فى ذلك الوقت حرم لذة تلك الفريضة إلا بعد حين.

* المتوكل الذى يرضى بحكم الله تعالى فيه.

* تربية الإحسان خير من الإحسان.

- * لا يصفو لأحد قدم في العبودية حتى تكون أفعاله كلها عنده رياء، وأحواله كلها عنده دعاوى.
- * وسئل: ما الذى لا بد للعبد منه؟ فقال: ملازمة العبودية على السنّة، ودوام المراقبة.
- * وسئل: من أين تتولد الدعاوى؟ فقال: إنما تتولد الدعاوى من فساد الابتداء، فمن صحّت بدايته تصح له النهاية، ومن فسدت بدايته فإنه يهلك فى أرجاء أحواله وقتا ما. قال الله تعالى: «أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار!»!
- * التهاون بالأمر من قلة المعرفة بالأمر.
- * لا يكون للامتنى دعوى، لأنه لا يرى لنفسه شيئا فيدعى به، قال تعالى: «إنما يخشى الله من عباده العلماء».
- * وقال له عبد الواحد بن على السيارى: أوصنى. فقال: الزم مواجب العلم، واحترم لجميع المسلمين، ولا تضيع أيامك فإنها أعز شئ لك، ولا تتصدر ما أمكنك، وكن خاملا فيما بين الناس، فبقدر ما تتعرف إليهم وتشتغل بهم تضيع حظك من أوامر ربك.
- * من قدر على إسقاط جاهه عند الخلق سهل عليه الإعراض عن الدنيا وأهلها.
- * من أظهر محاسنه لمن لا يملك ضره ولا نفعه فقد أظهر جهله.
- * الهمم توصل النفوس إلى سنى المراتب.
- * من استقام لا يعوج به أحد، ومن أعوج لا يستقيم به أحد.
- * الأئس بغير الله وحشة.
- * من صح تفكره صدق نطقه وخلص عمله.
- * الطمأنينة إلى الخلق عجز.

أبو الحسن على بن أحمد البوشنجى

ومنهم أبو الحسن على بن أحمد بن سهل البوشنجى، أوحد فتيان خراسان. لقي أبا عثمان، وصحب بالعراق ابن عطاء والجريرى، وبالشام طاهرا وأبا عمر والدمشقى، وتكلم مع الشبلى فى مسائل. وهو من أعلم مشايخ وقته بعلوم التوحيد وعلوم المعاملات، وأحسنهم طريقة فى الفتوة والتجريد. وكان ذا خلق، متدينا، متعهدا للفقراء .

مات سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يعلمنا من الأوجاع كلها أن نقول: باسم الله

الكبير، أعوذ بالله العظيم، من شر عرق نعار^(١). ومن شر حر النار.

ومن كلامه:

* سئل عن السنّة، فقال: البيعة تحت الشجرة، وما وافق ذلك من الأفعال والأقوال.

* وسئل عن التصوف، فقال: اسم لا حقيقة وقد كان قبل حقيقة ولا اسم.

* وسئل عن المروءة، فقال: ترك استعمال ما هو محرم عليك مع الكرام الكاتبين.

* الناس على ثلاث منازل: الأولياء وهم الذين باطنهم أفضل من ظاهرهم، والعلماء وهم الذين سرهم وعلانيتهم سواء، والجهال وهم الذين علانيتهم تخالف أسرارهم، لا ينصفون من أنفسهم، ويطلبون الإنصاف من غيرهم.

* وسئل عن التصوف، فقال: هو الحرية والفتوة، وترك التكلف في السخاء، والتظرف في الأخلاق.

* وسئل: من الظريف؟ فقال: الخفيف في ذاته وأخلاقه وأفعاله وشمائله من غير تكليف.

* ليس في الدنيا أسمح من محب لسبب أو عوض.

* وسئل: ما المروءة؟ فقال: حسن السر والبشر.

* وقال له أبو الحسن السراج: ادع الله لى. فقال: أعاذك الله من فتنك وبلائك، لأن الفتنة والبلاء ليسا إلا من نفسك.

* أول الإيمان منوط بآخره. ألا ترى أن عقد الإيمان: لا إله إلا الله، والإسلام منوط بأداء الشريعة بالإخلاص. قال الله تعالى: «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين».

* وسئل عن الفتوة، فقال: حسن المراعاة، ودوام المراقبة، وألا ترى من نفسك ظاهرا يخالفه باطنك.

* الخير منّا زلّة، لأن الشر لنا صفة.

* من ذل في نفسه رفع الله قدره، ومن عز في نفسه أذله الله في أعين عباده.

أبو عبد الله محمد بن خفيف

ومنهم أبو عبد الله محمد بن خفيف بن أسفكشاذ الضبى، المقيم بشيراز. كانت أمه نيسابورية، وكان شيخ

المشايخ في وقته.

صحب رويما والجريري وأبا العباس بن عطاء، وطاهرا المقدسى وأبا عمرو الدمشقى. ولقى الحسين بن

منصور. وكان عالما بعلوم الظاهر وعلوم الحقائق.

(١) نمر العرق بالدم إذا ارتفع وعلا. وجرح نعار إذا كان لدمه صوت عند خروجه.

أوحد المشايخ في وقته حالا وعلمنا وخلقنا. مات سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو عدلت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما أعطى كافرا منها شربة».

وعن ابن عمر رضی الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بى إلى السماء سمعت تدمرا فقلت: يا جبريل، من هذا؟ قال: موسى يتذمر على ربه. فقلت: ولم ذلك؟ قال: عرف ذلك منه فاحتمله».

ومن كلامه:

* سئل عن التصوف، فقال: تصفية القلب عن موافقة البشرية، ومفارقة أخلاق الطبيعة، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة دعاوى النفسانية، ومنازلة صفات الروحانية، والتعلق بعلوم الحقيقة، واستعمال ما هو أولى على السمردية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول ﷺ فى الشريعة.

* الرياضة كسر النفوس بالخدمة، ومنعها عن الفترة.

* الانبساط سقوط الاحتشام عند السؤال.

* قدم علينا بعض أصحابنا فاعتل، وكانت به علة البطن، فكنت أخدمه، وآخذ منه الطست طول الليل، فغفوت عنه مرة. فقال لى: نمت لعنك الله! فقيل له: كيف وجدت نفسك عند قوله: لعنك الله؟ فقال: كقوله: رحمك الله.

* الإيمان تصديق القلب بما أعلمه الحق من الغيوب.

* الخوف اضطراب القلوب بما علمت من سطوة المعبود.

* التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله تعالى.

* التوكل هو الاكتفاء بضمائه، وإسقاط التهمة عن قضائه.

* حقيقة الإرادة استدامة الكد، وترك الراحة.

* المطالبات شتى: فمطالبة الإيمان ما حداك عليه من صحة التصديق بوعدته ووعيده. ومطالبة العلم ما تبين به أحكامه فظهرت دلائله، وطالبك الحق باستعماله. ومطالبة الحق وهو الذى إذا بدا قهرك، وجذبك إلى ما أراد بصولته.

* ليس شئ أضر بالمريد من مسامحة النفس فى ركوب الرخص، وقبول التأويلات.

* المشاهدة اطلاع القلوب بصفاء اليقين إلى ما أخبر الحق عن الغيوب.

* القرب طى المسافات بلطيف المداناة.

* وسئل عن القرب، فقال: قربك منه بملازمة الموافقات، وقربه منك بدوام التوفيق.

* الواصل من اتصل بمحبوبه دون كل شئ سواه، وغاب عن كل شئ سواه.

* الدنف من احترق في الأشجان، ومنع من بث الشكوى.

* الهمة جذب شواهد المهوم بالذهاب إليه.

* وسئل: لم صار بلاء المحبين أعظم من سائر الأحوال؟ فقال: لأنهم آثروه على أرواحهم، فابتلاهم بحبه

لهم، فقال: « يحبهم»^(١) ومن يطيق سماع هذا الكلام؟. إلا أن يبدو له فيه الحقائق.

بندار بن الحسين الشيرازي

ومنهم أبو الحسن بندار بن محمد بن المهلب. من أهل شيراز، سكن أرجان.

وكان عالماً بالأصول، له اللسان المشهور في علم الحقائق، وكان أبو بكر الشبلي يكرمه، ويعظم قدره، وبينه وبين

أبي عبد الله بن خفيف معارضات في مسائل شتى، مات سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وغسله أبو زرعة الطبري.

ومن كلامه:

* البكاء شتى: بكاء فرح لوجود حال عدمها فيما قبل، وبكاء أسف لفقد حال كان مقرونا بها. قال الله تعالى

في بكاء الفرح: «وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق». وقال الله

تعالى في بكاء الأسف: «تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً».

* الجمع ما كان بالحق، والتفرقة ما كان للحق.

* لا تخاصم لنفسك، فإنها ليست لك، دعها للملكها يفعل بها كل ما يريد.

* ليس من الأدب أن تسأل رفيقك: إلى أين؟ وفي أي شئ؟..

* اترك ما تهوى لما تأمل.

* وسئل عن الفرق بين المحبة والحياء، فقال: إن المحبة رغبة وهي مزعجة، والحياء خجلة. والمحبة طالب

غائب، والمستحى حاضر. وبينهما فرقان: لأن المحبة تصح مع الغيبة، والحياء يصح مع المشاهدة، فشتان بين

غائب غريب وحاضر قريب.

(١) يريد قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين.

يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم». [المائدة ٥٤]

* الاغانة ثقل مطالبة الحق عز وجل على قلب النبي ﷺ ، فإنه كان مطالباً بالأوامر ، فكان إذا أمر التزمه ، وكان يثقل عليه إلى أن يدخل فيه ، قال الله تعالى: «إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً».

* الصوفية متفقون في الوجدانية في الجملة قولاً ، متفرون في الوصول إليها معاينة ومنازلة . وكل واحد يستحق اسم ما ظهر عليه من حاله الذي هو به موصوف ، بعد اتفاقهم في الوجدانية قولاً . فمن بين مجتهد ، وزاهد ، وعابد ، وخائف ، وراج ، وغنى ، وفقير ، ومريد ، ومراد ، وصابر ، وراض ، ومتوكل ، ومحب ، ومستهتر ، ومستأنس ، ومشتاق ، وواله ، وهائم ، وواجد ، وفان ، وباق... وأحوال يكثُر تعدادها ، وقد تجتمع الأحوال كلها في واحد ، ويسمى بما عليه من الجميع .

* صحبة أهل البدع تورث الإعراض عن الحق .

* من لم يجعل قلبه على الحقيقة ربه فسدت عليه صلاته .

* وأنشد:

نوائب الدهر أدبتنى

وإنما يوعظ الأريب

قد ذقت حلوا ، وذقت مرا

كذاك عيش الفتى ضروب

ما مر بؤس ولا نعيم

إلا ولى فيهما نصيب!

أبو بكر الطمستاني

ومنهم أبو بكر الطمستاني الفارسي . وهو من أجل المشايخ ، وأعلام حالاً ، متفرد بحاله ووقته . لا يشاركه فيه أحد من المشايخ ولا يدانيه . وكان أبو بكر الشبلي يبجله ويعرف له محله . صحب إبراهيم الدباغ ، وغيره من مشايخ الفرس... وكان مشايخ وقته يحترمونه . ورد نيسابور ومات بها بعد سنة أربعين وثلاثمائة .

ومن كلامه:

* الدنيا كلها حكمة واحدة ، وكل واحد منهم أصاب على قدر ما كشف له .

* ما الحياة إلا في الموت ، أى ما حياة القلب إلا فى إماتة النفس .

- * اليقظة في أهل اليقظة لعمارة الآخرة، كما أن الغفلة في أهل الغفلة لعمارة الدنيا.
- * لا يمكن الخروج من النفس بالنفس، وإنما يمكن الخروج من النفس بالله تعالى، وذلك بصحة الإرادة لله عز وجل.
- * الطريق إلى الله تعالى يعدد الخلق. ثم قال: الطريق له ولا طريق إليه.
- * من فضل الفقر على الغنى، والغنى على الفقر فهو مربوط بهما، وهما محلا لعل.
- * إياك أن تغتر بلعل وعسى!
- * النعمة العظمى الخروج عن النفس، لأن النفس أعظم حجاب بينك وبين الله تعالى.
- * ما الحقيقة إلا في موت النفس.
- * كل من فر من إماتة النفس فقد رجع إلى تأويل العلم.
- * الموت باب من أبواب الآخرة، ولن يصل العبد إلى الله تعالى إلا بدخوله.
- * جالسوا الله كثيرا، وجالسوا الناس قليلا.
- * خير الناس من يرى أن الخير في غيره، ويعلم أن السبيل إلى الله كثير؛ غير السبيل الذي هو عليه، لكي يرى تقصير نفسه فيما هو عليه.
- * ينبغي أن تكون حركات المرء وسكونه لله تعالى، أو ضرورة يضطر إليها، وما كان غير ذلك فلا شيء.
- * الطريق واضح، والكتاب والسنة قائمان بين أظهرنا، وفضل أصحاب النبي ﷺ بشيئين اثنين: بصحبته مع النبي ﷺ في الظواهر، وهجرتهم إلى الله تعالى في السرائر، وغربتهم مع أنفسهم ألا ترى أن الله تعالى يقول:
- « ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله »؟
- فمن صحب منا الكتاب والسنة، وغرب عن نفسه والخلق والدنيا، وهاجر إلى الله بقلبه، فهو الصادق المصيب، المتبع لآثار الصحابة. إلا أن الصحابة سبقوه بصحبته مع النبي ﷺ.
- * من أحب من العقلاء البقاء في الدار الفانية، وإنما أحبه للتلذذ بمناجاة سيده، والإقبال على الطاعة بحسب طاقته. وأن يكون تحت أمره ونهيه، فالعاقل لهذا أحب البقاء وكره الفناء.
- * العاقل يتكلم على قدر الحاجة، ويدع ما فضل عنه.
- * كل من استعمل الصدق بينه وبين ربه، شغله صدقه مع الله عن الفراغ إلى خلق الله.
- * من لم يكن الصمت وطنه فهو في فضول، وإن كان ساكنا.
- * من صحب العلم فليس له بد من مشاهدة الأمر والنهي.

* العلم قطعك عن الجهل، فاجتهد ألا يقطعك عن الله تعالى.

* التصوف اضطراب... فإذا وقع سكون فلا تصوف.

* النفس كالنار، إن أطفئت من موضع تأججت من موضع، كذلك النفس، إذا هدأت من جانب ثارت من جانب.

* وقال له رجل: أوصني، فقال: الهمة الهمة! فإنها مقدمة الأشياء، وعليها مدارها، وإليها رجوعها.

* ما أبرز الحق للخلق إلا اسما أو رسما، وما تكلم به إلا كل من لم يوفق.

أبو العباس أحمد بن محمد الدينوري

ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد الدينوري. صحب يوسف بن الحسين، وعبد الله الخراز، وأبا محمد الجريري، وأبا العباس بن عطاء، ولقي رويما. وهو من أفتى المشايخ، وأحسنهم طريقة واستقامة. ورد نيسابور وأقام بها مدة، وكان يعظ الناس، ويتكلم على لسان المعرفة بأحسن كلام. ثم رحل من نيسابور إلى سمرقند، ومات بها بعد الأربعين وثلاثمائة. ومن كلامه:

* سئل حين أراد الخروج إلى سمرقند: ما الذي يحملك على الخروج إليها، مع ميل أهل نيسابور إليك، ومحبتهم لك؟ فأنشأ يقول:

إذا عقد القضاء عليك عقدا

فليس يحله غير القضاء

فما لك قد أقيمت بدار ذل

ودار العز واسعة الفضاء؟

* اعلم أن طلب الله تعالى ترك الطلب، استحياء من الهيبة في الطلب، فإذا فنى العبد في الطلب اختطفه الحق في الطلب عن الطلب.

* مكاشفات الأعيان بالأبصار، ومكاشفات القلوب بالاتصال.

* العالم متفاوتون في ترتيب مشاهدات الأشياء: فقوم رجعوا من الأشياء إلى الله تعالى، فشاهدوا الأشياء، من حيث الأشياء ثم رجعوا إلى الله عز وجل. وقوم رجعوا من الله تعالى إلى الأشياء - من غير غيبتهم عنه - فلم يروا شيئا إلا ورأوا الحق قبله. وقوم بقوا مع الأشياء لأنه لم يكن لهم طريق منها إلى الله ليجتازوا بها عليها.

* اعلم أن الله تعالى في خلقه رياضات، ليتجلى لهم برؤيته... يراضون لهم في مشاهدات الأشياء،

ليتحققوا بحقيقة الأشياء، كما راض إبراهيم خليله صلوات الله عليه حين رأى النجوم، فقال في بدايته: «هذا ربي»، وإنما هي عين الجمع من فرط البلاء وغلبة الشوق، وحصول الجمع في الجمع، من حيث ما ورد عليه من الحق للحق، حتى قال: «هذا ربي». راضه ليحوّله إلى ما هو من ورثته. ألم تسمع إلى قوله: «فلما أفل قال لا أحب الآفلين»؟

* اعلم أن أدنى الذكر أن ينسى ما دونه، ونهاية الذكر أن يغيب الذاكر في الذكر عن الذكر، ويستغرق بمذكوره عن الرجوع إلى مقام الذكر. وهذا حال فناء الفناء.

* العلم علمان: علم قيام العبد بقيامه مع الله، وعلم بعلم الله في العبد، وهو العلم المغيّب عن العباد، إلا من كشف له طرف من ذلك، من نبي أو خاص ولي.

* اعلم أن لباس الظاهر لا يغير حكم الباطن.

* إن الله عبادة لم يستصلحهم لمعرفته فشغلهم بخدمته، وله عباد لم يستصلحهم لخدمته فأهملهم.

* من عطش إلى حال دهش فيه، ومن وصل إليه لم يستقر فيه.

* ليس يبلغ بالإنسان إلى مراتب الأخيار إلا الصدق، وكل وقت وحال خلا عن الصدق فباطل.

وأنشد:

ما أحسن الصدق في موطنه

والصدق في كل موطن حسن

* المحب يختار كراهيته لرضاء حبيبه، طالبا بذلك رضاه، وهو غاية المنى.

وأنشد:

رأيتك يدنيني إليك تباعدى

فباعدت نفسي لابتغاء التقرب

أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي

ومنهم أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي، من ناحية قيروان، من قرية يقال لها كركنت، أقام بالحرم مدة، وكان شيخه.

صحب أبا علي بن الكاتب، وحبيبا المغربي، وأبا عمرو الزجاجي، ولقى أبا يعقوب النهرجوري، وأبا الحسن بن الصائغ الدينوري، وغيرهم من المشايخ.

وكان أوحد في طريقتة وزهده، بقية المشايخ وتاريخهم. لم ير مثله في علو الحال، وصون الوقت، وصحة

الحكم بالفراسة، وقوة الهيبة. ورد نيسابور، ومات بها سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* الاعتكاف حفظ الجوارح تحت الأوامر.

* لا يعرف الشيء من لا يعرف ضده، لذلك لا يصح لمخلص إخلاصه إلا بعد معرفته الرياء ومفارقته له.

* وقيل له: إن فلانا مسافر. فقال: يجب أن يسافر من عند هواه وشهوته ومراده، فإن السفر غربة، والغربة ذلة. وليس لمؤمن أن يذل نفسه.

* وذكر بين يديه قول الشافعي رضى الله عنه: «العلم علمان: علم الأديان وعلم الأبدان»، فقال: رحم الله الشافعي، ما

أحسن ما قال: علم الأديان علم الحقائق والمعارف، وعلم الأبدان علم السياسات والرياضات والمجاهدات.

* العاصي خير من المدعى، لأن العاصي أبدا يطلب طريق توبته، والمدعى يتخبط في حبال دعواه.

* من مديده إلى طعام الأغنياء بشره وشهوة لا يفلح أبدا، وليس يعذر فيه إلا المضطر.

* الصوفي من يملك الأشياء اقتدارا، ولا يملكه شيء اقتهارا.

* من اشتغل بأحوال الناس ضيع حاله.

* أباي المليك إلا اختبارا لأولياته، ومتعرضا لهم بأعدائه. وإنما اختبرك في قربه بعدوه، لينظر كيف صبرك

على عدوه، فإن صبرت على بلوى عدوه جلتك بعلمه، وحباك بوصله، وأسكنك فى جواره، ونعمك

بمشاهدته، ولذذك بذكوره، وأوصلك بمعرفته، وجعلك إماما يقتدى به، ونجاة لعباده، ورحمة لهم فى أرضه،

وجعل محبتك فى قلوبهم، وجعل أنسهم فى رؤيتك، وجعل لك حلاوة فى قلوبهم.

* التقوى هى الوقوف مع الحدود، لا يقصر فيها ولا يتعداها. قال الله تعالى: «ومن يتعد حدود الله فقد ظلم

نفسه».

* من آثر على التقوى شيئا حُرْم لذة التقوى.

* من تحقق فى العبودية طهر سره بمشاهدة الغيوب، وأجابته القدرة إلى كل ما يريد.

* ليكون تدبرك فى الخلق تدبر عِبْرَة، وتدبرك فى نفسك تدبر موعظة، وتدبرك فى القرآن تدبر حقيقة

ومكاشفة. قال الله تعالى: «أفلا يتدبرون القرآن» جرأك به على تلاوة حطابه، ولولا ذاك لكلت الألسن عن

تلاوته.

* وقال فى مرضه: إنما مثلى ومثل أطبائى كإخوة يوسف ويوسف. كان يوسف مدبرا بالقدرة، وإخوته

- يدبرون فيه، وأنى يغنى تدبير الخلق من تدبير القدرة؟! *
- * الساكت بعلم، أحمد أثرا من الناطق بجهل.
- * لاتصحب إلا أمينا أو معينا، فإن الأمين يحملك على الصدق، والمعين يعينك على الطاعة.
- * وسئل: ما عقدة الورع؟ فقال: الشريعة تأمره وتنهاه، فيتبع ولا يخالف.
- * لما بذل المحبون مجهودهم فى محبة ربهم عطف عليهم الحق بالإحسان، ومرة بعد أخرى حتى أحبوه. روى عن النبي ﷺ أنه قال: «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها».
- * قلوب أهل الحق قلوب حاضرة، وأسماعهم أسمع مفتوحة.
- * من حمل نفسه على الرجاء تعطل، ومن حمل نفسه على الخوف قنط، ولكن ساعة وساعة، ومرة ومرة.
- * بدايات المقامات أرفاق وغنى وكفاية، ولكن إذا تمكن أتته البلايا. لذلك قال بعض المريدين: مازالوا يرفقون بى حتى وقعت، فلما وقعت قالوا لى: استمسك! كيف أستمسك إن لم يمسكنى؟
- * الحكمة هى النطق بالحق.
- * الغنى الشاكر يكون كأبى بكر الصديق رضى الله عنه، شكر فقدم ماله، وآثر الله عليه، فأورثه الله غنى الدارين وملكهما. والفقير الصابر مثل أويس القرنى ونظرائه، صبروا فيه حتى ظهرت لهم براهينه.
- * من أعطى نفسه الأمانى قطعها بالتسويق والتوانى.
- * علم اليقين يدل على الأفعال، فإذا فعلها وأخلص فيها، وظهرت له بينات ذلك، صار له علم اليقين عين اليقين.
- * التقوى تتولد من الخوف.
- * أفواه قلوب العارفين فاغرة لمناجاة القدرة.
- * سألتنى سائل: متى يقوم الحق بالحق؟ فقلت: إذا بلغ الميقات حينه، واستوفى الحق مجارى أحكامه من ظاهر هيكله أو قد سرج الإيمان فى قلبه، واكتسى ظاهر هيكله بنور حقه، وانتصر له من ظالمه، فتعجب السائل وسكت.

أبو القاسم إبراهيم بن محمد النصر اباذى

ومنهم أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن محمود بن نصر اباذى، شيخ خراسان فى وقته، نيسابورى الأصل والمولد والمنشأ.

يرجع إلى أنواع من العلوم: من حفظ السير وجمعها، وعلوم التاريخ، وما كان مختصا به من علم

الحقائق. وكان أُوحد المشايخ في وقته علما وحالا.

وصحب أبا بكر الشبلي، وأبا علي الروذباري، وأبا محمد المرتعش، وغيرهم من المشايخ. أقام بنيسابور، ثم خرج في آخر عمره إلى مكة، وحج سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، وأقام بالحرم مجاورا. كتب الحديث الكثير ورواه، وكان ثقة. مات سنة سبع وستين وثلاثمائة. أسند الحديث:

عن فاطمة بنت قيس عن النبي ﷺ: «حديث السكنى والنفقة»^(١)

ومن كلامه:

* إذا بدا لك شيء من بوادي الحق فلا تلتفت معه إلى جنة ولا إلى نار، ولا تخطرهما ببالك، وإذا رجعت عن ذلك الحال فعظم ما عظمه الله تعالى.

* إذا أخبر عن آدم - بصفة آدم - قال: «وعصى آدم ربه فغوى» وإذا أخبر عنه - بفضله عليه - قال: «إن الله اصطفى آدم».

* موافقة الأثر حسن، وموافقة الأمر أحسن، ومن وافق الحق - في لحظة أو خطرة - فإنه لا تجرى عليه بعد ذلك مخالفة بحال.

* من عمل على رؤية الخبراء كانت أعماله بالعدد والإحصاء، ومن عمل على المشاهدة أذهلته المشاهدة عن التعداد والعدد، ومن عمل بالعدد كان ثوابه بالعدد، قال الله تعالى: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها»، ومن عمل على المشاهدة كان أجره بلا عدد. قال الله عز وجل: «إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب».

* الراحة ظرف مملوء من العتاب.

* الراغب في العطاء لا مقدار له، والراغب في المعطى عزيز.

* أنت بين نسبتين: نسبة إلى الحق ونسبة إلى آدم، فإذا انتسبت إلى الحق دخلت في مقامات الكشف والبراهين والعظمة، وهي نسبة تحقق العبودية. قال الله تعالى: «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا» وقال: «إن عبادي ليس لك عليهم سلطان» وقال: «فوجدنا عبدا من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما». وإذا انتسبت إلى آدم دخلت في مقامات الظلم والجهل، قال الله تعالى: «وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا».

* وسئل: أليست الأنفس والأموال لله عز وجل؟

(١) لما طلبت فاطمة بنت قيس بعد طلاقها النفقة من وكيل زوجها قال لها الرسول: اعتدى عند أم شريك. ثم قال: اعتدى عن ابن أم مكتوم

قالت فاطمة: طلقتني زوجي ثلاثا على عهد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «لا سكنى لك ولا نفقة».

فكيف يشتري ما هو له؟ فقال: إنه عز اسمه اشترى منهم ما هو له - نظرا لهم - كشرء الأب للطفل نظرا له، ملكك نفسك، ثم أسقط عنها ملكك، لئلا يقع لك بتمليكك إياك غبن، بأن تشتري به ما لا يعارضه، أو تبيعه بما لا يوازنه.

* وقيل له: إن بعض الناس يجالس النسوان، ويقول: أنا معصوم في رؤيتهن. فقال: ما دامت الأشباح باقية، فإن الأمر والنهي باق، والتحليل والتحريم مخاطب بهما، ولن يجترىء على الشبهات إلا من يتعرض للمحرمات.

* الأشياء أدلة منه، ولا دليل عليه سواه.

* سر يسلم من رعونة البشر سر رباني.

* العبادات إلى طلب الصفح، والعفو عن تقصيرها، أقرب منها إلى طلب الأعواض والجزاء بها.

* دماء الأقرباء تتحرك عند الالتقاء، ودماء المحبين تجمش وتغلى.

* أهل المحبة واقفون مع الحق على مقام، إن تقدموا غرقوا، وإن تأخروا حجبوا.

* أثقال الحق لا يحملها إلا مطايا الحق.

* جذبة من جذبات الحق تربي على أعمال الثقلين.

* أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمان المشايخ، ورؤية أعداء الخلق، وحسن صحبة الرفقاء، والقيام بخدمتهم، واستعمال الأخلاق الجميلة، والمداومة على الأوراد، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات، وما ضل أحد في هذا الطريق إلا بفساد الابتداء، فإن فساد الابتداء يؤثر في الانتهاء.

أبو الحسن علي بن إبراهيم الحصري

ومنهم أبو الحسن علي بن إبراهيم الحصري، بصرى الأصل. سكن بغداد، وكان شيخ العراق ولسانها، لم نر فيما رأينا من المشايخ أتم حالا منه، ولا أحسن لسانا منه، ولا أعلى كلاما. كان أوحد المشايخ ولسان الوقت، وكان أوحد في طريقته، من أجل المشايخ وأظرفهم وألطفهم له لسان في التوحيد يختص هو به، ومقام في التفريد والتجريد مسلم له، لم يشاركه فيه أحد بعده. وهو أستاذ العراقيين، وبه تأدب من تأدب منهم صحب أبا بكر الشبلي، وغيره من المشايخ مات ببغداد في يوم الجمعة في ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* الصوفى لا ينزعج فى انزعاجه، ولا يقر فى فراره.

* آدم فى محله كان محلا للعلل، فخطب على حسب العلل: «إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى». وإلا فما مقام المجاورة مما يؤثر فيه الجوع والعرى!.

* علمنا الذى نحن فيه يوجب إنكار كل معلوم مرسوم، ومحو كل معلوم معلول، وما بان شىء فيمتحى.

* لا أحد أقل قدرا ممن يشتغل بالفضائل فيقدم ذا ويؤخر ذا. فى الدنيا يكون ناسا بناس مع ناس، وفى

الآخرة: «ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم» مع المطاعم والمشارب والمناكح، ليت الجنة على قفا أهلها، لعنا إذا

نجونا منها ومن طالبيها تفرغنا إلى مشاهدة من أكرمنا بمعرفته، وبدأنا بأنواع مباره. بل لو عرفناه ما شاهدنا

سواه.

* دعونى وبلائى، هاتوا ما لكم، أستم من أولاد آدم الذى خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له

ملائكته، ثم أمره بأمر فخالفه؟. إذا كان أول الدن درديا كيف يكون آخره؟.

* من ادعى فى شىء من الحقيقة كذبه شواهد كشف البراهين.

* نظرت فى ذل كل ذى ذل فزاد ذلى على ذلهم، ونظرت فى عز كل ذى عز فزاد عزى على عزهم. ثم

قرأ: «من كان يريد العزة فلله العزة جميعا».

* الصوفى الذى لا يوجد بعد عدمه، ولا يُعدم بعد وجوده.

* الصوفى وجده وجوده، وصفاته حجابيه.

* الصوفى إن وجد جحد، وإن تجلى كشف.

* الخوف من الله علة وحجاب، لأنه إذا كان خوفاً منه لا يزيل مراده فى، ورجائى لا يوصلنى إلى مرادى

منه، فقد تعطل عندى حكم الخوف والرجاء للمتحققين. وأما أرباب الرسوم والعلوم فعليهم واجب التزام

الأدب.

* ربط الكل بالحدود، وقطع طريق الحق عن الكل، فلا ترى إلا واقفا مع نفسه أو مع رسمه، لبيونة القدم

إن لم يلحقه شىء من الحوادث، إذا زفرت جهنم زفرة فإن الكل يقول: نفسى نفسى!. والأجل الأدنى يرجع

إلى حد الشفقة، فيقول: أمتى أمتى!. فلا يبقى فى أحد نفس بلا علة، فيقول: ربي ربي! لنعلم أن محل

الحوادث لا يخلو عن العلل.

* كنت زمانا إذا قرأت القرآن لا أستعيذ من الشيطان، وأقول: من الشيطان حتى يحضر كلام الحق عز وجل؟

* وسئل : هل يحتشم المحب أو يفرع؟ فقال: الحب استهلاك لا يبقى معه صفة. وأنشأ يقول:

قالت: لقد سؤتنا فى غير منفعة

بقرعك الباب، والحجاب ما هجعوا

ماذا يريك؟ فى الظلماء تطرقنا

قلت: الصبابة هاجت ذاك والطمع

قالت: لعمري لقد خاطرت ذا جزع

حتى وصلت، فهلا عاقتك الجزع؟

فقلت: ما هو إلا القتل، أو ظفر

بما يزول به عن مهجتي الهلع

* هو أعز من أن يعز على سواه، وأعز من أن يذل له غيره، وأعز من أن يذل لغيره، بل هو أذل ماله لما له، وعزز ماله على ماله، وليس لمن أعز معنى عز به، ولا لمن أذل معنى ذل به، بل هو أظهر الجميع، ورسم بأنهم عزوا وذلوا، وذلك هو العز الذى لا يرام.

* ضاقت على أوقاتي وأنفاسي، فلست أستروح إلا أن تذكر أنفاس جرت منى بأنس البسط بصفاء الود، مصونة عن شوب الأكدار، وأنشد هذا البيت:

إن دهرا يلف شملى بسلمى

لزمان بهم بالإحسان

أبو عبد الله التروغبذى

ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسن التروغبذى. كان من جلة مشايخ طوس، صحب أبا عثمان الحيرى، ومن فى طبقتة من المشايخ، وصار أوحد فى طريقته. ظهرت له آيات وكرامات، وكان مجردا على الحال كبير الهمة.

مات بعد الخمسين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* من بذل نفسه لهواه، وشغل عمره بمناه، استعبده هواه، واسترقه مناه.

* طوبى لمن لم يكن له وسيلة إلى الله سواه، فإنه لا وسيلة إليه غيره.
 * وقيل له: ما صفة المرید؟ فقال: المرید فى تعب، ولكن تعبہ سرور وطرب، لا عناء ولا نصب.
 * الكبر سمة الأغنياء، والتذلل والتواضع من أخلاق الفقراء.
 * ترك الدنيا للدنيا من علامات حب الدنيا.
 * ليس فى اجتماع الإخوان أنس لو حشة الفراق.
 * من ضيع أمر الله فى صغره، أذله الله فى كبره.
 * لو خدم رجل فى جميع عمره يوما فتى من الفتیان للحقته بركة خدمته، فكيف بمن أفنى فى خدمتهم عمره؟

* وسئل عن الصوفى والزاهد، فقال: الصوفى بربه، والزاهد بنفسه.
 * الأسماء مكشوفة، والمعانى مستورة.
 * إياك والتميز فى الخدمة، فإن أرباب التميز قد مضوا. اخدم الكل ليحصل لك المراد، ولا يفوتك المقصود.

* إن الله تعالى وهب لكل عبد من معرفته مقدارا، وحمله من البلاء على مقدار ما وهب له من المعرفة، لتكون معرفته عوناً له على حمل بلائه.
 * ما جزع النبی ﷺ قط إلا لأمته، فإنه بعث بالرأفة والرحمة، فإذا كشف له من أمور أمته عن مخالفة جزع لهم وعليهم. قال الله تعالى: «عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم».
 * العلم يورث الخوف، والعلم يورث الوجل، والعلم يورث السكينة والطمأنينة، وذلك على قدر أحوال العبيد ومقاماتهم: مقام أوجب العلم فيه الوجل والخوف، ومقام أوجب فيه السكون والطمأنينة... والأحوال تصح إذا كانت عن نتائج العلوم.

أبو عبد الله الروذبارى

ومنهم أبو عبد الله أحمد بن عطاء بن أحمد الروذبارى ابن أخت أبى على الروذبارى. شيخ الشام فى وقته، يرجع إلى أحوال يختص بها وأنواع من العلوم: من علم القراءات فى القرآن وعلم الشريعة وعلم الحقيقة، وأخلاق وشمائل يختص بها، وتعظيم للفقير وصيانة له، وملازمة لأدابه، ومحبة للفقراء، وميل إليهم، ورفق بهم.

مات بصور في ذى الحجة، سنة تسع وستين وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

قال أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه: «اللحم بالبر مرقة الأنبياء»^(١) كذلك حدثني أبي عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه كان يذكر ذلك.

ومن كلامه:

* الذوق أول المواجيد، فأهل الغيبة إذا شربوا طاشوا، وأهل الحضور إذا شربوا عاشوا.

* ما من قبيح إلا وأقبح منه صوفى شحيح.

وأشدني أحمد بن محمد بن نصر لنفسه في هذا المعنى:

أشرت إلى الحبيب بلحظ طرفي

فأعرض عن إجابتي المليح

فقلت: أضاع مذهبه المرجى

وحرمة ذلك العهد الصحيح؟

ألم تسمع بأن لا قبح إلا

وأقبح منه صوفى شحيح!

* رأيت في المنام كأن قائلاً يقول لى: أى شىء أصبح ما فى الصلاة؟ فقلت: صحة القصد. فسمعت هاتفا

يقول: رؤية المقصود بإسقاط رؤية القصد أتم.

* الخشوع فى الصلاة علامة فلاح المصلى. قال الله تعالى: «قد أفلح المؤمنون، الذين هم فى صلاتهم

خاشعون».

* من خدم الملوك بلا عقل أسلمه الجهل إلى القتل.

* من قَلَّتْ آفاته اتصلت بالحق أوقاته.

* مجالسة الأضداد ذوبان الروح، ومجالسة الأشكال تلقيح العقول.

* ليس كل من يصلح للمجالسة يصلح للمؤانسة، وليس كل من يصلح للمؤانسة يؤتمن على الأسرار،

ولا يؤتمن على الأسرار إلا الأمانة فقط.

(١) هذا الحديث ضعيف .

* وستل عن القبض والبسط، وعن حال من قبض ونعته، وعن حال من بسط ونعته، فقال: إن القبض أول أسباب الفناء، والبسط أول أسباب البقاء... فحال من قبض الغيبة، وحال من بسط الحضور، ونعت من قبض الحزن، ونعت من بسط السرور.

* من عطش إلى حالة أتم ممن دهش بها، وليس من دهش بها أتم ممن عطش إليها. وهذا شأن قبض الحق بالفناء وبسطه بالبقاء .

* التصوف ينفى عن صاحبه البخل، وكتب الحديث ينفى عن صاحبه الجهل، فإذا اجتمعما في شخص فناهيك به نبلا.

* وأنشد لنفسه:

فما مل ساقها ، وما مل شارب

عقار لحافظ كأسه يسكر اللبا

يطوف بها طرف من السحر فاتر

على جسم نور، ضوءه يخطف القلبيا

يقول بلفظ، يخجل الصب حسنه

تجاوزت يا مشغوف في حالك الحبا

فسرك من لحظي هو الوجد كله

وصحوك من لفظي يبيع لك الشربا

* سر السماع ثلاثة أشياء: بلاغة ألفاظه، ولطف معانيه، واستقامة منهاجه. وسر النعمة ثلاثة: طيب الخلق، وتأدية الأمان، وصحة الإيقاع. وسر الصادق في السماع ثلاثة: العلم بالله، والوفاء بما عليه، وجمع الهم. والوطن الذي يسمع فيه يحتاج أن يجمع فيه ثلاث خصال: طيب الروائح، وكثرة الأنوار، وحضور الوقار. ويعدم ثلاث: رؤية الأضداد، ورؤية من يحششم، ورؤية من يتلهى. ويسمع من ثلاث: التصوفية، والفقراء، والمحبين لهم. ويسمع على ثلاث معان: على المحبة والوجد والخوف. والحركة في السماع على ثلاث: الطرب والخوف والوجد. والطرب له ثلاث علامات: الرقص والتصفيق والفرح. والخوف له ثلاث علامات: البكاء واللطم والزفرات. والوجد له ثلاث علامات: الغيبة والاصطلام والصرخات.

أبو الحسن علي بن بندار الصيرفي

ومنهم أبو الحسن علي بن بندار بن الحسين الصيرفي. من جلة مشايخ نيسابور. ورزق من رؤية المشايخ وصحبتهم مالم يرزق غيره. صحب بنيسابور أبا عثمان ومحمودا، وبسمرقند محمد بن الفضل، وبلخ

د، وبجوزجان أبا علي، وبالري يوسف بن الحسين، وبيغداد الجنيد بن محمد وروما وسمنون،
س بن عطاء، وأبا محمد الحريري، وبالشام طاهرا المقدسي، وأبا عبد الله بن الجلاء، وأبا عمرو
الدمشقي، وبمصر أبا بكر المصري والزقاق، وأبا علي الروذباري.. وكتب الحديث الكثير، ورواه، وكان ثقة.
مات سنة تسع وخمسين وثلاثمائة.

أسند الحديث:

عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «نعم الإدام الخل».

ومن كلامه:

* دخلت بدمشق على أبي عبد الله بن الجلاء فقال: متى دخلت دمشق؟ قلت: منذ ثلاثة أيام. فقال لي:
مالك لم تجئني؟ قلت: ذهبت إلى ابن جوصاء، وكتبت عنه الحديث، فقال لي: شغلتك السنة عن الفريضة.

* وسئل: ما التصوف؟ فقال: إسقاط رؤية الخلق ظاهرا وباطنا.

* فساد القلوب على حسب فساد الزمان وأهله.

* دار أسست على البلوى بلا بلوى محال.

* يا بني، إياك والخلاف على الخلق، فمن رضى الله به عبدا فارض به أخا.

* إياك والاشتغال بالخلق، فقد عدم عليهم الربح اليوم.

* ورأى مرة في يد ابنه كتابا فقال له: ما هذا؟ فقال: كتاب «المعرفة». فقال: ألم تكن المعرفة في القلوب؟

فقد صارت في الكتب!

* ليس الفقير من يظهره فقره، إنما الفقير من يكتنم فقره، ويأنس به ويفرح.

* زمان يذكر فيه بالصلاح، زمان لا يرجى فيه صلاح.

* كنت يوما أماشى أبا عبد الله محمد بن خفيف فقال لي: تقدم يا أبا الحسن. فقلت: بأى عذر؟ قال:

بأنك لقيت الجنيد وما لقيته.

* ثوب أستجيز فيه الصلاة أكره أن أبدله للقاء الناس بخير منه.

* وقال لبعض أصحابه: إلى أين؟ فقال: أخرج إلى النزهة. فقال: من عدم الأنس من حاله لم يزد التنزه

إلا وحشة.

* الحق أمر عظيم يطلبه الخلق، إنما الحق يطرح الدنيا والآخرة.

أبو بكر محمد بن أحمد الشبهي

ومنهم أبو بكر محمد بن أحمد بن جعفر الشبهي، من أفتى مشايخ وقته. صحب أبا عثمان الخيري.
مات قبل الستين وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».
ومن كلامه:

* يكفيك من حسن الخلق ألا تحزن بريثا.

* دخل عليه بعض أصحابه وقال: أنا إذا مشيت في السوق يقول الناس: انظروا إلى خشوع هذا المنافق!

فقال الشبهي: اتق الله وخف على نفسك، فإن النبي ﷺ قال للمسلمين: «أنتم شهداء الله في الأرض».

* الفتوة حسن الخلق وبذل المعروف .

* العارفون يقوون بمعروفهم، وسائر الناس يقوون بالأكل والشرب.

أبو بكر محمد بن أحمد الفراء

ومنهم أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدون الفراء. من كبار مشايخ نيسابور، صحب أبا علي الشقي،
وعبد الله بن منازل، وصحب أيضا أبا بكر الشبلي، وأبا بكر بن طاهر، وغيرهم من المشايخ وكان أوجد
المشايخ في طريقته.

مات سنة سبعين وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ رأى رجلا يغتسل في صحن الدار فقال: «إذا اغتسل
أحدكم فليستتر ولو بجدار».

ومن كلامه:

* من لم يؤثره الله على كل شيء لا يصل إلى قلبه نور المعرفة بحال.

* يصح للمرء عمله على قدر اهتمامه بالدخول فيه، وحزنه على تقصيره، وجهده في الخروج منه على السنة.

* كتمان الحسنات أولى من كتمان السيئات ، فإنك بذلك ترجو النجاة.
* الأمر بالمعروف يجب عليه أن يبدأ بنفسه، ويصبر على ما يلحقه في ذلك، ويكون عالماً بما يأمر به وما ينهى عنه.

* وسئل عن الأبرار، فقال: هم المتقون.

أبو عبد الله محمد بن أحمد المقرئ

وأبو القاسم جعفر بن أحمد المقرئ

ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد المقرئ. صحب يوسف بن الحسين الرازي، وعبد الله الخراز الرازي، ومظفرا القرميسيني، وروما والجريري، وابن عطاء. وكان من أفتى المشايخ وأسماهم، وأحسنهم خلقا، وأعلامهم همة، وأتمهم دينا وورعا. مات سنة ست وستين وثلاثمائة.

وأما أبو القاسم جعفر بن أحمد المقرئ فهو من جلة مشايخ خراسان. وكان أوجد المشايخ في وقته وطريقته.. على الحال شريف الهمة، لم نلق أحدا من المشايخ في سمته ووقاره. صحب أبا العباس بن عطاء، وأبا محمد الجريري، وأبا بكر بن أبي سعدان، وأبا بكر بن ممشاذ، وأبا علي الروذباري.

مات بنيسابور سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع الوضوء».

ومن كلامهما:

* أبو عبد الله: الفقير الصادق الذي يملك كل شيء ولا يملكه شيء.

* أبو عبد الله: الفتوة حسن الخلق مع من تبغضه، وبذل المال لمن تكرهه، وحسن الصحبة مع من ينفر قلبك منه.

* أبو القاسم: الفتوة رؤية فضل الناس بنقصانك.

* أبو القاسم: الحرية موافقة الإخوان فيما هم فيه، ما لم تكن خلافا للعلم.

* أبو القاسم: التصوف استقامة الأحوال مع الحق.

* أبو عبد الله: ما قبل منى أحد شيئاً إلا رأيت له منة على لا يمكننى القيام بواجبها أبداً.

* وأنشد أبو القاسم لبعضهم:

أقلنى عشرتى، واسمع دعائى

فأنت اليوم فى الدنيا رجائى

لقد أعيا الأظبة ما دوائى

وعندك يا عزيز دواء دائى

دوائى نظرة فيها شفائى

شفائى فى لقائك يامنائى

* أبو القاسم: ليس السخى من طالع ما بذله أو ذكره، وإنما السخى من إذا تسخى استحى من ذلك، واستصغره، وأنف من ذكره.

* أبو عبد الله: أول ما صحبت عبد الله الخراز قلت له: بماذا تأمرنى أيها الشيخ؟ قال: بثلاثة أشياء:

بالحرص على أداء الفرائض بأتم جهدك، والاحترام لجماعة المسلمين، واتهام خواطرك، إلا ما وافق الحق.

* أبو عبد الله: أوائل بركة الدخول فى التصوف أن تصدق الصادقين فى الإخبار عن أنفسهم وعن مشايخهم.

* وورث أبو عبد الله عن أبيه خمسين ألف دينار سوى الضياع والعقار، فخرج عن جميع ذلك، وأنفقها

على الفقراء. فسئل عن ذلك فقال: أحرمت وأنا غلام حدث، وخرجت إلى مكة على الوحدة والتقطع، حين

لم يبق لى شىء أرجع إليه، فكان اجتهادى أن أزهد فى الكتب وما جمعت من الحديث والعلم، أشد على من

الخروج إلى مكة، والتقطع فى الأسفار، والخروج من ملكى.

* أبو القاسم: السماع على ما فيه من اللطافة فيه خطر عظيم، إلا لمن يسمعه بعلم عزيز، وحال صحيح،

ووجد غالب من غير حظ له فيه.

* أبو القاسم: العارف من شغله معروفه عن النظر إلى الخلق بعين القبول والرد.

* أبو عبد الله: من تعزز عن خدمة إخوانه أورثه الله ذلاً لا انفكاك له منه.

أبو محمد عبد الله بن محمد الراسبي

ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد الراسبي من أهل بغداد، من جلة مشايخهم. صحب أبا العباس بن

عطاء والجريرى .

رحل إلى الشام، ثم رجع إلى بغداد، ومات بها سنة سبع وستين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* القلب إذا امتحن بالتقوى نزع عنه حب الدنيا، وحب الشهوات، وأوقف على المغيبات .

* أعظم حجاب بينك وبين الحق اشتغالك بتدبير نفسك، واعتمادك على عاجز مثلك فى أسبابك.

* لا يكون الصوفى صوفيا حتى لا تقله أرض، ولا تظله سماء ولا يكون له قبول عند الخلق، ويكون

مرجعه فى كل أحواله إلى الحق عز وجل .

* الهموم عقوبات الذنوب .

* المحبة إذا ظهرت افتضح فيها المحب، وإذا كتمت قتلت المحب كمدا .

وأشدد على أثر ذلك:

ولقد أفارقه بإظهار الهوى

ليستر سره إعلانه

ولربما كتم الهوى إظهاره

ولربما فضح الهوى كتمانته

عى المحب لدى الحبيب بلاغة

ولربما قتل البليغ لسانه

كم قد رأينا قاهرا سلطانه

للناس، ذل لحبه سلطانه

* خلق الله الأنبياء للمجالسة، والعارفين للمواصلة، والصالحين للملازمة، والمؤمنين للعبادة والمجاهدة .

* وقال فى قوله عز وجل: « تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة » قال: جمع بين إرادتين . فمن أراد الدنيا

دعاه الله إلى الآخرة، ومن أراد الآخرة دعاه إلى قربه . قال الله عز وجل: « ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو

مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا » . والسعى المشكور هو البلوغ إلى منتهى الآمال من القرب والدنو .

* البلاء أو الحيرة هو صحبتك مع من لا يوافقك ولا تستطيع تركه .

أبو عبد الله محمد بن عبد الخالق الدينورى

ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الخالق الدينورى . من جلة المشايخ وأكبرهم حالا وأعلامهم همة،

وأفصحهم فى علوم هذه الطائفة، مع ما كان يرجع إليه من صحبة الفقر، والتزام آدابه، ومجبة أهله. أقام بوادى القرى سنين، ثم رجع إلى دينور ومات بها.

ومن كلامه:

* صحبة الصغار مع الكبار من التوفيق والفتنة، ورغبة الكبار فى صحبة الصغار خذلان وحمق.
* لا يعجبك ماترى من هذه اللبسة الظاهرة عليهم، فما زينوا الظواهر إلا بعد أن خربوا البواطن.
* اختيار الله تعالى لعبده، مع علمه بعبده، خير من اختيار العبد لنفسه، مع جهله بربه.
* وأنشد لنفسه أو لغيره:

أيا من صفاء الود شرب فؤاده

فأصبح ريانا لتلك المشارب

أغثنى فما لى عنك بالصبر طاقة

وجد لى فقد ضاقت على مذاهبي

* تعب الزهد على البدن، وتعب المعرفة على القلب.

* ودخل عليه رجل فقال له: كيف أمسيت؟

فأنشأ يقول:

إذا الليل ألبسنى ثوبه

تقلب فيه فتى موجه

* وأنشد:

بقلبي من نفى عنى نعاسى

وأرقنى، وبات ولم يواس

ومن حبى له أبداً جديد

وثوب صدوده أبداً لباسى

يُسىء فلا أؤاخذه بذنب

وألزم ذنبه كلا براسى

* أرفع العلوم فى التصوف علم الأسماء والصفات، وتمييز الخلاف من الاختلاف، وإخلاص أعمال الظاهر، وتصحيح

أحوال الباطن.

* رأيت فى بعض أسفارى رجلاً يقفز بإحدى رجليه، فقلت له: ما لك والسفر مع فقدان الآلة؟ فقال لى: أمسلم أنت؟

قلت: نعم.

قال: اقرأ قوله تعالى: «وحملناكم فى البر والبحر». إذا كان هو الحامل حمل بلا آلة.

الشركة الدولية للرخام والجرانيت

أحمد محمد عيسى وشركاه

مدينة ٦ أكتوبر - البساتين - أسوان

إنجاز جديد تصيفه الشركة

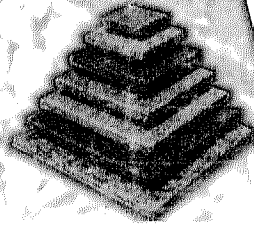
للمنتج المصري من الرخام والجرانيت



وذلك
بحصولها
على الجائزة
العالمية
للمكانة
التجارية
بإسبانيا

الحاج / أحمد محمد عيسى رئيس مجلس إدارة الشركة الدولية للرخام والجرانيت يتسلم الجائزة العالمية للمكانة التجارية من السفير المصري بإسبانيا حسين هريدي وبجوارهما رئيس المؤتمر

وهي الأولى من
نوعها على مستوى
الشرق الأوسط في
صناعة الرخام
والجرانيت



للاستعلام: الإدارة، ميدان فيني سابقا - السد العالي - الدقى - ت: ٢٢٦٦٦٧٢ - ٢٢٦٦٦٧١

مدينة ٦ أكتوبر - المنطقة الصناعية الأولى ت: ٢٢٦٦٦٧٢ / ٢٢٦٦٧٠٧ / ٢٢٦٦٧٠٧ / ٢٢٦٦٧٠٧ - التليفون: ٢٢٦٦٧٠٧ / ٢٢٦٦٧٠٧ - فاكس: ٢٢٦٦٧٠٧ / ٢٢٦٦٧٠٧

القاهرة، البساتين - المنطقة الصناعية رقم ١٦ - ت: ٢٥٢٠٣٤٩٠ - ٢٥٢٠٣٤٩٠ - فاكس: ٢٥٢٠٣٤٩٠ - أسوان، إدارة التجار - ت: ٢٥٢٠٣٤٩٠ / ٢٥٢٠٣٤٩٠



0364433